الرحلات النيجرية

كنا في (كانو) وجئنا من (أبوجا)

رحلة وحديث في شئون المسلمين

تأليف
محمد بن ناصر العُبُودي

الرحلات النيجرية

كنا في (كانو) وجئنا من (أبوجا)

رحلة وحديث في شئون المسلمين

تأليف

محمد بن ناصر العبودي

المستودع الدعوي الرقمي
Osoul Center For Studies

https://dawa.center

ح محمد ناصر العبودي ، ١٤٣٦ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العبودي ، محمد ناصر

كنا في كانوا وجئنا من أبوجا / محمد ناصر العبودي - الرياض ، ١٤٣٦ هـ

٣٢٠ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٢-٩٣٠٤-٠١-٦٠٣-٩٧٨

١- الأخوان المسلمون ٢- الإسلام - نيجيريا

أ- العنوان

ديوي ٢١٧،٦ ١٤٣٦/٨٩٠٢

رقم الايداع: ١٤٣٦/٨٩٠٢

ردمك: ٢-٩٣٠٤-٠١-٦٠٣-٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٧ هـ / ٢٠١٦ م

بسم الله الرحمن الرحيم

كتب مطبوعة في الرحلات للمؤلف

(١) في إفريقية الخضراء: مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين- طبع بيروت، دار الثقافة، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

(٢) رحلة إلى جزر مالديف إحدى عجائب الدنيا- الرياض، دار العلم ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

(٣) مدغشقر بلاد المسلمين الضائعين- الرياض، النادي الأدبي، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

(٤) جولة في جزائر البحر الزنجي أو حديث عن الإسلام والمسلمين في جزر المحيط الهندي- الرياض، المطابع الأهلية للأوفست، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

(٥) رحلة إلى سيلان- الرياض، جمعية الثقافة والفنون، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م.

(٦) صلة الحديث عن إفريقية مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين- نشرته دار العلوم في الرياض، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٧) مشاهدات في بلاد العنصريين، رحلة إلى جنوب إفريقية وحديث في شؤون المسلمين- نشره نادي القصيم الأدبي في بريدة، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٨) إطلالة على نهاية العالم الجنوبي- مكة المكرمة، نادي مكة الثقافي، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٩) زيارة لسلطنة بروناي الإسلامية- طبع بمطابع الرياض الأهلية للأوفست، عام ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

(١٠) شهر في غرب إفريقية مشاهدات وأحاديث عن المسلمين- الرياض، المطابع الأهلية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

(١١) في نيبال بلاد الجبال- رحلة وحديث في شؤون المسلمين- الرياض، مطابع الفرزدق، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(١٢) رحلات في أمريكا الوسطى- المطابع الأهلية للأوفست في الرياض، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(١٣) إلى أقصى الجنوب الأمريكي رحلة في الأرجنتين وتشيلي- الرياض، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(١٤) على ضفاف الأمازون، رحلة في المنطقة الاستوائية من البرازيل- نشره النادي الأدبي في أبها، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(١٥) على قمم جبال الأنديز- الرياض، مطابع الفرزدق التجارية، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(١٦) في غرب البرازيل- الرياض، مطابع الفرزدق التجارية ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(١٧) في بلاد المسلمين المنسيين: بخارى وما وراء النهر- طبع في مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(١٨) بقية الحديث عن إفريقية- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(١٩) جولة في جزائر البحر الكاريبي- مطابع الرياض الأهلية للأوفست، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(٢٠) جولة في جزائر جنوب المحيط الهادئ، مطابع الفرزدق، الرياض، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(٢١) داخل أسوار الصين (مجلدان)- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض،١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٢) بلاد الداغستان- طبع مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـ.

(٢٣) الرحلة الروسية- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٢٤) مع المسلمين البولنديين- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٥) جمهورية أذربيجان- طبع مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٦) في أعماق الصين الشعبية- نشرته مجلة المنهل.

(٢٧) بين الأرغواي والبارغواي- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٨) بورما الخبر والعيان- طبع ببيروت عام ١٤١٢هـ.

(٢٩) مقال عن بلاد البنغال- طبع بالرياض عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣٠) ذكريات من يوغسلافيا- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣١) كنت في بلغاريا- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣٢) في جنوب الصين- طبعته رابطة العالم الإسلامي بمطبعتها في مكة المكرمة عام ١٤١٤هـ.

(٣٣) كنت في ألبانيا- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٣٤) ذكرياتي في إفريقية- محاضرة طبعتها رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة.

(٣٥) أيام في النيجر- طبع ببيروت عام ١٤١٤هـ.

(٣٦) على أرض القهوة البرازيلية- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٥هـ.

(٣٧) نظرة في شرق أوربا وحالة المسلمين بعد الشيوعية- طبع ببيروت عام ١٤١٤هـ.

(٣٨) بين غينيا بيساو وغينيا كوناكري- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٣٩) من أنقولا إلى الرأس الأخضر- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٤٠) سياحة في كشمير- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

(٤١) يوميات آسيا الوسطى- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٤٢) نظرة في وسط إفريقية- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

(٤٣) بلاد القريم- نشرته دار القبلة في جدة.

(٤٤) قصة سفر في نيجريا (مجلدان)- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض.

(٤٥) حديث قازاقستان- نشرته دار القبلة في جدة (تحت الطبع).

(٤٦) المسلمون في لاوس وكمبوديا: رحلة ومشاهدات ميدانية- نشرته رابطة العالم الإسلامي في سلسلة دعوة الحق، وطبعته في مطبعتها عام ١٤١٦هـ.

(٤٧) في جنوب الهند (من سلسلة الرحلات الهندية) طبع مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٧هـ.

(٤٨) رحلات في أمريكا الجنوبية: غينيا وسورينام، مطابع التقنية في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٤٩) إطلالة على أستراليا- طبع في مطابع التقنية للأوفست- الرياض عام ١٤١٧هـ.

(٥٠) أيام في فيتنام- نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٧هـ.

(٥١) في غرب الهند (من سلسلة الرحلات الهندية) نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها في مكة المكرمة، عام ١٤١٧هـ.

(٥٢) إطلالة على موريتانيا – نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٧هـ.

(٥٣) حديث قيرغيزستان، دراسة في ماضيها ومشاهدات ميدانية- نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(٥٤) زيارة رسمية لتايوان، نشر دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(٥٥) سطور من المنظور والمأثور عن بلاد التكرور- مطابع النرجس التجارية، الرياض، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

(٥٦) راجستان: بلاد الملوك (من سلسلة الرحلات الهندية) مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

(٥٧) في شرق الهند (من سلسلة الرحلات الهندية) طبع في مطابع التقنية للأوفست في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٥٨) العودة إلى الصين (من سلسلة الرحلات الصينية) طبع في مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٠هـ.

(٥٩) في شرق البرازيل، من سلسلة الرحلات البرّازيلية- طبع في مطابع التقنية في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٦٠) هندوراس ونيكاراقوا وكوستاريكا (من سلسلة الرحلات في جمهوريات الموز) مطابع التقنية، الرياض، ١٤١٩هـ.

(٦١) من بلاد القرتشاي إلى بلاد القبرداي (من سلسلة الرحلات القوقازية) طبع في مطابع التقنية للأوفست، الرياض، ١٤٢٠هـ.

(٦٢) بلاد التتار والبلغار (من سلسلة رحلات الشمال) نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته بمطبعتها في مكة المكرمة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٦٣) بلاد الشركس: الإديغي- طبع مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٦٤) مواطن إسلامية ضائعة- مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٦٥) تائه في تاهيتي- طبعته مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢٠ هـ.

(٦٦) نظرة إلى الفلبين بين زيارتين: رسمية وخلصة، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٠هـ.

(٦٧) ذكريات من الاتحاد السوفيتي، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٠هـ.

(٦٨) نظرة إلى الوجه الآخر من الأرض أو رحلة إلى أبعد مكان: جولات في أقصى جزر المحيط الهادئ الجنوبي، طبع في مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٦٩) إقليما سمارا وأستراخان (من سلسلة الرحلات في جنوب روسيا)، نشرته دار خضر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

(٧٠) في إندونيسيا أكبر بلاد المسلمين، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٧١) قرينادا وسانتالوسيا ودومنيكا (من سلسلة الرحلات الكاريبية) مطبعة العلا، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٧٢) مشاهدات في تايلند، مطابع النرجس في الرياض، عام ١٤٢١هـ.

(٧٣) مع العمل الإسلامي في القارة الأسترالية، جولة وحديث في شؤون الإسلام، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢١هـ.

(٧٤) فطاني أو جنوب تايلند، مطابع المسموعة، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٧٥) المستفاد من السفر إلى شاد، مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٧٦) في جنوب البرازيل (من سلسلة الرحلات البرازيلية) مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٧٧) شمال شرق الهند، رحلة في ولايتي بيهار وإترابراديش وحديث عن المسلمين، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٧٨) بلغاريا ومقدونيا (من سلسلة الرحلات في بلاد البلقان) طبع في مطابع العلا، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٧٩) بلاد البلطيق، طبع في مطابع الجاسر، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(٨٠) بيليز والسلفادور (من سلسلة الرحلات في جمهوريات الموز) طبع في مطابع العلا، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٨١) (العودة إلى ما وراء النهر) جولة في آسيا الوسطى، وحديث عن شؤون المسلمين، طبع في مطابع المسموعة، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(٨٢) (على سقف العالم) رحلة في التبت، وحديث في شؤون المسلمين، نشره نادي القصيم الأدبي، بريدة، ١٤٢٢هـ.

(٨٣) الإسلام والمسلمون في غرب إفريقية، أو بقية البقية من حديث إفريقية، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٨٤) بلاد العربية الضائعة (جورجيا) طبع في مطابع العلا، الريلض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٨٥) الاعتبار في السفر إلى ماليبار (من سلسلة الرحلات الهندية)، نشره النادي الأدبي الثقافي في مكة المكرمة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٨٦) ذكريات من خلف الستار العقيدي، رحلة في شرق أوروبا وأحاديث في أحوال المسلمين، طبع في مطابع النرجس، الرياض،١٤٢٢هـ.

(٨٧) بالي، جزيرة الأحلام، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٨٨) غايتي من السفر إلى هايتي، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٨٩) إلى جنوب الشمال: بلاد السويد، طبع في مطبعة العلا، الريلض، ١٤٢٣هـ.

(٩٠) وراء المشرقين رحلة حول العالم وحديث في أحوال المسلمين، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٩١) إلمامة بجنوب الفلبين لحضور الاحتفال بافتتاح المباحثات السلمية بين الحكومة الفلبينية وجبهة تحرير مورو الإسلامية، ومشاهدات أخرى، مطابع النرجس عام ١٤٢٤هـ /٢٠٠٣م.

(٩٢) رحلة هونغ كونغ وما كاو، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٩٣) إلى أقصى الجنوب الإفريقي، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٩٤) شمال سيبريا (من سلسلة الرحلات السيبرية) مطابع النرجس، الرياض، عام ١٤٢٤هـ.

(٩٥) فوق سقف الصين: رحلة في الشمال الغربي من الصين، وحديث عن المسلمين، طبعته مطبعة العلا في الرياض، عام ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(٩٦) إقليم أورنبورغ (من سلسلة الرحلات في جنوب روسيا) طبع في مطابع العلا في الرياض، عام ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(٩٧) إلى إريتريا بعد ٣٦ سنة، طبع في مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٤هـ.

(٩٨) الشرق الشمالي من البرازيل: رحلة في ولايات: برنانبوكو وريوقراندي دي نورتي وباراييبا (من سلسلة الرحلات البرازيلية) طبع في مطابع العلا في الرياض.

(٩٩) من غينيا الاستوائية إلى ساو تومي: رحلات في القارة الإفريقية، مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(١٠٠) من روسيا البيضاء إلى روسيا الحمراء (من سلسلة الرحلات في القارة الأوروبية) مطابع العلا في الرياض، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

(١٠١) إلى شمال الشمال: بلاد النرويج وفنلندا (من سلسلة الرحلات في القارة الأوروبية)، مطابع العلا في الرياض، ١٤٢٤هـ.

(١٠٢) في غرب أستراليا (من سلسلة الرحلات الأسترالية) طبع في مطابع العلا في الرياض، عام ١٤٢٩هـ.

(١٠٣) (نظرات في شمال الهند) مجلدان، طبع في مطابع النرجس في الرياض، عام ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

(١٠٤) جولات فنزويلية وحديث عن المسلمين في أحد أركان القارة (من سلسلة رحلات في أمريكا الجنوبية)، مطبعة النرجس في الرياض عام ١٤٢٧هـ.

(١٠٥) الحل والرحيل في بلاد البرازيل (ثلاثة مجلدات من سلسلة الرحلات البرازيلية)، (تحت الطبع).

(١٠٦) في وسط الهند، طبعته مطبعة النرجس عام ١٤٢٦هـ.

(١٠٧) قوادي لوب وانتقوا وسان مارتن (من سلسلة الرحلات في البحر الكاريبي) طبع مطابع النرجس عام ١٤٢٩هـ.

(١٠٨) في شمال شرق آسيا، رحلة في سيبريا ومنغوليا، طبع مطابع العلا في الرياض، عام ١٤٢٦هـ.

(١٠٩) القلم وما أوتي، في جيبوتي، مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٥هـ.

(١١٠) خلال أوكرانيا بحثاً عن المسلمين، (من سلسلة الرحلات في بلاد الشمال)، (تحت الطبع).

(١١١) مقال في زيارة منطقة الأورال، (من سلسلة الرحلات في وسط روسيا)، طبع مكتبة الطرفين في الطائف عام ١٤٣٠هـ.

(١١٢) بورتوريكو وجمهورية الدومنيكان، (من سلسلة الرحلات الكاريبية)، طبع في مطابع النرجس في الرياض، عام ١٤٢٩هـ.

(١١٣) جمهورية القبائل الروسية (رحلات في جنوب روسيا)، نشرته مكتبة الرشد بالرياض.

(١١٤) في غرب سيبيريا، مشاهدات وأحاديث في شئون المسلمين (الرحلات السيبيرية)، نشرته مكتبة الرشد بالرياض.

(١١٥) شمال أستراليا، رحلة وحديث في أحوال المسلمين (الرحلات الأسترالية)- (تحت الطبع).

(١١٦) إلمام بالمحيط الهادي من أستراليا إلى جزيرة قوام (الرحلات الأسترالية)، نشرته دار الثلوثية في الرياض.

(١١٧) إلى الشرق الأقصى الروسي (الرحلات الروسية)، نشرته دار الثلوثية في الرياض.

(١١٨) في أقصى شرق الهند (الرحلات الهندية) طبعته مطبعة النرجس عام ١٤٣٢هـ.

(١١٩) جنوب أستراليا (الرحلات الأسترالية)، نشرته دار الثلوثية في الرياض عام ١٤٣٠هـ.

(١٢٠) رحلة أخرى إلى الحبشة بعد أربعين عاماً، مطبعة النرجس في الرياض، عام ١٤٣١هـ.

(١٢١) قول أوفى، في كوسوفا، نشرته دار الثلوثية في الرياض، عام ١٤٣١هـ.

(١٢٢) القول المجسّد من الجولة في الجبل الأسود، مطابع النرجس في الرياض، سنة ١٤٣٣هـ.

(١٢٣) رحلة إلى المدينة المنورة قبل ستين سنة: نشرته دار الثلوثية في الرياض عام ١٣٣١هـ.

(١٢٤) في أعماق الصين الشعبية: رحلة في مقاطعة منقوليا الداخلية وحديث عن الإسلام والمسلمين: طبعته مطبعة النرجس عام ١٤٣١هـ.

(١٢٥) العودة إلى غرب إفريقية، طبعته مطبعة النرجس عام ١٤٣٢هـ.

(١٢٦) رحلة من بريدة إلى الظهران قبل ٦٠ سنة، مطبعة النرجس في الرياض، ونشرته مكتبة الثلوثية، عام ١٤٣٢هـ.

(١٢٧) غينيا الجديدة آخر الغينيات زيارة، تطبعه الآن- ١٤٣٣هـ- مطبعة النرجس في الرياض.

(١٢٨) الإشراف على أطراف من المغرب العربي، طبعته بنفقتها ونشرته في العالم وفي المغرب خاصة وزارة التعليم العالي في المملكة العربية السعودية، عام ١٤٣٣هـ.

(١٢٩) سفرة إلى تاجيكستان، مطبعة النرجس في الرياض، ١٤٣٣هـ

(١٣٠) العودة إلى المغرب الأقصى (بين الصحراء والأرض الخضراء، طبعته وزارة التعليم العالي ونشرته في العالم وبخاصة في المغرب، عام ١٤٣٣هـ.

(١٣١) تجوال في بلاد البرتغال، مطبعة النرجس في الريض، عام ١٤٣٣هـ.

(١٣٢) الرحالة العظيم ابن بطوطة وشواهد على صدقه، نشرته دار الثلوثية للطبع والنشر في الريض، عام ١٤٣٣هـ.

(١٣٣) حول العالم في خط متعرج (تحت الطبع).

(١٣٤) الرحلات النيجرية- كنا في (كانو) وجئنا من (أبوجا) الرحلة الثانية إلى نيجريا بعد ٢٦ سنة من الأولى (وهو هذا الكتاب).

(١٣٥) كرة أُخْرَى إلى شرق إفريقيا الخضراء بعد ٣٣ سنة، (وهو هذا الكتاب).

(١٣٦) السفر والأوبة، من كوبة، نشرته دار الثلوثية في الرياض، عام ١٤٣٥هـ.

(١٣٧) العودة إلى أزبكستان، نشرته دار الثلوثية في الرياض.

(١٣٨) شرق أستراليا، من سلسلة الرحلات الأسترالية، نشرته دار الثلوثية في الرياض.

مؤلفاته المطبوعة في غير فن الرحلات

(١٣٩) معجم بلاد القصيم (في ستة مجلدات)-نشرته دار اليمامة بالمطابع الأهلية للأوفست، الرياض، ١٣٩٩هـ، ثم طبع مرة أخرى في عام ١٤١٠هـ.

(١٤٠) أخبار أبي العيناء اليمامي- طبع في الرياض وبيروت عام ١٣٩٨هـ.

(١٤١) الأمثال العامية في نجد (خمسة مجلدات) ساعدت دارة الملك عبدالعزيز في الرياض على طبعه، ونشرته دار اليمامة للطبع والنشر عام ١٣٩٨هـ.

(١٤٢) كتاب الثقلاء- نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في سلسلة الكتاب السعودي.

(١٤٣) نفحات من السكينة القرآنية- طبع أكثر من مرة آخرها طبعة لوزارة المعارف لتوزيعها على مكتبات المدارس- نشرته دار العلوم، الرياض، ١٤٠٣هـ.

(١٤٤) مأثورات شعبية- نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في سلسلة الكتاب السعودي.

(١٤٥) سوانح أدبية- طبع مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤٠٥هـ.

(١٤٦) صور ثقيلة- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤٠٥هـ.

(١٤٧) العالم الإسلامي والرابطة- نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبع في مطبعتها في مكة المكرمة، ١٤١٤هـ.

(١٤٨) نظرة إلى العلاقات العربية مع أهالي جنوب الصحراء، مطابع التقنية، الرياض، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(١٤٩) المقامات الصحراوية- مطابع التقنية، الرياض، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(١٥٠) مساعدات المملكة العربية السعودية للمسلمين، وبخاصة الأقليات المسلمة- بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية- نشرته لجنة الاحتفال بمرور

مائة عام على التأسيس، وطبعته في مطابع الناشر العربي، الرياض، ١٤١٩هـ.

(١٥١) كلمات عربية لم تسجلها المعاجم، أحد بحوث المؤتمر الثاني للأدباء السعوديين، نشرته جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٠هـ.

(١٥٢) المملكة العربية السعودية بين الماضي والحاضر (لمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة)- نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطابعها في مكة المكرمة، ١٤١٩هـ.

(١٥٣) مدلولات كلمات قضى عليها حكم الملك عبدالعزيز، نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون (لمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية).

(١٥٤) رابطة العالم الإسلامي إحدى القنوات السعودية لمساعدة المسلمين- نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها بمكة المكرمة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(١٥٥) الدعاة إلى الله: شرف مهمتهم، وطرق دعمهم، نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها في مكة المكرمة، ١٤٢٠هـ.

(١٥٦) واجب المسلم في بلاد الأقليات، نشرته رابطة العالم الإسلامي، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

(١٥٧) (العالم الإسلامي: واقع وتوقعات) نشرته مجلة (العربية) التي تصدر في الرياض مصاحباً لعدد ذي الحجة ١٤٢٠هـ منها.

(١٥٨) الدعوة الإسلامية وإعداد الدعاة، طبعته مطابع الجاسر، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(١٥٩) (حِكَمُ العوام)، طبعت في مطابع الجاسر، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(١٦٠) في لغتنا الدارجة: كلمات قضت، (كتاب لغوي) طبعته بنفقتها ونشرته ضمن منشوراتها دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، في مجلدين كبيرين.

(١٦١) حكايات تحكى (قصص)، نشره نادي القصيم الأدبي في بريدة، عام ١٤٢١هـ.

(١٦٢) أثر الأقليات المسلمة في الدعوة الإسلامية، نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها في مكة المكرمة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(١٦٣) الكناية والمجاز في اللغة العامية، نشرته مجلة الدرعية التي تصدر في الرياض، ١٤٢٣هـ.

(١٦٤) أماكن قديمة العمارة في القصيم، نشرته مكتبة العبودي في بريدة لصاحبها صالح بن عبدالله العبودي.

(١٦٥) معجم الألفاظ الدخيلة في لغتنا الدارجة، نشرته مكتبة الملك عبدالعزيز العامة في الرياض في مجلدين- عام ١٤٢٥هـ.

(١٦٦) المقامات البلدانية، نشره النادي الأدبي في الرياض، عام ١٤٢٦هـ.

(١٦٧) الأصول الفصيحة للألفاظ الدارجة، أو ما فعلته القرون بالعربية في مهدها (ثلاثة عشر مجلداً) نشرته مكتبة الملك عبدالعزيز العامة في الرياض، عام ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

(١٦٨) الحوار في الإسلام، نشرته دار الطرفين للنشر والتوزيع في الطائف، عام ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

(١٦٩) دور الأقليات الإسلامية في الدعوة إلى الله، نشرته دار الطرفين للنشر والتوزيع في الطائف، عام ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

(١٧٠) الأقليات المسلمة: الواقع والمأمول، نشرته دار الطرفين للنشر والتوزيع في الطائف، عام ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

(١٧١) العالم الإسلامي: الواقع والمعاناة، نشرته دار الطرفين للنشر والتوزيع في الطائف، عام ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

(١٧٢) هذا ما أستوحيته من الناس، كتاب أدبي طبع في مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٩هـ.

(١٧٣) جهود خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز رحمه الله في مساعدة الإخوة المسلمين وبخاصة في بلاد الأقليات المسلمة، مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٩هـ.

(١٧٤) العلاقات بين المملكة العربية السعودية وتركيا، طبع في مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٩هـ.

(١٧٥) أخبار الملا ابن سيف نشرته دار الثلوثية في الرياض.

(١٧٦) أخبار قني نشرته دار الثلوثية في الرياض.

(١٧٧) أخبار مطوع اللسيب نشرته دار الثلوثية في الرياض.

(١٧٨) مشاهد من بريدة قبل ٧٥ سنة، نشرته دار الثلوثية في الرياض.

(١٧٩) المطوع في باريس، نشره النادي الأدبي في الرياض.

(١٨٠) الأصدقاء الثلاثة (رواية) طبعتها مطبعة النرجس في الرياض، عام ١٤٣٢هـ.

(١٨١) كلمات قضت (في مجلدين كبيرين: معجم بالفاظ اختفت من لغتنا الدارجة أو كادت) نشرته دارة الملك عبدالعزيز في الرياض.

(١٨٢) معجم النخلة في المأثورات الشعبية، نشرته دار الثلوثية في الرياض، عام ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.

(١٨٣) معجم المطر والسحاب، نشرته دار الثلوثية في الرياض في عام ١٤٣٢هـ.

(١٨٤) معجم الأنواء والفصول، نشرته دار الثلوثية في الرياض في عام ١٤٣٢هـ.

(١٨٥) معجم الديانة والتدين، نشرته دار الثلوثية في الرياض في عام ١٤٣٢هـ.

(١٨٦) معجم ألفاظ الصيد والقنص، نشرته دار الثلوثية في الرياض في عام ١٤٣٢هـ،

(١٨٧) معجم السفر والترحال، نشرته دار الثلوثية للنشر والتوزيع، في الرياض، عام ١٤٣٢هـ.

(١٨٨) معجم ألفاظ الحرف والصنائع في المأثورات الشعبية (تحت الطبع).

(١٨٩) معجم الحيوان عند العامة، نشرته مكتبة الملك فهد الوطنية في الرياض عام ١٤٣١هـ.

(١٩٠) الشيخ العلامة عبدالله بن محمد بن حميد كما عرفته في مجلدين: نشرته دار الثلوثية في الرياض عام ١٤٣٢هـ.

(١٩١) معجم أسر بريدة في٢٣ مجلداً، نشرته دار الثلوثية في الرياض، وطبع في مطبعة حاج في بيروت، عام ١٤٣١هـ.

(١٩٢) المستدين: قصة طبعت في مطبعة النرجس عام ١٤٣١هـ.

(١٩٣) الأصدقاء الثلاثة: رواية، طبعت في مطابع الفرزدق في الرياض، عام ١٤٣٢هـ.

(١٩٤) العلاقات بين المملكة العربية السعودية وتركيا، طبع في مطابع النرجس، عام ١٤٣٠هـ.

(١٩٥) القضاء والقضاة في المملكة العربية السعودية بين الماضي والحاضر، نشرته دار الثلوثية في الرياض، عام ١٤٣٢هـ.

(١٩٦) أهمية الوثائق المحلية في تاريخ الأفراد والأسر، نشرته دار الثلوثية في الرياض، عام ١٤٣٣هـ.

(١٩٧) الرحلات العالمية وآثارها في الدعوة إلى الله، نشرته دار الثلوثية في الرياض، عام ١٤٣٢هـ.

(١٩٨) الشيخ العلامة محمد بن علي الحركان، نشرته دار الثلوثية في الرياض عام ١٤٣٢هـ.

(١٩٩) العلامة عبدالعزيز بن صالح إمام المسجد النبوي الشريف، نشرته دار الثلوثية في الرياض، وطبع في مطبعة النرجس، عام ١٤٣٢هـ.

(٢٠٠) معجم الأقارب والأصدقاء، نشرته دار الثلوثية للطبع والنشر، في الرياض عام ١٤٣٢هـ.

(٢٠١) معجم الأصول الفصيحة للأمثال الدارجة في ثمانية مجلدات، طبعته مكتبة الملك عبدالعزيز العامة في الرياض عام ١٤٣٤هـ.

(٢٠٢) أخبار حمد الصقعبي، نشرته دار الثلوثية في الرياض، عام ١٤٣٤هـ.

(٢٠٣) معجم أشجار البساتين ونباتها في القصيم، نشرته مؤسسة صالح بن صالح الثقافية في عنيزة، عام ١٤٣٥هـ.

(٢٠٤) معجم وجه الأرض، نشرته دار الثلوثية للطبع والنشر في الرياض.

(٢٠٥) معجم ألفاظ الحضارة في المأثور الشعبي، نشرته دار الثلوثية في الرياض، عام ١٤٣٥هـ.

(٢٠٦) موضي وأخواتها: رواية، طبعت في مطبعة النرجس في الرياض، ١٤٣٥هـ.

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، اللهم اننا نستعين بك على جميع أمورنا ونستهديك في كل أفعالنا ونعوذ بك من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك سيدنا محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد: فإن لهذا الكتاب أهمية تنبعث من كونه يتحدث عن موضوع مهم هو موضوع إخواننا المسلمين في بعض بلاد نيجريا الواسعة، وعن جهود الإخوة المسلمين فيها للتمسك بدينهم الإسلامي الحنيف، بل الدفاع القوي عنه تجاه هجمات الحاقدين الموتورين من محليين في نيجريا ومن عالميين.

والحديث هنا عن نيجريا لا يشمل كل ما ينبغي أن يقال عنها لأنه لو كان الأمر كذلك لكان حدينا طويلاً أو يجب أن يكون كذلك، ولكن المؤلف كان قد تجول في نجيريا قبل ٢٦ سنة وكتب عنها كتاباً في مجلدين عنوانه: (قصة سفر في نيجريا) لذلك رأى أن الحديث عن كل ما في نجيريا هنا سيكون من الكلام المعاد، فاقتصر على ما يوضح المراد في هذا الكتاب مما شاهده بعد تلك السنوات الطوال، وعما لم يشاهده إلا في هذه المرة.

أما اسم الكتاب الذي يبدو أنه غريب، فإنه يدل على أننا كنا في مدينة (كانو)- أكبر مدن الشمال، وأننا جئنا إلى بلادنا بعد ذلك من مدينة (أبوجا) عاصمة نيجريا.

وعلى العادة التي أخذت بها نفسي في الكتابة في الرحلات وأحوال المسلمين قد اعتمدت على المشاهدات، وما يتعلق بها من الأخبار عن الأمور الأخرى المتعلقة بالمشاهدات مع عدم التبسط، بل قل: إنه عدم التخبط في النقول المختلفة عن الكتب والمجلات أو ما يقال في الجلسات أو يسمع في همسات، أو حتى جهراً من كلمات فذلك له مقام غير هذا المقام، وربما كان له مقال في حال غير هذه الحال.

والله المستعان وعليه التكلان.

المؤلف

محمد بن ناصر العبودي

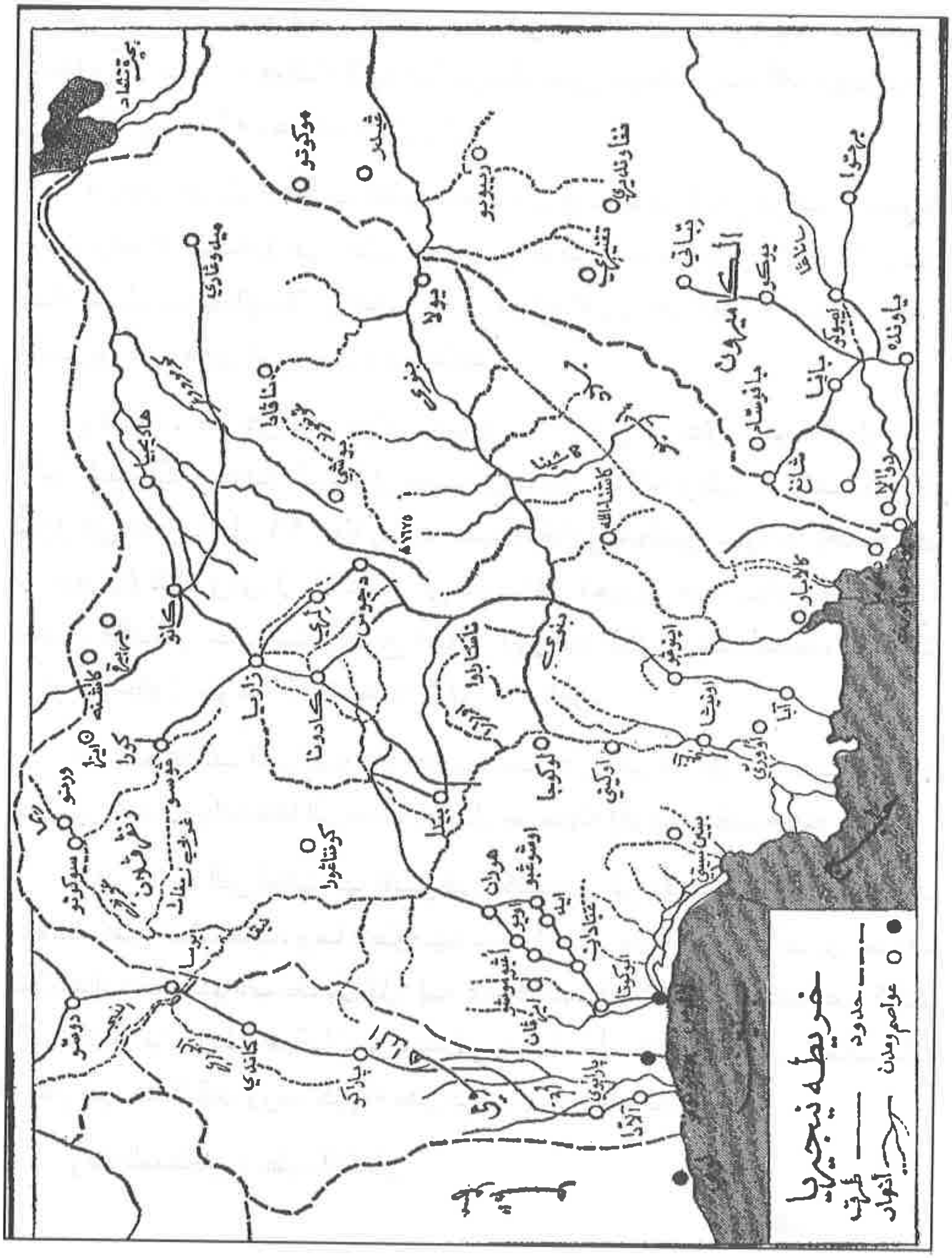
خريطة نيجيريا
طرق
حدود
أنهار
عواصم ومدن

يوم الثلاثاء ١١ ربيع الثاني عام ١٤٢٧هـ ٩ مايو ٢٠٠٦م:

غادرت بيتي في مكة المكرمة ضحى ومعي رفيق الرحلة الأخ محمد بن أحمد الحساني المدير العام للمكاتب والمراكز الخارجية في رابطة العالم الإسلامي قاصدين جدة، وكان يسوق بنا سائقي الخاص الذي بقي يعمل لدي عشرين سنة أو تزيد حتى الآن.

ومع طريق جدة من مكة السريع العظيم الذي مهما كثرت السيارات السائرة بل التي تكاد تكون طائرة فوق ظهره، فإنه لا يئن ولا يمنّ ما عدا أصوات بعض العجلات التي يصر أصحابها على أن تسابق غيرها مهما كان سير غيرها سريعاً ولو كان مريعاً.

وجلسنا في مكان مريح في مطار جدة أو كما يسمى رسمياً مطار الملك عبدالعزيز الدولي في جدة وسائقنا يسعى في وزن الأمتعة وقطع التذاكر، ثم ذهبنا للدخول في قاعة المغادرة الدولية الخاصة بالخطوط الجوية السعودية فرأينا فيها ما أعجبنا، بل ما أزعجنا من كثرة الصفوف الطويلة التي يتطلب أهلها ركوب الطائرات السعودية إلى بلادها، رأينا فيها صفوفاً من الإيرانيين الذين يعودون بعد العمرة إلى بلادهم وصفوفاً متراصة من الجزائريين،وأخرى طويلة من الباكستانيين، إضافة إلى الرحلات الأخرى.

ولم يكن بإمكاننا الانتظار في هذا الصف الطويل فشفع لي جوازي (الدبلوماسي) بأن اتقدم عليها وأسرع الإخوة في مكاتب الجوازات للمغادرين بانجازها.

ومن هناك إلى قاعة المغادرة التي غصت حقيقة لا مجازاً بمعنى أنها لم تستطع كراسيها الكثيرة أن تستوعب كل أولئك الجموع، غير أننا لن نكون

معهم لأننا ذاهبون إلى غرفة الدرجة الأولى التي لم يكن فيها منهم أحد إلاَّ القليل وإنما كان فيها من علية قومنا ومن ذوي المظهر الأوروبي أقل.

استرحنا في القاعة على أشربة حارة وباردة وأطعمة خفيفة، وباستعمال حمامها النظيف الخاص بها.

وصلينا في مكتب صغير قد فرشت فيه سجادتان صغيرتان كل واحدة تتسع لمصل واحد.

وخجلت عندما علمت أنه لا توجد هنا غرفة للصلاة، مع أن أكثر المسافرين هم من المسلمين، وحتى لو لم يكونوا كذلك، فإننا ينبغي أن نعد مكاناً مناسباً للصلاة، ويكفي أن تعلم أن معظم المطارات الأوروبية وهي تابعة لقوم كافرين فيها مساجد صغيرة أوأماكن مخصصة للصلاة للمسافرين المسلمين.

ثم خرجنا مع الخارجين على حافلة كبيرة ليس فيها إلاَّ عدد قليل من النجيريين لأن الرئيسية كانت قد امتلأت بل الرئيسيتان امتلاتا قبلنا وأفرغتا حملهما في الطائرة.

ركبنا في الدرجة الأولى وإذا بأحد الركاب قد جلس في مكاني عند النافذة ولما رأته المضيفة جالساً أشارت إلى مكانه المجاور، تقول لي: اجلس هنا وهي إندونيسية أو آسيوية شرقية غير مجربة، فقلت لها: لا أجلس إلا في مكاني الذي وضع لي على بطاقة الصعود إلى الطائرة وكنت أوصيت عليه من قبل.

فأسرع زميلي الأخ محمد الحساني يتنازل عن مكانه في الطائرة عند النافذة ولم أوافق إلا بعد إلحاحه ليس من أجل المكان فقط وإنما من أجل أن يتعلم من لهم علاقة هنا من الركاب والمضيفة أن يحترموا النظام الموضوع.

كان معنا في الدرجة الأولى شخص وجيه يلبس ملابس الزعماء المسلمين في شمال نيجيريا مما ذكرني بمنظر السيد أحمدو بيلو رحمه الله، ومعه مرافق يعتني به لأنه مسنٌّ فلم أطق صبراً على أن أسلم عليه وأسأله عن اسمه فذكر مرافقه أن اسمه الهاتف- وربما هي عبداللطيف- عثمان وهو من أهل صوكتو.

من جدة إلى كانو:

قامت طائرة الخطوط السعودية التي نحن مسافرون معها من جدة قاصدة مدينة (كانو) في الثانية والنصف ظهراً متأخرة ساعة كاملة عن الموعد المحدد لقيامها في الأصل، وكانوا أخبرونا ونحن على الأرض بأنها سوف تتأخر ساعة، وهي من طراز بوينغ ٧٤٧ العملاقة، وقد امتلأت على ضخامتها من الركاب، وذلك أن السعودية هي المؤسسة الوحيدة من شركات الطيران التي تسير رحلة مباشرة من جدة إلى (كانو) في شمال نيجريا، والوقت الآن وقت عمرة فيأتي من نيجيريا الكبيرة أناس كثير للعمرة وللتجارة أو لهما كليهما.

وكنا علمنا في مكة المكرمة أن تجارة بعض التجار الصغار هي صغيرة ولكنها عجيبة فبعضهم أو بعضهن من التاجرات، ومن التكارنة، على وجه العموم- تاجرات قد تخصصن في جمع الملابس العربية المستعملة وغسلها ورتقها ثم تحميلها إلى نيجريا وبيعها هناك، وبعضهم يتاجر بالأشياء الخفيفة من الساعات والآلات الكهربائية ونحوها.

وبعضهم يتاجر بجهده أو قوته الشخصية فيتخلف في مكة المكرمة عند سفره بعد العمرة، ويبقى يبحث عن عمل يدوي يومي، ويجد الملجأ عند أبناء قومه أو بلدته الذين سبقوه إلى الإقامة في مكة، حتى إذا جمع ما يكفي أو ما

يراه أنه يكفي من مال قليل عرَّض نفسه إلى الشرطة التي تقبض عليه بتهمة التخلف والإقامة بدون إذن في المملكة وتسفره أي تبعده على نفقتها إلى بلاده، وهذا هو ما يريده.

غير أن المشكلة لغيره ليست مشكلة له وأمثاله، إذْ المعروف أن المتخلف المرحل لا يجوز أن يمنح سمة دخول إلى المملكة لمدة معينة ولكن بعض الأفارقة يستطيعون أن يتخلصوا من ذلك بسبب ما يسمى بالفساد الإداري في بلادهم فيعود بعد مدة قليلة باسم جديد وجواز جديد، ولا يستطيع أحد أن يعرف أنه هو الذي كان قد رُحِّل قبل ذلك.

لاسيما مع كثرة الأفارقة القادمين من أقطار إفريقية عديدة.

وعلى أية حال فحالات التأخر هذه ثم الترحيل ليست حالة الأكثر ولكنها موجودة.

هذا وقد أعلنت المضيفة أن الطيران إلى (كانو) يستغرق أربع ساعات وخمسين دقيقة، ومقاعد الدرجة الأولى نصفها خالٍ، والمشغول كل الذي فيه هم من الأفارقة إلا نحن الاثنين وثالث تبين أنه سعودي إذْ التقينا به في مادبة العشاء في (كانو).

أما المضيفات فهما رجل سعودي وفتاة من جنوب آسيا الشرقي غير مجربة إضافتهم جيدة أو لنقل إنها متوسطة أي مماثلة لكثير مما تقدمه شركات الطيران الدولية في الدرجة الأولى.

ويذكر أن هدفنا في هذه الرحلة هو مدينة (أبوجا) عاصمة نيجريا، ولكن لا يوجد طيران دولي إليها، ولابد من الوصول إلى مطار (كانو) الدولي وشركات الطيران العاملة داخل نيجريا لاتطير طائراتها في الليل، لذلك لابد لنا من أن نبيت هذه الليلة في مدينة (كانو)، ثم نغادرها بعد ذلك إلى (أبوجا) بإذن الله.

وسوف يكون في استقبالنا في مطار (كانو) الدكتور فضل خلود مدير مكتب رابطة العالم الإسلامي في نيجريا، ومقره في (أبوجا) فيصحبنا من (كانو) إلى أبوجا.

من الطريف في هذه الرحلة المسافرة إلى إفريقيا أنه يبدو أن الخطوط السعودية لم تعتن بها العناية اللازمة فالمضيفة غير مجربة وإحدى نوافذ الدرجة الأولى قد سقط غطاؤها الذي يمنع النور والشمس ولم يستبدل.

وعرضوا في الطائرة شريطاً سينمائياً جميع أبطاله من البيض الأوروبيين أو ذوي المظهر الأوروبي ليس بينهم أسود واحد، وقلت في نفسي: أما كان الأجدر بهم أن يعرضوا شريطاً (فيلماً) إفريقياً أو أمريكياً يكون الممثلون فيه من السود؟

وذكرت بهذه المناسبة أنني كنت في نيروبي عاصمة كينيا قبل أربعين سنة وعرضت دار السينما الرئيسية فيها (فيلماً) سينمائياً يحكي قصة آدم وحواء، وقد مثل آدم ممثل أبيض ومثلت حواء ممثلة بيضاء فاحتج السود من أهل البلاد على عرض ذلك (الفلم) قائلين- كما نشرت الصحف-: من الذي قال: إن أبانا آدم كان رجلاً أبيض، وإذا قيل ذلك فإنه يُفهم من الفلم وقصته أن السود ليسوا من ذريته.

وعلى أية حال قد تأتي مناسبة للحديث في هذا الكتاب عن السبب في سواد بعض الناس وبياض بعضهم الذي نوه به القرآن الكريم في قوله تعالى **(ومن آياته خَلْق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم)**، وورد في الحديث أيضاً: أن الله لا ينظر إلى صوركم وأقوالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم.

والصور فيها الألوان وأصرح منه ما رايته في ألفاظ هذا الحديث عند بعض العلماء وهو (أن الله لا ينظر إلى صوركم وألوانكم الخ. ولكنني لم أتأكد من صحة هذه الرواية، وإن لم تصح فإن اللون جزء من صورة المرء، بل هو أظهر شيء في صورته كما هو واضح.

كيف كان الطريق إلى نيجريا:

غادرنا جدة رأساً إلى أهم مدينة في نيجريا بالنسبة للإخوة المسلمين وهي (كانو) التي فيها المطار الدولي الذي يسافر منه الناس الذين يسكنون في (أبوجا) مع هذه الطائرة السعودية الفخمة المريحة، وقد ذكرت كيف وصلنا إلى مدينة (كانو) النجيرية هذه في أول مرة سافرنا فيها إلى نيجريا وكيف أننا قدمنا إلى مدينة (لاجوس) من أكرا في غانا وقبلها كنا في سيراليون وليبيريا، وقبل ذلك وصلنا تلك البلدان من داكار عاصمة السنغال.

ولم يكن يوجد طيران مباشر من بلادنا إلى الدار البيضاء في المغرب التي يمر بها المسافرون منا إلى السنغال، وإنما كان ذلك بالطيران من مدينة إلى مدينة.

وذكرت كيف عانينا المشقات عند الوصول إلى لاجوس ومن أشق ذلك واصعبه الحصول على غرف في فندق آمن وكنا ثلاثة إذْ كان معي اثنان هما الشيخ عبدالعزيز الربيعان والشيخ إسماعيل بن عتيق.

ولم نستطع ذلك بالفعل فذهبنا بامتعتنا إلى السفارة السعودية في لاجوس على سيارة أجرة لأنني كنت أبرقت لها من أكرا بوصولنا، ولكن البرقية لم تصل إلاَّ بعد وصولنا بثلاثة أيام.

ولم نحصل على غرف بل غرفتين إحداهما لي والأخرى للأخوين اللذين معي إلا بعد جهد عظيم وضياع وقت طويل.

كان ذهب معنا ثلاثة دبلوماسيين اثنان من السفارة السعودية وهما عمر الخزيم وإسماعيل صفطة والثالث كبير الرتبة في السفارة المغربية، ولكنه أمضى مدة طويلة في نيجيريا ويعرف الأشياء بعمق، ثم كيف عانينا في السفر إلى (كانو) من لاجوس، وقد ذكرت ذلك كله في كتاب: (قصة سفر في نيجريا) الذي ألفته في جزئين عن تلك الرحلة القديمة التي مضت عليها الآن ٢٦ سنة.

ذكرت ذلك كله فجددت الحمد لله والشكر له على نعمه، ولكن الشيء الذي أفزعني أننا الآن قد تقلصت مساعداتنا للمسلمين في نيجريا عما كانت عليه الحال في السابق رغم كل هذه السهولة والراحة في السفر إليها والوصول إلى الإخوة المسلمين العاملين في الجمعيات والمؤسسات الإسلامية فيها.

وهذا أمر مؤسف والمؤسف أكثر أن بعض الشبان الأغرار من بني قومنا إذا ذكر لهم السفر إلى نيجيريا زموا شفاههم وأظهروا التكره على وجوههم كأنما كانوا سيقدمون على مكروه، يزعمون أن نيجيريا بلاد متخلفة، وأنها لذلك متعبة وغفلوا بهذا عن حقيقتين أولاهما أن بلادنا كانت تعاني من شظف العيش، و من نقص الخدمات المدنية مثلما تعاني هذه البلاد النيجرية منها الآن أو أكثر.

وثانيهما أن الذين يذهبون إلى لقاء الإخوة المسلمين والمراد بهم العاملون في الجمعيات والمؤسسات الإسلامية ينسون ما كان أسلافنا الأماجد يقاسونه ويصبرون عليه بالرضا والاحتساب من الذهاب إلى البلاد البعيدة المخوفة يجاهدون في سبيل الله ويعرضون أنفسهم وأموالهم للفقد كما يتبع ذلك كونهم يعرضون أولادهم لليتم والفاقة ولم يمنعهم ذلك من الجهاد ولا من تقوية إخوانهم المسلمين.

ونحن الأخلاف ننسى ما لاقاه الأسلاف من ذلك، ونتأفف من نقص في خدمات الفنادق والمطاعم ومن معاملة غير ناعمة من بعض كبراء القائمين على الجمعيات الإسلامية.

فلا حول ولا قوة لا بالله.

الوصول إلى مطار كانو:

بدأت الطائرة التدني إلى الأرض شيئاً فشيئاً وهي تتدلى بهدوء ظاهر في جو قد صحت شمسه عن الغيم، ولكن الأرض ليست واضحة بسبب كثافة بخار الماء على الأرض الذي لاشك في أن حرارة الشمس قد أثارته.

وذلك في السابعة والربع بعد أن أمضت أربع ساعات وربعاً من الطيران.

ولم نتبين من الأرض إلا تلك الأشجار البرية الكثيرة التي لا تؤلف غابات في أرض الشمال المسلم، وإنما تؤلف مراعي ومراتع أنموذجية للماشية، ولذلك تكثر المواشي في هذه المنطقة الشمالية المسلمة التي أكبر مدنها وأكثرها سكاناً مدينة (كانو) هذه التي نقبل عليها الآن، ولذلك يقول أهل نيجيريا: إن في الشمال الماشية والزراعة وفي الجنوب النفط والمعادن.

والعجيب الغريب أن الشمال يبدو في عين من يراه أشبه ما يكون بالصحراء والجنوب يبدو كما تبدو المناطق الاستوائية كثيف الغابات أخضر الأرض طول العام، ومع ذلك ينتج الشمال من المواشي، ومن كافة أنواع اللحوم أكثر مما ينتجه الجنوب منها أضعافاً مضاعفة.

وبدت الأرض من الطائرة التي لا تزال تعتبر مرتفعة جداً أرضاً خصبة تكثر فيها الأشجار الكبيرة التي يمكن أن ترعاها الإبل والماعز.

ولم أر قرى أو منازل في هذه المنطقة، ولكن تبين أن السبب في ذلك هو أن القرى والمنازل مبنية من الطين ولونها هو لون الأرض، لذلك لا يميزها النظر إلا في كونها مجتمعة في أكثر الأحيان وإن كان بعضها متفرقاً.

وكلما قربنا من (كانو) وزاد تدني الطائرة من الأرض تكاثفت الأشجار واتضح مرأى الأرض بأنها أرض مراتع جيدة وتميزت القرى في المنظر عما حولها من الأرض الخلاءِ.

ثم بدأت تظهر بعض البيوت ذوات السقوف البيض وهي التي سقوفها من الصفيح الأبيض وتلك المنازل مسنمة السقوف من أجل أن تنزلق عنها مياه الأمطار في الأيام الماطرة في الصيف في العادة.

وتبدو الشوارع في وسط القرى والضواحي ترابية ولكنها مستقيمة مما يدل على أن تخطيطها حديث، أو أنه قديم روعي فيه أن تكون مستقيمة.

ثم تكاثفت البيوت في رأي العين والطائرة تمعن في تنزلها للمطار فبدا فيها شارع رئيسي مزفتاً لا أدري ما هو، ولا أعرف اسمه، لأنه لا أحد معنا يعرف ذلك أو يهتم به.

وكذلك كبر حجم الأشجار في رأي العين مما يدل على أنها بلاد رعي خصبة.

ومرت الطائرة فوق مجرى وادٍ ضخم جاف لاشك في أنه يسيل بالسيل إبان موسم الأمطار أما الآن فليس فيه إلا التراب.

أما الأشجار الخضر الكبيرة فتبدو كأشجار الطلح في الصحراء الخصبة ولا أدري ما هي من هذا الارتفاع.

وتبين أن لمدينة (كانو) ضواحي متباعدة، إن لم نقل إنها منثورة أي أنها غير متلاصقة، مع أحياء المدينة الملاصقة لها، إلا أن منظر الشوارع والأزقة فيها منظر الترابية غير المزفتة وينبغي أن نتذكر أن سكان مدينة كانو يبلغ عددهم أربعة ملايين، وقال لي بعضهم إنهم خمسة ملايين نسمة.

ثم مررنا فوق مجرى ضخم لوادٍ جاف أيضاً، ولا تزال الأشجار الكبيرة الخضر تجلل المنطقة، ولكن ليس بكثافة الغابات، فليست ملتفة، ثم مرت الطائرة وهي تحوم فوق المنطقة بقرى عديدة، وتبين أن وجه الأرض فيه أعشاب جافة من بقايا موسم الأمطار السابق، والأرض مستوية لم أر فيها جبالاً ولا أماكن مرتفعة.

الهبوط في مطار كانو:

هبطت طائرتنا الضخمة في مدرج طويل، تحف به أعشاب خضر وليدة كأنها من مطر موسمي مبكر هذا العام، ورأيت نهراً صغيراً أو قناة كبيرة قبيل الهبوط.

وكان هبوطها في (كانو) في السابعة وعشر دقائق بتوقيت المملكة وهو يتقدم توقيت نيجيريا التي منها (كانو) بساعتين اثنتين، فتكون الساعة فيها الآن الخامسة وعشر دقائق، أما الحرارة فذكروا أنها ٣٢، وهي جيدة في مثل جو كانو الخالي من الرطوبة.

وفي ساحة الوقوف طائرات كثيرة والمدرج طويل كما قدمت تحف به أعشاب وليدة، ومنها أعشاب كثيفة يابسة مر عليها موسم الجفاف فأيبسها.

وقفت الطيارة الضخمة في ساحة الوقوف، فلا توجد عندهم دهاليز متحركة تلصق بها الطائرة، وعندما فتح باب الطائرة كان العمال في الأرض

قد الصقوا سلماً معتاداً قديماً إلى الضيق ما هو ولكن موظف الخطوط منعنا، وحرك السلم بيده فتحرك فأمرهم بتصحيح وضعه لدى الطائرة فأبعدوه، ثم أعادوه وربطه السعوديون بالطائرة ثم أذنوا لنا بالنزول، كنت أول من نزل، ومعي زميلي في الرحلة الأستاذ محمد الحساني.

وجدنا عند سلم الطائرة جمعاً من الإخوة السعوديين الذين قدموا من (أبوجا) العاصمة لاستقبالنا وعلى راسهم القائم بالأعمال في السفارة الذي هو الرجل الثاني فيها، وذكر أن سعادة السفير الشريف عبدالاله مهنا العبدلي يعتذر لعدم تمكنه من القدوم إلى كانو والقائم بالأعمال هو محمد بن أحمد بن حسن الغامدي.

كما كان في الاستقبال من أهل كانوا القنصل السعودي في (كانو) وهو رأس القنصلية المهمة في هذه المنطقة المسلمة من شمال نيجيريا الأستاذ محمد بن إبراهيم العتيبي.

ومعه موظفو القنصلية عرفت منهم الأستاذ مرعي الشهري المسئول عن العلاقات العامة في السفارة، والأستاذ محمد بن عبدالله البيشي الملحق الديني.

ومعهم الدكتور فضل خلود مدير مكتب الرابطة في نيجيريا ومقره أبوجا العاصمة، قد جاء من العاصمة مثل موظفي السفارة وتبعد أبوجا عن كانو ٤٧٠ كيلو متراً.

ومع هؤلاء جمع من السعوديين عليهم الملابس العربية عدا العباءات، ولا أعرفهم.

ولم ندخل مبنى المطار وإنما ركبوا معنا في حافلة صغيرة تابعة للمطار، وذهبوا بنا إلى موقف سيارات مجاور فأركبونا سيارات دبلوماسية تابعة للقنصلية، ولاحظت أن مبنى المطار الذي لم أدخله قد جدد بعدنا أو بني غيره

ولكن ذلك كان قبل سنوات وأنهم طلوا بعضه بطلاء أصفر أو لنقل برتقالي باهت معه طلاء أحمر باهت.

سار بنا الإخوة من المطار إلى المدينة بعد أن أخذوا جوازاتنا وأعطوها لأحد الموظفين من موظفي القنصلية وقالوا ستأتي إليكم في الفندق، ولم نشاهد أي موظف من موظفي الحكومة بمعنى أنه لم يعترض طريقنا أحد أو يطلع على جوازاتنا، بل إخواننا السعوديون هم الذين تولوا كل ذلك.

وسرنا مع شوارع (كانو) المزدحمة بالأناسي بعضها تجاري وبعضها سكني، ومنها شارع تجاري عام ذي اتجاهين بينهما حاجز فغرقنا في زحام السيارات والدراجات النارية والناس فالمشاة هنا بكثافة.

أما السيارات فالملاحظ أنه رغم مظاهر الفقر على أكثر الأهالي أو كثير منهم، ورغم النقص في حال الشوارع والمارين فيها نسبة من السيارات الجديدة الغالية، بل من السيارات الفاخرة.

الباعة والمتطفلون والشحاذون:

كانت سيارتنا تسير وفيض من الشبان الذين يحملون في أيديهم بضائع يلوحون بها لركاب السيارات وقد فزعت أكثر من مرة عندما رأيت بعضهم يقترب من سيارتنا وهي تسير ببطء في الشوارع لشدة الزحام ولكن السائق تفاداه.

والطريف المفزع عندما وقفت عند إشارة تتقاطع عندها سيارات مع أن أكثر شوارعهم فيها مستديرات إذْ غمرت جموع من الباعة سيارتنا من جميع جهاتها إلا الجهة الخلفية وهم يتزاحمون على أن يرونا ما معهم من البضاعة.

وقال لنا الإخوة وكلهم من السعوديين احترسوا من فتح زجاج السيارة، لأنهم سيدخلون بضائعهم أو طرف منها ليعرضوها أمامكم.

وقد أخذني العجب من شبان مفتولي العضلات مكتملي الصحة وهم يعرضون بضائع تافهة، وقلت: لاشك في أن سبب ذلك عدم وجود الشركات والمؤسسات الصناعية التي يفترض أن تمتص أمثال هؤلاء.

ورأيت مجموعة من الطلاب خارجين من مدارسهم عليهم ملابس نظيفة، وتظهر التغذية الجيدة أو لنقل غير السيئة عليهم فأجسامهم ريانة ممتلئة ولم أر فيهم سميناً ولا نحيفاً.

وكان شحاذون بعضهم من الزمنى، وهم ذوو المرض المزمن، قد حاولوا الوصول إلينا من خلف الباعة المتجولين الأقوياء فلم يستطيعوا حتى عرف الباعة أنه لا فائدة لهم ترجى من التجمهر حول سيارتنا فانصرفوا عنا بسرعة، وحل محلهم الشحاذون وأخرج القائم بالأعمال بالسفارة الأستاذ ... الغامدي شيئاً أعطاه امرأة يظهر أنها مقعدة فاجتمع عليه غيرها ولكن إشارة المرور سمحت لسيارتنا بالتحرك.

وللإنصاف نقول: إن الشحاذين وإن شئنا الفصيح المتداول قلنا المستجدين هم أقل أعداداً وأقل إلحاحاً، وأصح أجساماً من نظراء لهم في الهند التي ضربت الرقم القياسي في كثرة الشحاذين في العالم، وبخاصة في مدينة ممبي التي كانت تسمى (بمبي) فغيرها أهلها أخيراً إلى ممبي فإنها لا تباري في كثرة الشحاذين المؤذين الذين يمسون الشخص بأجسامهم العليلة وأحياناً تكون ذات قروح، وذلك من أجل أن يعطيهم المسئول فيتخلص منهم.

أما غير ذوي العاهات فأذكر أن امرأة في (بومبي) ظلت تلاحقني ولما لم استجب لها صارت تقبل حذائي وتعرقل بذلك سيري لئلا أصيبها بأذى فأعطيتها شيئاً لكي أتخلص منها.

وأما ملابس الناس هنا فإن أكثرهم عليهم القمص- جمع قميص- العربية الطويل مثل التي علينا وعلى الرأس طاقية بيضاء.

وهناك اللباس المسمى بالإفرنجي ولكنه مخفف يقتصر على سروال غليظ- بنطلون يكون طويل الرجلين، وقميص ذي كمين قصيرين.

وأما التأنق وإرادة الجمال والتجمل فإن ذلك لا يوجد فيما يظهر إلا عند لابسي القمصان الطويلة التي تكون نظيفة لم أر منها هنا واحداً قذراً وإن لم اتمعن وقتاً طويلاً في النظر إليهم.

وانتقلنا من شارع من شوارع كانوا الكبيرة إلى آخر فكان المؤذي في الشارع إلى جانب الزحام تلوث الهواء بأدخنة السيارات والدراجات النارية، وهذه علة كثير من شوارع المدن في البلدان المزدحمة مثل القاهرة وكراتشي ومدن الهند.

فندق الضيف الطاهر:

أدخلنا الأخوة إلى فندق من الدرجة الأولى اسمه (طاهر قيست كانو هوتيل) أي فندق الضيف الطاهر في كانو فطاهر في اسمه عربية، وقيست بمعنى ضيف في الإنكليزية.

استقبلنا في مكتب الاستقبال في الفندق امرأة اسمها لطيفة وهي موظفة من أهل البلاد، وينبغي أن نعرف أن مدينة (كانو) هذه ومنطقتها كانت بلاداً

إسلامية منذ ثمانمائة سنة، أي منذ القرن السادس الهجري، وأنها لا تزال تعتبر مدينة إسلامية، بل عاصمة ثقافية إسلامية في هذه المنطقة.

وذكروا لنا أن سكانها بلغوا الآن خمسة ملايين نسمة.

وذهب معنا لخدمتنا إلى الغرف شخص لا يفرق المرء بينه وبين غيره من الموظفين في اللون ولكن التقاسيم في وجهه مختلفة واسمه (محمد مايو عبدالرحمن) ذكروا أنه من عرب (مادغيري) عاصمة ولاية البرنو التي سنزورها بعد ذلك إن شاء الله، وقد نتكلم على حالة العرب فيها إذا جاءت مناسبة لذلك.

نزلنا في شقة أو لنقل جناحاً واسعاً فيه قاعة استقبال واسعة فيها مائدة طعام أو اجتماعات مستطيلة مؤثثة تأثيثاً جديداً ويدخل منها إلى غرفتين تشبهان غرف الفنادق من الدرجة الأولى بما يساوي ٤ نجوم على وجه التقريب، نزلت في إحداهما ونزل رفيقي الأستاذ محمد بن أحمد الحساني في الثانية، وقد استرحنا في هذا الفندق المريح لفترة.

مأدبة سعودية:

ذهبنا بعد ذلك إلى بيت الأخ (مرعي... الشهري) ملحق الإعلام والعلاقات العامة بالقنصلية السعودية لتناول طعام العشاء بدعوة منه، وألح علينا في الدعوة إليها عدد من الإخوة السعوديين الذين جاءوا من أبوجا ومن أهل كانو.

وجدنا بيته كبيراً واسعاً يشبه الدارة الفيلا الراقية دخلنا من فنائه إلى قاعة جلوس واسعة وجدنا فيها عدداً من الإخوة السعوديين ليس معهم غيرهم بعضهم عليهم الملابس العربية.

وقدم لنا التمر والقهوة ثم انتقلنا إلى مائدة ممتدة عليها الطعام الذي فيه ذبيحتان تحت كل واحدة منهما أرز كثير مثلما نفعل في بلادنا، ومع ذلك سمك جيد وسلطة وأطعمة خفيفة أخرى.

وبدؤا بالحساء الشربة وقد أكلت منه كثيراً مطمئناً إلى أنه مصنوع في بيت عربي، وبإشراف عربي لأن الأخ مرعي معه أهله كما ذكر لنا الإخوة.

والتقطوا صورة للمائدة.

وعلى عادتنا في بلادنا تخلف بعض الشبان الأصغر سناً عن الأكل من المائدة معنا، ثم قاموا إليها بعد أن تركناها وتعشوا، وهذا ضروري لأننا لم ننقص من طعامهم ما يستحق الذكر.

وبعد العشاء كانت جلسة يمكن وصفها بأنها علمية: إذْ كلهم يعرفني بأنني طفت العالم، وعرفت أممه وبلدانه فصاروا يسألونني، ويلقون أسماعهم لما أقوله وفيه غرائب وعجائب، وبخاصة عندما حدثتهم عن البلاد التي لا تغيب عنها الشمس أياماً معدودة في الصيف مثل مدينة مورمانسك على المحيط المتجمد الشمالي في روسيا ومدينة نوفي انقوري في شمال سيبيريا، وكذلك مدينة .... في شمال فنلندا.

كما طلبوا مني الحديث عن الصين ومنغوليا وأماكن أخرى، وبعضهم سأل عن مسائل تتعلق بالدين.

وقد استمرت هذه الجلسة فترة من الوقت.

وعندما عدنا إلى الفندق وأطفأت الأنوار ودخل عيني النوم رن جرس الغرفة وقال أحدهم: أنا فلان أريد أن أقابلك الآن، فاعتذرت إليه بأن هذا ليس وقت مقابلة، ولكن النوم طار عن عيني، ولم أنم إلاّ بعد فترة.

وقد حضر المادبة والجلسة: محمد بن إبراهيم العتيبي القنصل العام في كانو وعبدالهادي العتيبي نائب القنصل، وأيمن كيال مسؤل الأمن، وهزاع المطيري ملحق بالقنصلية، وصالح قاري مدير الخطوط السعودية في كانو، وعبدالرحمن الحمراني موظف في الخطوط السعودية.

يوم الأربعاء: ١٤٢٧/٤/١٢هـ:

صباح كانو:

هذا الصباح (الكانوي) جيد جداً فقد كان الهدوء شاملاً في الفندق لأن غرفه منثورة نثراً وليست مزدحمة والشقة أو الجناح الكبير الذي سكنا فيه كان منفصلاً عن غيره.

وقد صنعنا الشاي في الغرفة وأكلنا معه التمر والأقط.

وعرفنا أن أجرة الغرفة في الليلة ١١٠ دولارات.

وأهم ما فيه أنه محروس ولا يمكن للصوص والمتطفلين أن يصلوا إلى الغرف لوجود الحراس، ولأن كل جناح وهو أرضي منفصل عن غيره بباب قوي يغلق من الداخل.

مع أن مدينة (كانو) هذه مدينة إسلامية، والمدن الإسلامية أقل من غيرها جرائم وسرقات، وإن كان ذلك يوجد في قلة شاذة قد يكون من الغرباء.

أما الجو فإن النوم بدون مكيف صعب جداً وهذا ما يكون في مكة المكرمة في الوقت الحاضر، ذكروا أن موسم الأمطار هنا قد بدأ الآن.

وقد ذهبنا من الغرف سيراً على الأقدام إلى المطعم الذي هو أرضي فذكروا أنهم يمكن أن يقدموا كبدة وكلاوي مع خبز كل ذلك في جو نظيف شعرنا بالارتياح فيه، ورايت بعض الأوروبيين أو ذوي المظهر الأوروبي يأكلون فيه.

رواتب الدعاة إلى الله:

لرابطة العالم الإسلامي سبعة عشر داعياً في نيجيريا، وكانوا أكثر من ذلك في القديم، ولكن المشكلة الحاضرة أنهم لم يتسلموا رواتبهم من الرابطة منذ أكثر من سنة، وقد أصبحوا في حالة من العوز وسوف يأتي الكلام على ذلك عندما نستقبل وفداً منهم في مكتب الرابطة في أبوجا بإذن الله، وقد حضر منهم في هذا الصباح الدكتور محمد حسن النور يشكو فأفهمناه بأن رواتب الدعاة موجودة في الرابطة، ولكن التحويل من الرابطة غير مقبول من البنوك السعودية ومن ثم البنوك العالمية.

العودة إلى مطار كانو:

في الساعة الثامنة من هذا الصباح كنا نغادر فندقنا: فندق الضيف الطاهر، مع شوارع جيدة من شوارع مدينة كانو المسلمة التي ذكر أهلها والأخرون من غيرهم أن نسبة المسلمين فيهاهي ٨٠% والشوارع الرئيسية وبخاصة هذا الذي تسير فيه سيارتنا الآن هي ذات اتجاهين مفصول بينهما بجزيرة ضيقة غير معتنى بها.

والمستديرات في الشوارع كثيرة وكلها معتنى بها على تفاوت في ذلك، وهي أكثر من إشارات المرور المعتادة، ورأيت في مفارق بعض الشوارع جندياً يلبس لباساً غريباً يسير المرور بالإشارات في يديه، وهو أمر تجاوزه الناس في البلدان المتقدمة في الإدارة ومنها بلادنا، فلا توجد فيها تسيير للسيارات بأيدي رجال المرول إلا إذا تعطلت الإشارة الكهربائية، وقلما تتعطل، ورأيت شرطي المرور هنا واقفاً على ما يشبه المنصة الخشبية المظللة.

وأغلب الشوارع نظيفة ولا شك في أن نظافتها تقتضي منهم جهوداً لكثرة السكان وعدم ارتفاع نسبة التعليم تعليماً عصرياً بينهم.

وقد وصلنا إلى مستديرة جميلة في وسطها قبة رمزية تقوم منها منارة مسجد نظيفة باللونين الأخضر والأبيض وقد اعتنوا بهذه المستديرة أكثر من غيرها.

وهذا الأنموذج من القبة والمنارة حقيقي أرادوا أن يرمزوا به إلى أن هذه المدينة هي مدينة مسلمة.

وقد لاحظت أنه لا يوجد في أوساط الشوارع تجميل بأشجار ولا بزهور، مع أنني أظن أن الأشجار المسماة بالجهنمية تجود فيها.

والجو ملوث بأدخنة السيارات، ومع ذلك أرى الناس نظيفي الثياب، وليس على أبدانهم شيء من الاتساخ وأجسادهم على وجه العموم معتدلة فلا سمن إلا في أجسام بعض الأغنياء الذين لا يوجدون في الشوارع العامة ولا نحافة ظاهرة من مرض أو نقص في التغذية، والقول في مثل هذه الأمور هو على الأعم الغالب، و(لكل قاعدة شواذ) كما كان الأصوليون يقولون.

ومررنا بمسجد ذي منارتين لون طلائهما أسود وأبيض، وبعدهما وصلنا إلى مستديرة نظيفة يستعملونها بديلة من الأنفاق والجسور الموجودة في بلادنا وأكثر بلاد العالم المتقدم في الإدارة ويحيط بهذه المستديرة رصيف.

حي سابو الجديد:

مررنا بحي اسمه (سابو قري) فسروه بأن معنى سابو: جديد وقري: مدينة فهو إذاً المدينة الجديدة، وقري بلغة الهوسا التي هي الشائعة في المنطقة، وقد تكلمت على الهوسا ولغتهم وذكرت أنهم جماعات مسلمة لا ترجع إلى أصل

واحد تجمعهم اللغة الهوساوية القوية التي تؤلف الكلمات العربية نحو ٣٠% منها غير أن أكثر الكلمات العربية تلك قددخلها التحريف والتغيير.

ثم كثرت المساجد رأيت أحدها بمنارتين ذاتي طلاء بني خفيف وهما قرب المطار.

كانت إجراءاتهم في المجار جيدة مريحة.

وقد اشترى مدير مكتب الرابطة في (أبوجا) الذي يرافقنا ثلاث تذاكر داخلية على السياحية، ولم يكن طرأ في باله أن ركوبنا يكون في الأولى، وفي درجة الأفق إذا لم تكن يوجد درجة أولى. وحتى الوزن الزائد لم يبالوا به وكنا نحمل ٣ كراتين تمر سكري، وكرتونين كبيرين فيهما أشرطة مسجل عليها تلاوة القرآن الكريم، وغير ذلك فلم يسالوا عن شيء من ذلك.

وفي قاعة كبار الزوار رأينا علية القوم فيهم ذووا الأجسام الثقيلة ويجمع بينهم اللباس الفضفاض العجيب.

ولم أرهم يتخففون منه، فضلاً عن أن يتأنقوا في لبسه.

وقد أخبرنا الإخوة السعوديون العاملون في هذه البلاد أن الأمن مستتب فيها ما عدا استثناءات، ولا شك أن ذلك يرجع إلى كونها من مواطن المسلمين الذين اثبتت الإحصاءات أنهم أقل من غيرهم في هذا المجال.

وقد بقيت فيهم خصائص إسلامية ظاهرة منها تمسكهم بدينهم وعدم المحاباة والمخاشاة في التمسك به، ومنها الشجاعة الفائقة التي هزمت الإنفصاليين الذين أعلنوا المنطقة الشرقية من نيجيريا المعروفة بجمهورية

(بيافرا) ومن شايعها كفرنسا في عهد الجنرال ديقول، وكذلك بابا روما ومن تبعه فهزموا جميع من دافعوا عنها وابقوا على وحدة الأراضي النيجيرية.

أما فيما يتعلق بنسائهم فإنهن في اللون كالرجال ذوات سواد حالك، ومع ذلك رأيتهن في الجابون والكنغو وبنين يتميزن بالجمال بالنسبة إلى نساء تلك البلاد، ولم أعرف مصدر جمالهن إلا أن يكون تناسب التقاسيم في الوجه إذا قورن بمثيلاتهن من السوداوات سكان البلاد المذكورة.

دخلنا إلى الطائرة التي نسافر معها إلى أبوجا فوجدناها نظيفة التنجيد والمقاعد مثل نظافة تنجيد الطائرات في أوروبا.

وجميع المضيفين والمضيفات فيها من السود مثل الطائرات الأخرى التي ركبنا بها داخل نيجيريا والشركة داخلية اسمها (فيرجن نيجيريا) أي نيجريا العذراء، وربما كان المراد بذلك (نيجيريا الفتاة).

وهذه الشركة من جملة شركات طيران داخلية أهلية عديدة وأكثرها جيد، وقد ورثت مؤسسة الطيران النيجيرية الحكومية التي أفلست وعجزت عن القيام بواجبها فتوقفت.

ولكن الطيران إلى خارج نيجيريا توقف أيضاً بتوقفها، فلا توجد الآن رحلات نيجيرية خارجية، وإنما تقوم شركات طيران أخرى مثل السعودية التي تغطي حاجة الطيران من بلادنا إلى نيجيريا عن طريق الخط الذي جئنا معه من جدة إلى (كانو).

وعندما استقر بي المقام في فندق (الضيف الطاهر) حمدت الله وشكرته على دخولي بالمبالغ المالية التي دخلت بها وهي تزيد على ٢٥٠ ألف دولار بالصكات

السياحية المسماة بالإنكليزية (ترفيلرز شيك) وليس القدوم بمثل هذه الصكات السياحية ممنوعاً فيما عرفته، ولاسيما أنها رواتب ونفقات مستحقة لقوم من النيجريين، فهي إذاً حقوق لأناس من موظفي نيجيريا نريد تسليمها لهم، وذلك لتعذر تحويل المبالغ إليهم وأمثالهم عن طريق المصارف (البنوك) الدولية لأن الولايات المتحدة الأمريكية بنفوذها حتى على الحكام العرب تمنع البنوك من ذلك، و(البنوك) العربية بخوفها وحرصها على مصالحها المالية لا تريد أن تخالف أوامر أمريكا لكيلا تخسر التعامل معها، فيقدمون مصالحهم الخاصة على ما أمر الله به ورسوله، لاسيما ما يتعلق ببناء المساجد، أو تسيير المدارس الإسلامية.

أقلعت الطائرة في التاسعة والدقيقة الخامسة والثلاثين صباحاً، وهي من طراز بوينغ ٧٣٧، وحالما ارتفعت رأينا أحياء من مدينة (كانو) القديمة متراصة بعضها ذات سقوف مسطحة وبعضها سقوفها من الصفيح.

ثم رأينا الريف كما راينا جانبه الأخر أمس، ذا أشجار صحراوية كثيرة وتجمعات سكنية لم أعرف اسمها.

وجميع ركاب الطائرة هم من أهل نيجريا ذوي اللون الأسود إلا اثنين.

وأرجو أن يلاحظ القارئ الكريم أننا قد نذكر هنا وصف الناس بالسواد للتعريف لا للتعيير، وأنا مازلت أعجب من كون بعض الناس إذا ذكر البيض ذكر ألوانهم من دون تحرز فقال: الرجال البيض.مثلاً وإذا ذكر السود بألوانهم بدا كما لو كان يأتي أمراً مكروهاً، أو يتلفظ بشتم مع أن الأمر غير مختلف في وصف الاثنين بصفة ظاهرة في كل طرف منهما، ومثل ذلك القول في السمر فيمكنك أن تقول بكل سهولة ودون تحرج: إن العرب والهنود سمر فتصفهم بألوانهم ولا تقول مثل ذلك في السود إلا بتحرج وبتهيب، إن لم نقل بتكره.

بل إن بعض الناس يقول شيئاً غير واقع فيما يتعلق بألوان الإفريقيين فيصفهم بالسمر، فراراً من الوصف بالسواد، مع أن حقيقة الأمر غير ذلك، إذ السمرة هي الميل إلى السواد، أوهي عدم البياض مثل ألوان العرب والهنود كما قدمت وألوان الأفارقة ليست كذلك.

لذا أرجو أن يتفهم القارئ الكريم وبخاصة من إخواننا أهل إفريقية أننا نقصد التعريف المجرد عن أي قصد آخر.

ولكي نقرب الأمر إلى القراء نقول: جاء في الحديث وصف العرب بالسود، ولم نجد منهم من تحرج من ذلك مثل قول النبي صلى الله عليه وسلم (بعثت إلى الأحمر والأسود) ومثل الحديث لا فضل لعربي على عجمي ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى.

فذكر أن اللون الأعلى هو السواد وليس الحمرة وهذا هو لفظ الحديث الذي يغلط في روايته كثير من الناس ان لم يكن أكثرهم فيروونه لا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى.

هذا والإعلان من مكبر الصوت في الطائرة هو باللغة الإنكليزية وحدها، وهذا أمر مفهوم السبب وهو أنه لا توجد لغة عامة واحدة لجميع السكان، بل إن المجموعات الكبيرة من السكان لكل واحد منها لغة كالهوسا والأيبو واليوربا والفلاني، بالإضافة إلى عشرات اللغات المحلية ولا يمكن تغليب لغة أقوام على لغات أقوام آخرين، إضافة إلى كونهم لا يعرفون اللغة الاخرى لمواطنيهم النيجيريين ولذلك اتخذوا الإنكليزية لغة عامة كما عليه الحال في شاد الآن وفي جنوب السودان، حيث يتفاهم الناس في البلدين المذكورين باللغة العربية، لا تنفعهم لغاتهم المحلية المتعددة في التفاهم مع مواطنيهم، لأنهم لا يعرفونها.

والضيافة قطعة كبيرة من الشطائر (الساندويتش) مغلفة بغلاف من اللدائن ولم أقربه لأنني لست بحاجة إليه.

وعند ارتفاع الطائرة النهائي في الجو ظهر بخار الماء الكثيف على الأرض مع أن هذه المنطقة من نيجيريا هي شبيهه بالصحراوية، وإن لم تكن صحراء، بل إنها منطقة مزارع ومراتع جيدة للماشية.

وإضافة إلى المراتع الجيدة، هي أرض حقول زراعية واسعة، ولذلك يقول أهل نيجيريا في الشمال الزراعة والحيوان وفي الجنوب النفط والغابات.

وعند تدني الطائرة إلى الأرض كان سحاب كثيف تحتها اخترقت لجته البيضاء ثم بانت الأرض تحته خضراء كثيفة الاخضرار جميلة المنظر، ومررنا بنهر صغير أحمر المياه، مما يدل على أنه استمد مياهه من مطر نزل عليه حديثاً.

وبدت مدينة (أبوجا) عاصمة جمهورية نيجيريا الكبيرة بل أكبر الدول الإفريقية على الإطلاق إذْ يقدر عدد سكانها بمائة وثلاثين مليوناً.

وهي إلى ذلك الدولة التي فيها أكبر مجموعة مسلمة في القارة الإفريقية كلها، فالمسلمون فيها يبلغ عددهم ما بين ٧٠% إلى ٧٥%، وبذلك يبلغ عدد المسلمين فيها قرابة مائة مليون.

وبدت منازل أبوجا حمر السقوف جميلة المنظر، بل إنها مع الخضرة التي تحيط بها تنقل من ينظر إليها إلى قارة أخرى كأوروبا أو بعض الأماكن الجميلة في آسيا.

وبدت شوارعها مستقيمة مشجرة، بل إن أرضها كلها خضراء فيها الأشجار الكبيرة وفيها الريف المعشب.

وزاد من جمال منظرها سحاب أبيض منخفض يغذ السير إلى ما لا تدري أين يذهب، ومرت الطائرة وهي تحوم قليلاً فوق منطقة (أبوجا) بنهير صغير لم نعرف عنه شيئاً أيضاً.

ومع خضرة الأرض كان ما يبدو من التربة بسبب حفر أو نحوه ذهبي التربة، والأرض كلها ندية إلى خضرتها.

وتزين منطقة (أبوجا) والمراد بذلك المدينة وما حولها ربى وجبال غير عالية تجللها خضرة الغابات، ويلفها الخصب بغلائل خضر بهيجة.

وقد عرفنا بعض السبب في ذلك وهو أن موسم الأمطار قد بدأ بالفعل في (أبوجا) قبل أن يبدأ قليلاً غير شامل في (كانو) ومنطقتها.

مطار أبوجا:

هبطت الطائرة في مطار (أبوجا) في العاشرة والربع بعد طيران استغرق أربعين دقيقة.

ومدارج المطار جيدة الزفت، حسنة التنظيم مستقيمة التخطيط ، تحف بها أعشاب خضر ملتفة.

ومبنى المطار أبيض معتنى به، ويبدو حديثاً.

وقفت الطائرة في ساحة الوقوف من دون أن نرى فيه دهاليز متحركة، وسرنا إلى المبنى على الأقدام لأنه قريب.

وجدنا عربات يدوية متوفرة جديدة عند السيور المتحركة التي تنقل عليها الأمتعة، وعندما رأيت الركاب على ما هم عليه من الذوق سألت نفسي عما إذا كانت هذه هي نيجيريا التي كنت أعرفها قديماً على خلاف ذلك؟

وتبين أن هؤلاء الركاب وأمثالهم من الأغنياء والمتعلمين وأنهم صاروا الآن طبقة معروفة متميزة عن بقية الشعب التي لم تتغير معيشتها أو لنقل إنها لم تتقدم في معيشتها.

ودخل إلى المبنى ركاب طائرة أخرى قبل أن نتمكن نحن من أخذ أمتعتنا ونظرت إلى ملابس هذه الطبقة الغنية المثقفة فإذا بها قسمان لا ثالث لهما: إفرنجي أو لنقل إنه اللباس العالمي المعروف لدينا باللباس الإفرنجي، ولباس وطني فضفاض ثقيل.

خرجنا من مبنى المطار دون وجود متطفلين يعرضون خدماتهم، مثل سائقي (التاكسي) أو حاملي الأمتعة.

ركبنا في سيارة لصهر الدكتور فضل خلود مدير مكتب الرابطة في نيجيريا اسمه عبدالعزيز بن محمد، ذكر أنه تاجر، وأنه اعتاد أن يذهب في تجارته إلى دبي.

انطلقنا من المطار إلى مدينة أبوجا مع طريق ذي اتجاهين حديث أو شبيه بالحديث يتسع كل اتجاه لسيارتين، مع كثف كافٍ لوقوف سيارة، بينهما جزيرة فيها صف من الأشجار الواقفة وهي الشبيهة بالأسطوانية التي لا تكون من الأشجار التي لها غصون متفرعة منها أفقياً.

وعلى جانبي الطريق أشجار أخرى معتنى بها، والمطار يبلغ بعده ٤٢ كيلومتراً.

وتبدو المنطقة قليلة السكان، لأن اتخاذها عاصمة كان حديثاً.

منطقة أبوجا كانت من بلاد المسلمين:

مدينة (أبوجا) حديثة واتخاذها عاصمة لجمهورية نيجيريا الكبيرة أحدث، ولكن منطقتها وليس مدينتها أو ممتلكاتها كانت من بلاد المسلمين، ويدل ذلك اسمها فنصفه عربي إذْ يتألف اسمها من كلمتين (أبو) وأصلها أبو بكر و(جا) ومعناه احمر بلغة الهوسا ذكروا في أصل اسمها أن صاحبها كان له ابنان احدهما اسمه أبو بكر، ويلقب بالأحمر وهي كلمة (جا) فسميت باسمها (أبوبكر الأحمر) إلا أنهم حذفوا نصف الاسم بكر واكتفوا بالنصف الأول وهو (أبو) كما هي عادتهم في حذف بعض الحروف من أعلام الأشخاص والأمكنة، وبلغني أن هذه المنطقة كانت تابعة لأمير (زاريا) و(زاريا) مدينة ثقافية مهمة للمسلمين إلى عهد قريب ولا تزال.

سلك الطريق منعطفاً فيه جزيرة صغيرة مزروعة بالزهور.

ومن الطريف المفجع أنني رأيت في جزيرة الطريق التي وضعوا فيها أعمدة النور سيارة قد سقط عليها العمود ولم يبعد عنها فلا يزال عليها ولا أدري أكان فيها أحد عندما وقع عليها والأغلب أنه كان فيها صاحبها لأن مكانها الآن غير طبيعي للوقوف إلا إذا كان صاحبها قد خاف عليها، لذا أوقفها في جانب الطريق العام فأوقفها في الجزيرة بإزاء عمود النور ولكن العمود سقط عليها، واعتبار لذلك أنه صدم العمود وقبل ذلك أراد أن يوقف سيارته اضطرارياً فضرب العمود وسقط فوقها.

مع ملاحظة أن أعمدة النور فيها ضعيفة ليست كأعمدة النور في شوارعنا، وقد ذكرني منظر هذه السيارة فوقها العمود بمنظر رأيته في شارع عسير في الرياض وهو أن صاحب سيارة صدم عمود النور بسيارته فوقع

العمود على سيارة أخرى مقبلة عليها معاكسة في الاتجاه لسيرها فأصابها الضرر، بل ما أدري ما فعل الله بصاحبها، أما المتسبب بالحادث وهو الذي صدم عمود النور فإن العمود لم يصبه.

واستمر الطريق الأخضر المعتنى به، ومررنا بجسر دخل الطريق تحته.

البوابة الرمزية:

وصل الطريق إلى بوابة رمزية تدل على أننا وصلنا مدينة (أبوجا) العاصمة نفسها، وهذه البوابة مبنية على أساس الفن المسمى بالسوداني في البناء وهو الذي يكون ضيق الأعلى بمعنى أن المبنى كلما ارتفع ضاق قليلاً حتى يكون أعلاه أضيق من أسفله بشكل ظاهر، وذلك أقوى له، وأكثر تحملاً، وأبعد عن تفككه أو انشطاره إلى أقسام.

ولم أر هذا ظاهراً في المباني القديمة إلا ما كان من بلاد (الانكا) في أمريكا الجنوبية وبخاصة في جمهورية بيرو حيث رأيت مخلفاتهم في مدينة كيسكو، وذكرت ذلك في كتاب: (على قمم جبال الإنديز) الذي طبع منذ فترة.

وقد كتبوا على هذه البوابة العبارة المألوفة (يوار ويلكم في أبوجا): مرحباً بكم في أبوجا.

ودخلنا المدينة بسرعة فوصلنا إلى ذلك المنار الشامخ، والعلم الواضح وهو (المسجد الوطني) بمآذنه الأربع وقبته الذهبية تحيط بها أربع قباب صغيرة ذهبية أيضاً، فكان منظره يسر قلب كل مسلم يصل إلى هذه العاصمة الفتية.

وبقربه فندق (شيراتون) الذي حجز لنا القوم فيه والفندق نفسه رغم ارتفاعه إلى ١٤ طابقاً مبني أيضاً على الهندسة السودانية في البناء والنسبة إلى السودان التاريخي القديم وهو بلاد مالي وما جاورها، إلى مسافات بعيدة.

وكان سلطان السودان معدوداً من سلاطين المسلمين الأربعة في العالم كما ذكر ذلك ابن فضل الله ونقله عنه القلقشندي في صبح الأعشى بأن قال: إن مملكته واسعة يبلغ طولها من الشرق إلى الغرب مسيرة أربعة أشهر في شهرين قال: وأقصى بلاده من جهة الشرق قوقو ومن جهة الغرب صوصو.

وقوقو هي قاوا قاو صارت تسمى الآن (قاوا) من دون تكرار، وأما صوصو فإنه بلدة واقعة في جهة الغرب من العاصمة (باماكو) ذكر لي صديقنا الشيخ عبدالوهاب الدكوري أنها لا تزال معروفة الآن باسمها القديم (صوصو).

ففندق شيراتون رغم سعته بل ضخامته مبني على هذا الطراز من البناء، بحيث إن أعلاه أضيق من اسفله ولكن بطريقة متدرجة ولكنها ظاهرة.

وقبل الوصول إلى الفندق كنا مررنا بملعب رياضي شهير يسمونه (استاديوم).

وهذا الملعب شهير في العالم لأنه كانت أقيمت فيه بطولة الأمم الأفريقية في كرة القدم وتملكه حكومة نيجريا.

ثم مررنا غير بعيد من هذا الملعب الكبير بإدارة المستشفى الوطني وهو حكومي، ولكن الكشف والعلاج فيه ليس مجانياً، بل بنقود مثله في ذلك مثل التعليم الجيد لابد من أن يدفع المرء لكي يعلم ابنه لابد له من أن يدفع نقوداً، وإذا كان يريد أن يعلمه تعليماً جيداً فلابد من أن يدفع لذلك نقوداً كثيرة.

وقد رأينا في هذه المدينة جسوراً عدة تشبه الجسور في بلادنا وفي البلاد المتقدمة في الإدارة.

وجدنا في منطقة الإستقبال في فندق/ شيراتون جميع الموظفين من رجال ونساء من المواطنين النيجيريين ليس معهم أجنبي واحد، وإذا كان هناك من يعمل فيه من الأجانب فإنهم لا يرون في الخارج.

وهذا عكس ما عليه الحال عندنا حيث فندق (هولتون) في جدة وقد كانت فيه ابنتي الدكتورة فاطمة قبل أيام كانت كلفتها وزارة التربية بإلقاء محاضرات على بعض المعلمات في جدة فزرتها فيه فرأيت أن جميع العاملين فيه الذين يراهم المرء من الأجانب ما عدا موظفاً سعودياً واحداً رأيناه فيه بعض الوقت.

حتى الفراشين والعمال والكتبة كلهم من الأجانب، ولكنهم من غير الأوروبيين ولا شك في أن السبب في ذلك عدم صبر السعوديين على الأعمال التي يطول وقت العمل فيها أو يكون لفترتين طويلتين فيرضى بعضهم بالتعطل والتبطل ولا يقوم بمثل هذا العمل المجدي المهم.

جلسنا في الاستقبال الواسع المكشوف الذي تناثرت فيه المقاعد أمام مكاتب الاستقبال في الفندق ريثما كان القوم ينهون الدخول إلى الغرف.

وقد انزلوني في غرفة في الطابق الثاني عشر تشرف على مناطق واسعة من أبوجا، وأهم من ذلك كله أنها تشرف على منظر هذا المسجد المهيب (المسجد الوطني).

ورأيت الجانب الواسع بل نصف المنظر الذي يرى من الجهة الشرقية من الفندق مدينة أبوجا خضراء تشرف عليها جبال خضر غير عالية على هيئة

نصف دائرة والمنازل فيها كلها حديثة على الطراز الحديث فليس فيها بيت من الخشب ولا من الصاج ولا عشش جمع عشة.

وعندما رأيت هذه السهولة في الدخول إلى الفندق والتنظيم فيه ذكرت أول ما وصلت إلى مدينة لاجوس الكبيرة التي كانت عاصمة نيجيريا آنذاك وهو فندق حكومي لم يسمح المسئولون فيه لنا بالدخول فيه، ولم نكن نعرف السبب، وقد ذهبنا إلى فندق آخر فلم نستطع النزول فيه أيضاً، فاضطررنا إلى أن نذهب للسفارة السعودية في (لاجوس) وقلنا لأهلها: نرجو أن تعملوا في الحصول لنا على غرفتين إحداهما لي والثانية لرفيقيَّ في الرحلة آنذاك وهما الشيخ عبدالعزيز الربيعان إمام مسجد قبا قرب المدينة المنورة ومدرس في كلية الدعوة وأصول الدين في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، والشيخ إسماعيل بن عتيق أحدالعاملين في إدارة الدعوة في (الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد) فذهب معنا بسيارة السفارة ثلاثة دبلوماسيين اثنان من السفارة السعودية ودبلوماسي رفيع المستوى من السفارة المغربية له معرفة بكيفية التعامل مع الفنادق الأجنبية في لاجوس.

وقد حصلوا لنا على الغرفتين المطلوبتين بصعوبة وبعد أن دفعوا شيئاً من النقود لموظف الفندق ثم طلبوا منهم أن يدفعوا أجرة الغرفتين مقدمة لهم مع ما يماثلها من المبلغ بمثابة التامين، وقد دفعت الأجرة من السفارة ذلك وأعطيناهم أياه بعد ذلك.

وقد ذكرت ذلك مع ما لقيناه من صعوبات عند الوصول إلى مطار لاجوس قادمين إليها من أكرا في كتاب (قصة سفر في نيجيريا) الذي طبع قبل أكثر من عشر سنين ونفدت نسخه.

وقد طلبنا الغداء في الغرفة لأن معنا مبالغ كبيرة من المال ولا نحب أن ننزل بحقيبتي إلى المطعم فيعرف من ذلك أن لدينا فيها مالاً أو سلعاً ثمينة يخشى عليها.

وقد أبطأوا كثيراً ثم جاءوا به وكنت طلبت سمكاً ولما ذقته لم استطع حتى أن أجربه لأنه سمك قديم قد تفتت لقدمه أو كاد وقد شووه أو طبخوه لا أدري، ولكن صار أسود اللون مرَّ الطعم فتجنبته وأكلت شيئاً قليلاً من الشواء.

مكتب رابطة العالم الإسلامي:

في الرابعة والنصف ذهبنا إلى (مكتب رابطة العالم الإسلامي) في نيجيريا وهو في حيٍّ راقٍ من (أبوجا) اسمه الحي الرابع فيه سفارات ومساكن لأناس من كبار القوم.

وهو مستأجر.

وجميع أبنية هذا الحي ومنازله هي حديثة من الأسمنت المسلح وليس فيه من غير ذلك من الأبنية شيء، وأكثرها من طابقين وثلاثة وهي مشجرة مزفتة الشوارع، والشوارع الرئيسية فيه واسعة ولا ينقص هذا الحي وأبنيته شيء لكي يتخيل المرء أنه في أوروبا مثلاً ما عدا ألوان السكان فيه، ولكن هذا ليس بذي بال، لأننا نتكلم على ما كان من صنع الإنسان أما ما كان من صنع الله كالألوان فإن الإنسان لا يلام عليه، أو قل إنه ليست فيه مزية لأحد على أحد لأن الإنسان إنما يلام على ما كسبت يداه، ولونه ليس مما كسبت يداه، أو على حد تعبير بعض الظرفاء إنما يلام الإنسان على خُلُقه بضم الخاء واللام، وليس على خلقه بفتح الخاء وإسكان اللام.

ومع ما ذكرته من حسن جمال هذا الشارع فإنني رأيت في حاشية الحي قمامة باقية في مكانها لم تبعد عنه، وكأنما لا يبالي بوجودها أحد.

ومن النقص المستمر الذي صار قاعدة انقطاع الكهرباء عن الحي فعندما جئنا إلى مكتب الرابطة لم يكن فيه كهرباء وقد تكرر هذا بعد ذلك، ومن أجل ذلك اشترى مكتب الرابطة مولداً كهربائياً له.

وقل مثل ذلك عن الماء، وإن كان أقل شأناً من الكهرباء، لأنه يمكن أن يكفي ما يوجد في خزان البيت من ماءٍ، فليس في حماماته الثلاثة أي ماء، واستمر انقطاع الكهرباء والماء في الزيارات الأخرى التي قمنا بها للمكتب أيضاً.

ومن الطريف أن المحرك الكهربائي الذي اشتروه من مال الرابطة ليمد مكتبها بالكهرباء والماء قد خرب فأصلحوه وعاد إلى الخراب أيضاً وفي المكتب مدخل واسع يصلون فيه، ومستوى بنائه جيد.

وقد ذكر مدير المكتب أن أجرته هي عشرة آلاف دولار في السنة، وذكر لي مدير المكتب الدكتور فضل خلود أن صاحبه يشكو من نقص أجرته وذكروا أن جزءاً منها يذهب للضرائب حيث ذكر أنه يدفع ضريبة للحكومة على الأجرة تبلغ نحو ثلثها ولا أدري صحة ذلك.

وأجمل ما في هذا البيت الذي استأجرته الرابطة مكتباً لها فناء خلفي واسع يبلغ ألف متر أو نحوها فيه حشائش طبيعية نامية فهو مفروش ببساط أخضر، وقلت للدكتور فضل: لماذا لا تستغلون هذا الفراغ بزراعته بشيء مفيد كالخضرات أو بغرس شجر مثمر كالباباي أو الموز أو المانقو؟

فقال فيه الحارس وأهله فقلت: هذا أدعى لزراعته.

وكان في ذهني بعض المراكز الإسلامية أو الدور التي تشغلها المراكز أو المكاتب الإسلامية في أماكن متفرقة من العالم الخصب أجد فيها ماعزاً أو أجدهم زرعوها بشيء نافع.

ولكن بعض شعوب الدول المتخلفة لا تنتفع حتى بما في أيديها، مما تستطيع الانتفاع منه، وقد سلمت مدير المكتب الدكتور فضل خلود بحضور زميلي في الرحلة الأستاذ محمد بن أحمد الحساني الذي هو مدير المكاتب والمراكز في الخارج وهو الرئيس المباشر في الرابطة لمدير هذا المكتب جميع ما كنت حملته من الأموال التي لم تستطع الرابطة تحويلها إلى المكتب عن طريق (البنوك) التي ترفض التحويلات المالية إليها فحملتها معي حملاً على اعتبار أنني أحمل جواز سفر (دبلوماسياً) يتيح لي المرور من دون تفتيش وفي هذه الحالة لم أدخل مبنى المطار مطلقاً، بل أخذني موظفو السفارة والقنصلية مباشرة من سلم الطائرة إلى الفندق.

ومن تلك النقود التي احملها على هيئة صكات سياحية مصاريف المركز الإسلامي في أنوفيا الذي تديره الرابطة، ومبلغ من المال هو ٤٦ ألف دولار لترميم المركز وغير ذلك.

عشاء السفير:

سفيرنا في نيجيريا الأخ الكريم الشريف عبدالإله مهنا العبدلي هو من الأشراف العبادلة الذين منهم أخر الأشراف الذين حكموا الحجاز الذي هو مكة المكرمة والمدينة المنورة والطائف وما يتبعها أو لنقل: إن الأشراف المتأخرين الذين حكموا الحجاز هم من الأشراف العبادلة- جمع عبدلي- وهو المنسوب إلى (عبدالله).

وقد كرم فأرسل وفداً من السفارة السعودية إلى أبوجا للسفر إلى كانو واستقبالنا هناك، كما أمر القنصل وموظفي القنصلية باستقبالنا وإكرامنا وقد فعلوا ذلك بل فعلوا أكثر من ذلك حزاهم الله خيراً.

وكان من ضمن البرنامج أن نكون في أول يوم نصل فيها ضيوفاً على مأدبة عشاء يقيمها في بيته.

وقد ذهبنا إليه بسيارة السفارة، ويقع بيته في قسم جيد من مدينة (أبوجا) مع أن مدينة (أبوجا) نفسها كلها جيدة، ويسمى ذلك الحي (الحي الحادي عشر).

وقد أكثر من الترحيب والتكريم، وكل أعضاء السفارة فكانت مأدبة أشبه بالاجتماع الأسري على أحاديث جيدة استفدت منها كثيراً فيما يتعلق بأحوال المسلمين بخاصة، وفيما يتعلق بأحوال البلاد عامة.

وقد قدم لنا أبناءه الثلاثة وكلهم أبيض اللون مثله، ولون الإنسان الأبيض في مثل هذه البلاد ذات الألوان السود من الناس يسترعي الإنتباه مثلما أن اللون الأسود في البلاد ذات اللون الأبيض يسترعي الانتباه ويستدعي الحديث.

وذكر أن له ٤ سنين يعمل سفيراً في هذه البلاد النيجيرية، وأنه توجد مدرسة جيدة ألحق بها أبناءه وأن أهله قد اعتادوا على البقاء في هذه البلاد.

قمنا إلى المأدبة الشهية، حيث صنعوا فيها كل الطعام الذي قد يخطر على بالك من الذي نأكله في بلادنا حتى الجريش، ولا أدري من أين أحضروا (اللقيمي) أو البر الذي يصنع منه وقد يكون من البرغل الشامي، أو يكونون طلبوه من المملكة.

وحتى صحن الكوارع التي يسمونها في مكة المكرمة (كوارع) جمع كراع وهي أطراف قوائم الغنم التي تطأ بها الأرض، وكثير من أهلنا يأكلونها استطرافاً لها، وقد أمعنت فيها أكلاً استطرافاً لها، واستغراباً لوجودها، لاسيما أنها كانت ناضجة مطبوخة بطريقة لا تستطيع الخادمة النيجيرية أن تصنعها بها مما يدل على أن ربة البيت الهاشمي هذا الذي نأكل فيه الآن هي التي أشرفت عليه مثل باقي المائدة.

وأما اللحم فإنه ذبيحة ولكن هناك أنواع من اللحم أخرى كالشواء، وقد أكلت كثيراً من هذا الطعام لثقتي بنظافته، بخلاف طعام أهل البلاد الذي لا أثق بنظافته، حتى ولو كان نظيفاً في حد ذاته، ثم انتقلنا من غرفة الطعام إلى غرفة الجلوس حيث جاءت الفاكهة وبعدها أنواع الحلوى من الكنافة وأمثالها إلى المهلبية المعطرة.

وقد استمرت الجلسة لفترة طويلة من الليل.

مدرسة فؤاد البابيدي:

في أول فقرات الإطلاع على المدارس المحتاجة للمساعدة ذهبنا لرؤية مكان كنا تلقينا في رابطة العالم الإسلامي طلباً للمساعدة على بناء بيت للإمام وبيت لمؤذن لمسجد مكتمل لا يحتاج إلا إلى المساعدة على بناء هذين البيتين.

وجدنا المسجد مكتملاً بالفعل منذ مدة ولا يحتاج إلى شيء كنا اطلعنا على الأرض التي يراد بناء بيتي الإمام والمؤذن عليها فوجدناها واسعة ثمينة ولكنها تابعة لمركز إسلامي عظيم يضم مدرسة ثانوية مزدهرة ومسجداً ذا منارة شامخة، وقبة عربية ظاهرة، كتبوا عليه اسمه بالإنكليزية (فؤاد البابيدي اسلامك أكاديمي) أي مركز فؤاد البابيدي للتعليم) مع أنه ليس مقتصراً على التعليم.

ذكروا أن الذي اشترى أرضه الواسعة التي لا يزال جزء كبير منها خالياً وهو تابع للمسجد المحسن فؤاد اللبابيدي أحد التجار السوريين كما قالوا لنا مع أننا نعرف اللبابيدي فلسطيني، ولكن ربما كان لذلك وجه من كون أحد اللبابيديين سكن في سوريا.

استقبلنا عند باب المدرسة داخل هذا المجمع الخيري الذي لم تقم بمثله الحكومات العربية القادرة أخت كريمة من أهل البلاد اسمها (خديجة جوته) وهي مديرة مدرسة فؤاد اللبابيدي هذه.

والأخت خديجة في منتصف العمر مثقفة ثقافة عالية، وقد لبست ثياباً ساترة بل ضافية جديرة بالطالبات أن يقتدين بها في لباسها وقد فعلن ذلك، أو فعلت لهن المدرسة ذلك.

والمدرسة ثانوية تدرس صلب المنهج الحكومي وتضيف عليه دراسات إسلامية وعربية، وتعترف الحكومة بشهادتها، لذلك يستطيع من يتخرجون فيها أن يلتحقوا بالكليات والجامعات المعترف بها من حكومية وغير حكومية.

وطلاب المدرسة من الذكور والإناث، وقد أرتنا المديرة فصلاً رأينا الإناث في جانب منه والذكور في جانب بينهما ممر.

والطالبات عليهن الألبسة المعتادة التي يعلوها رداء يغطي الرأس فلا يظهر منه إلا الوجه، ثم ينزل فيغطي أعلى الجسم حتى يصل إلى محاذاة الركبتين وتحته قميص نسائي واسع.

وذكرت الأخت خديجة أن نفقات المدرسة يأخذونها من الرسوم الدراسية على الطلاب والطالبات، وهي فلاتية من الفلاتيين المعروفين في غرب إفريقية

حيث يوجدون في أكثر تلك الأقطار الإفريقية ويحتاج التعريف بهم إلى فصل خاص ربما تأتي مناسبة لذكره.

وقد أعلنت لهم التبرع للمدرسة بثلاثة آلاف دولار من رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة لبعض الأنشطة التي تحتاجها المدرسة ولا تتسع ميزانيتها لها.

أرض رابطة العالم الإسلامي:

في الساعة الواحدة من بعد ظهر اليوم ذهبنا إلى الأرض التي منحتها الحكومة النيجيرية لرابطة العالم الإسلامي لكي تقيم عليها مشروعاً إسلامياً تجعل فيه مسجداً ومدرسة وقاعة محاضرات ومكتباً للرابطة ومساحتها ثلاثون ألف متر مربع في منطقة على شارع رئيسي مهم، وكنا بلغنا أمرها في الرابطة فقررنا تخصيص مبلغ مائة ألف دولار من أجل تسويرها أرسلنا إلى مكتب الرابطة خمسين ألف دولار لهذا الغرض على أن يصل النصف الثاني بعد ذلك، من أجل المحافظة على هذه الأرض وعدم تعرضها للضياع أو الإفلات من الرابطة، لأنه بلغنا أن بعض الأشخاص أو الجهات تريد الاستيلاء عليها.

وهي مسورة بسور جيد مغلق بباب محكم و يسكن فيها في غرفة واحدة حارس مع أسرته التي هي زوجته وأولاده.

ذكر مدير مكتب الرابطة هنا الدكتور فضل خلود أن أحد المحسنين النيجيريين تبرع بدفع ٥٧ ألف دولار تكملة لتسويرها والرسوم عليها تسعة آلاف دولار ونصف دفعها حاكم أبوجا المسمى (وزير أبوجا) وهو المهندس

عبدالله عبدالقادر كوبي الذي سيأتي ذكره عندما نزور مدينة (منى) عاصمة ولاية النيجر التي يتولى رئاستها.

والأرض واسعة ثمينة واقعة على شارع مهم في ضاحية العاصمة أبوجا، وقيل لنا إنها تساوي الآن لو تباع خمسة ملايين دولار، ولا استبعد ذلك لسعتها وحسن موقعها، إذْ هي على ما يشبه الميدان الممتد بإمتداد الشارع الذي ليس بينه وبينها إلاَّ هذا المتسع اتضح ذلك من عمل الذين يحاذونها ولكنهم أقرب إلى المدينة منها.

ويجب أن تستغل هذه الأرض في بناء مركز إسلامي يشتمل على مسجد جامع وقاعة محاضرات ومكتب للرابطة وإذا أمكن أن يشتمل أيضاً على مستوصف تابع لهيئة الإغاثة الإسلامية التابعة للرابطة فهذا أفضل.

وإذا أمكن أن يبنى فيها مركز إسلامي، فهذا أكمل وأغلى ليضاف هذا المركز إلى المراكز الإسلامية التي تديرها رابطة العالم الإسلامي مثل المركز الإسلامي في مدريد، والمركز الإسلامي في روما والمركز الإسلامي في برازيليا عاصمة البرازيل إلى جانب عدد من المراكز الأخرى.

يوم الخميس: ١٤٢٧/٤/١٣هـ:

مقابلة نائب رئيس الجمهورية:

هذا اليوم هو يوم مقابلة رئيس جمهورية نيجيريا ذات المائة والثلاثين مليوناً وهو مسلم متمسك بإسلامه، معروف بذلك و اسمه: (أبوبكر عتيقو).

كان موعد المقابلة في الساعة العاشرة من ضحى هذا اليوم ومكانها مكتب نائب رئيس الجمهورية في القصر الجمهوري في أبوجا.

والمسئول عن تنظيمها من قبل الرابطة هو الدكتور فضل خلود مدير مكتب رابطة العالم الإسلامي في أبوجا.

وقد لاحظت عند اقتراب الموعد أنه لا يقدر الوقت ولا الموعد المحدد قدره وقد عرفت منه ذلك، فألححت عليه بأن نكون قبل حلول الموعد في مكتب نائب رئيس الجمهورية، فذهب بنا إلى مقر رئيس قضاة نيجيريا الذي يسمونه (قاضي القضاة) وهو أيضاً رئيس المحكمة العليا في نيجريا، وهو في مقام أعلى من مقام الوزير مثلما كان عليه الأمر بالنسبة إلى منصب رئيس القضاة عندنا الذي شغله شيخنا الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد رحمه الله وجزاه عنا خيراً، ولكن باسم (رئيس المجلس الأعلى للقضاء).

فقلت له: إن الموعد يحين الآن ونحن لم نصل إلى القصر الجمهوري، فقال: لابد لنا من أن نأخذ معنا رئيس القضاة ونائب رئيس الاتحاد الإسلامي في نيجيريا كلها، وهو رئيس المركز الإسلامي الذي من جملة أعماله أنه رئيس ما يتعلق بالجامع العظيم المسمى بالجامع الوطني الآتي ذكره.

قال: فهما اللذان سيقدمانك لنائب الرئيس لأنه لابد لمن يسلم على نائب الرئيس أن تدعمه شخصيات كبيرة في الدولة.

هكذا قال.

ولكن الوقت يمر والموعد يقترب، بل كدنا نصل إليه.

كان معنا سيارتان من سيارات السفارة السعودية (دبلوماسيتان) بمعنى أن عليهما اللوحات السياسية كنت في الأولى منهما ومعي زميلي في الرحلة الأستاذ محمد بن أحمد الحساني، والدكتور فضل خلود مدير مكتب الرابطة في نيجيريا، وفي السيارة الثانية الأستاذ محمد بن أحمد بن حسن الغامدي القائم بالأعمال في السفارة وهو الرجل الثاني فيها بعد السفير،،ومعه الملحق الديني بالسفارة الشيخ محمد بن عبدالله البيشي.

ورئيس القضاة ورئيس المحكمة العليا في نيجريا، معه مدير المركز الإسلامي نائب رئيس الاتحاد الإسلامي في نيجيريا كلها الذي سبق ذكره.

وصلنا البوابة الخارجية للقصر الجمهوري فألفيناه بمثابة البلدة المستقلة لسعته وحسن موقعه في لحف تلة جبلية خضراء من جهة ومن الجهات الثلاث مفتوحة وهو غارق في أشجار خضر نضرة لا يدرك البصر مداه إذا نظر إليه من هذه البوابة الخارجية.

ألفينا عند البوابة الخارجية ثلة من العسكريين لا أدري أمن الحرس الجمهوري، أم من الشرطة ولكن ذلك أمر طبيعي فوقفوا في التعرف على سياراتنا، وعلى أشخاصنا، ومعنا كما قلت سيارتان من سيارات السفارة

السعودية تتقدمهما سيارة رئيس القضاة الذي يسمونه هنا (قاضي القضاة) وهو رئيس المحكمة العليا.

والبوابة من الحديد القوي الذي لا يؤثر فيه السلاح الناري فيما إذا وجه إليه.

بقي أشده:

دخلنا من البوابة الخارجية من شارع واسع ذي اتجاهين بينهما جزيرة خضراء فيها زهور وسرنا قليلاً، وإذا ببوابة أخرى عليها حرس يدققون في معرفة السيارات وراكبيها.

وقد أبطأوا قليلاً، إلا أنهم سمحوا لنا بالمرور فسرنا داخل القصر الجمهوري الذي لا يرى الإنسان له طرفاً، والمراد بذلك هذه المنطقة من الحدائق الخضر المحاطة بالأسوار داخله من الجهة التي يصل النظر إليها، ويسكن رئيس الجمهورية ونائبه في هذا القصر ويعملان منه.

فأوقفونا عند بوابة كبيرة مغلقة من الحديد غير المصمت وأمرونا بالنزول من السيارات.

وطلبوا منها أن تقف بعيداً نوعاً ما، فظننت أنه لم يبق علينا إلا أن نصل إلى مجلس نائب الرئيس إذْ دخلنا إلى مكتب وجدنا فيها جمعاً من الناس ضاقت بهم الكراسي الموضوعة فيه.

وكنت أحضرت معي هدية لنائب الرئيس هي تسجيل للقرآن الكريم جميعه على أشرطة في قراءة أحد المشايخ في الحرمين الشريفين وتمر من نخلات من السكرية من بيتي في بريدة وهي من أصدق تمر السكر ي حلاوة،

ومع ذلك كله نسخة من كتابي الذي ألفته عن نيجيريا في زيارتي الأولى إليها التي مضت عليها ٢٦ سنة وهو في جزئين.

فرايت السيارات ذهبت والهدايا ليست مع المرافقين المسئولين عن الهدايا وهما مدير مكتب الرابطة والملحق الديني في السفارة، فسالتهما بحدة عن الهدايا؟ فقالا: في السيارة.

فقلت لهما مستغرباً: كيف يكون ذلك؟ أندخل على نائب الرئيس والهدايا التي سنقدمها له في السيارة؟

فقال الدكتور فضل خلود لم نصل بعد إلى مكتب نائب رئيس الجمهورية؟

فسألته عن المكتب الذي نحن فيه ولمن هو؟ فأجاب، إنه تابع مكتب الأمين العام لرئاسة الجمهورية.

وقفنا مع الواقفين من علية القوم الذي يريدون مقابلة رئيس الجمهورية، ونائبه، وسمح لهم بدخول هذه المنطقة التي يصح أن تسمى بالمنطقة المحرمة على سائر الناس، وقد قطعنا من المساحة داخل البوابة الأولى إلى هذه التي أمرونا بالترجل عن سياراتنا عندها وأبعدوا السيارات.

وهذه المسافة التي قطعناها حتى وصلنا إلى هذا المكان هي أطول من المسافة التي تفصل بين البوابة الخارجية للقصر الملكي في الرياض أوجدة وبين قاعة الجلوس التي يجلس فيها الملك عندنا.

وعرفنا أنه بقي في الأمر أشده كما كان يقال قديماً، وأن هذا المكتب الذي لا يصل إليه المرء إلا بعد اختراق حراسات عديدة وأسوار متعددة محكمة أيضاً، إنما هو بمثابة تسجيل الذي سيقابلون رئيس الجمهورية أو نائبه.

فقد طلبوا من كل واحد منا أن يبرز جوازه أو بطاقته الرسمية التي تعرِّف باسمه، وتثبت شخصه ومصدرها فصورونا لديهم آلات متطورة وحدنا.

ثم يصورون الرجل معها بصورة يعلقونها بحبل قوي على صدر يتدلى من نقطة على صدره كالقلادة الواسعة التي يسميها بعض الكتاب (المدلأّة) من التدلي بمعنى التذبذب إلى أسفل.

والغريب الذي ركبن هَمٌ مؤقت بسببه أن موعد المقابلة قد فات ومضت أكثر من نصف ساعة على فواته.

إلى اختراق الأسوار أيضاً:

قربنا سياراتنا واستأنفنا اختراق الأسوار التي تعترض الطريق فيها البوابة الحديدية القوية عليها العسكريون والشرطة المسلحون الأقوياء، فدخلنا مباشرة مع بوابة محكمة يفتح بابها بالكهرباء.

وتبين لنا أنهم أبعدوا السيارات ليفحصوا داخل جسم كل سيارة فحصاً دقيقاً من أجل الأمن قبل أن يأذنوا لنا بركوبها.

وأوقفنا حاجز للشرطة أو الأمن كانت مهمتهم التأكد من أن كل واحد منا قد علق في رقبته بطاقة التعريف التي تحمل صورته، مع مقارنتها بوجهه.

ثم وصلنا إلى بوابة واسعة عليها حرس أشداء مسلحون أيضاً، قاموا بتفتيش السيارات أيضاً، وكأنها لم تفتش من قبل.

وهذه البوابة تعتبر البوابة الداخلية للقصر.

فأنزلتنا السيارات وأمروا بإبعادها فوراً، إلى مكان منعزل لا نعرفه فدخلنا راجلين مع بوابة ضيقة اسموها (البوابة الفضية) وهي خاصة بالدخول إلى مكتب نائب الرئيس، وكأن البوابة الذهبية خاصة بالدخول أي يدخل معها لقصر رئيس الجمهورية عندما وصلنا راجلين أي نمشي على أرجلنا ودخلنا مع البوابة الفضية التي تفضي إلى مكتب نائب رئيس الجمهوريةوجدنا الحرس الأخير وهو بوابةكهربائية يمر بها الداخلون وأناس يفحصون البطاقات ويسجلون عندهم أسماء حامليها، وبعد أن ختموا عليها بختمهم تركونا نمر.

مكتب نائب رئيس الجمهورية:

وكان هذا آخر المطاف في هذه الإجراءات الصعبة المعقدة، إذ صعدنا إلى مكتب نائب الرئيس مع درج سهل ودون مصعد لأنه لطابق واحد فأدخلونا غرفة اجتماعية صغيرة يصح أن توصف بالحقيرة بعد هذه التشديدات، ووسط هذه المدينة المسماة بالقصر الجمهوري التي لا يدرك البصر مداها إذا كان يمشي داخلها.

فهي كقاعة الاجتماع عليها تسعة كراسي في رأسها كرسي مخصص لنائب الرئيس ووضعوني على يمينه، وعلى يميني رئيس القضاة رئيس المحكمة العليا، ويليه من جهة يمينه مدير المركز الإسلامي نائب رئيس الاتحاد الإسلامي النيجيري يليه على يمينه الأستاذ محمد بن أحمد الحساني زميلي في الرحلة ثم القائم بالأعمال في سفارة المملكة العربية السعودية بجانبه على يمينه الدكتور فضل خلود فالملحق الديني الشيخ محمد البيشي.

وقاعة الاجتماع هذه صغيرة معتادة ليس فيها ما يسترعي الانتباه وإذا نظرنا إلى مائدة الاجتماع فيها رأينا أن المدير الصغير من مديري الإدارات في الوزارات والدوائر الحكومية عندنا لا يرضى بها، بل إنها أقل من قدره.

فقلت في نفسي: أهذا التشديد كله من أجل دخول هذه القاعة الصغيرة؟ مع أنني أعرف أن المراد منه الاحتياط للأمن.

وقد عرفت قبل مجيء نائب الرئيس أن الذي سوف يفتتح الكلام هو (قاضي القضاة) بكلمة يذكر فيها اسمي ومنصبي وما ألفته من كتب كثيرة، وأنني زرت أنحاء العالم كلها، فبقينا قليلاً في هذه القاعة الصغيرة ننتظر نائب الرئيس، وقد حفل المكان بمصوري التلفزة والصحافة، وبعدد من الصحفيين الذين استعدوا لكتابة ما يدور في الاجتماع.

وجاء نائب الرئيس:

دخل علينا نائب الرئيس بوجهه الندي الذي يوحي بالثقة وهو إلى الضخامة ما هو، ولكنه ليس كأغنياء النيجريين أو كبار الموظفين الذين هم كالهنود كلما كبرت وظائفهم ثقلت أجسامهم.

بدأ نائب الرئيس بالسلام عليَّ والسؤال عن الحال باختصار، ثم انتقل إلى حيث الموجودين يصافحهم أولهم بعدي رئيس القضاة على الترتيب الذي ذكرته حتى صافحهم كلهم، وليس على مائدة الاجتماع إلا تسعة كراس كما قدمت منها كرسيان خاليان، والباقية للصحفيين وربما لرئيس ديوان نائب الرئيس.

نائب رئيس جمهورية نيجريا يصافح المؤلف

بعد أن صافح الجميع وهم في أماكنهم لم ينتقلوا منها، وإنما كان هو الذي ينتقل إليهم، جلس في كرسيه فسادت فترة قصيرة من الصمت بدأ الكلام بعدها رئيس القضاة بالدعاء بأن يرفع يديه وهو يدعو بدعاء ما ندري ما هو والجميع منهم نائب رئيس الجمهورية رافعون أيديهم أيضاً ثم انتهى رئيس القضاة من دعائه فمسح وجهه بيديه ومسح الجميع مثله وجوههم بأيديهم.

ثم ألقى رئيس القضاة كلمة ذكر فيها اسمي وعملي، ونوه برحلاتي إلى جميع أنحاء العالم لتفقد أحوال المسلمين، وإيصال المساعدات إليهم من رابطة العالم الإسلامي ومن المملكة العربية السعودية.

ثم ذكر مؤلفاتي الكثيرة، وبالغ في الثناء عليَّ جزاه الله خيراً، وذكر جهود رابطة العالم الإسلامي التي اعمل فيها ويمثلها في هذه البلاد مكتب مقره في مدينة (أبوجا) ولها فرع في مدينة (ينوقو) ومركز كبير في (انوفيا) وعليها مهمة كبيرة في النهوض بالمسلمين على مستوى العالم.

كلمتي:

ساد صمت بعد أن أنهى رئيس القضاة كلمته، إذْ كنت أظن- كالمعتاد- أن يبدأ الكلام فأعلق على كلامه بكلمة مني، ولكن نائب الرئيس أشار إليَّ بأن أتكلم فألقيت كلمة مبسوطة ذكرت في مقدمتها الحمد لله تعالى الذي قدر هذا الاجتماع المبارك وشكرت نائب رئيس الجمهورية على إتاحته هذه الفرصة الثمينة للقاء به والترحيب الذي استقبلنا به.

وقلت: إن رابطة العالم الإسلامي منظمة إسلامية شعبية عالمية، لها مجالس عدة فيها ممثلون لكافة المسلمين في العالم على وجه التقريب مثل المجلس التأسسي للرابطة والمجلس الأعلى العالمي للمساجد ومجمع الفقه الإسلامي، ومجلس التنسيق بين المنظمات الإسلامية.

وذكرت أن ميدان عمل الرابطة هو الميدان الثقافي الإسلامي وليس المجال السياسي، فهي لا تعمل بالسياسة، وأهم مبادئها ألا تتدخل في الشئون السياسية، ولا في الأمور الداخلية للجمعيات الإسلامية في الخارج، إلا إذا طلبت منها الجمعيات ذلك مثل أن يحدث نزاع بين جمعيتين، فتطلبان تدخل الرابطة لحل ذلك النزاع، الذي يحدث كما يحدث الخلاف بين أعضاء الأسرة الواحدة، وقلت: إننا متابعون ومعجبون بالجهود التي تقوم بها الحكومة النيجيرية في إدارة هذه البلاد الواسعة، التي هي أكبر الدول الإفريقية من ناحية عدد السكان وفيها أكبر مجموعة مسلمة من أي بلد إفريقي آخر.

ويجدر أن ننوه هنا بأن (نيجيريا) قد نشأت فيها أكبر دولة إسلامية في العصور الحديثة وهي الدولة الإسلامية التي أقامها الشيخ الإمام (عثمان دان فودي) في شمال نيجيريا، على أساس تنقية العقيدة الإسلامية مما دخلها من عادات وتقاليد قبلية أو شعبية، إلى حكم إسلامي عادي نزيه.

ودعوة الشيخ (عثمان دان فودي) معاصرة لدعوة مشابهة نشأت عنها دولة مسلمة نقية وهي التي قام بها في بلادنا الشيخ محمد بن عبدالوهاب وناصره الإمام محمد بن سعود رأس الأسرة السعودية.

ولكن الاستعمار الإنكليزي حارب تلك الدولة الإسلامية التي أقامها الشيخ عثمان دان فودي حتى أسقطها.

وقد أصبحت نيجيريا بمكانتها الدولية وتأثيرها بل ثقلها في الميدان الإفريقي على رأس الساعين إلى حل المشكلات الإفريقية حتى التي تحدث بين المسلمين أوالعرب في إفريقيا، وذلك ماثل الآن في قيامها بالعمل على حل مشكلة (دارفور) في غرب السودان.

وذلك نابع من جهودها على أن يسود السلم والتقدم في القارة الإفريقية وفي العالم بأجمعه.

ولذلك كان المجلس التأسيسي الذي هو أهم هيئات الرابطة لا يخلو منه عضو من نيجيريا، وأول من شغل عضوية مجلس الرابطة هو السيد (أحمدو بيلو) رحمه الله، وعقبه الشيخ أبو بكر جومي رئيس قضاة شمال نيجريا.

وفي الختام كررت له شكري على إتاحة هذه الفرصة لنا لمقابلته.

فرد نائب رئيس الجمهورية السيد (أبو بكر عتيقو) على كلمتي بكلمة ضافية أذكر منها قوله: المسلمين أغلبهم غير متعلمين، ويجب أن تعمل الرابطة على توفير التعليم لهم، لأن التعليم هو أساس النجاح في الحياة، وما لم يكن المسلمون متعلمين فإنهم لا يستطيعون القيام بخدمة بلادهم في ميدان الإدارة والثقافة وفي الميدان الاقتصادي معظم المسلمين فقراء ورفع ذلك عنهم يحتاج إلى التعليم والثقافة، فنرجو أن تعملوا على تعليم المسلمين، وبذلك تحاربون الفقر بينهم.

وقال: بعض الناس دينهم غير صاف، بل مخلوط بعادات وتقاليد غير إسلامية، وكان ينبغي أن يكون للرابطة جهود في نيجيريا أكبر مما تقوم به الآن.

وقد نشرت الصحف هذه المقابلة ثلاث مرات، كما أخبرني الإخوة، وذكروا أن التلفاز بثها كاملة أو قالوا: بصفة موسعة.

واجبته أخيراً بشكره على كلامه، وقلت له: إننا نعتبر كلامكم توجيهات مهمة للرابطة ثم استأذنته في الانصراف وقدمت له الهدايا التي أحضرتها، وأولها نسخة من كتاب لي عن نيجيريا الذي هو بعنوان: (قصة سفر في نيجريا) وطبع في جزئين وصندوقاً من الورق المقوى (الكرتون) مليئاً بتمر السكرية، وتسجيل القرآن الكريم على أشرطة، وطلب أحد الأخوة منه التقاط صورة له معنا، فخرج من قاعة الاجتماع إلى رواق يتقدمها ووقف ووقفنا بجانبه، فالتقطنا هذه الصورة التذكارية.

وبهذا انتهت هذه المقابلة المهمة وطلبت من مدير مكتب الرابطة تلخيص ما نشرته الصحف النيجيرية عنها وموافاتي به.

الدعاة الشاكون:

صورة تذكارية للدعاة مع المؤلف عند مدخل مكتب الرابطة في أبوجا بنجيريا

كان ظهر اليوم مخصصاً للاجتماع بدعاة رابطة العالم الإسلامي وهم الدعاة الذين تعاقدت معهم الرابطة للعمل لديها برواتب شهرية معينة، وكان تعيينهم منذ سنوات عديدة، لأن الرابطة صارت الآن لا تعين دعاة، بل صار عدد الدعاة ينقص ولا يزيد، ينقص بالوفيات، وبأسباب أخرى، ولا يعين بديلاً عنه داعية أو داعٍ آخر.

وهذا الاجتماع بالدعاة اليوم جاء بناء على طلب منهم، وليس عن رغبة مني ومؤداه شكواهم من تخلف رواتبهم لدى الرابطة لمدة سنة وشهر مع فقرهم وحاجتهم وحاجة أسرهم إلى المكافأة التي تدفعها الرابطة لهم.

عدد الدعاة الذين يتبعون رابطة العالم الإسلامي في نيجيريا هو ٥٧ داعية حضر منهم اليوم ستة ممن كانوا في (أبوجا) أو قريباً منها، أما الآخرون فإنهم لا يستطيعون المجيء لعدم وجود الأجرة التي توصلهم إلى (أبوجا) حتى ولا على ظهر سيارة شحن.

وقد شكوا من ذلك بل جاروا بالشكوى، ولكن لم يستمع لهم أحد، وكتبوا- فيما يقولون- عشرات الرسائل إلى الرابطة فلم تردعليهم بحواب.

وقال أحدهم: لقد تلقيت أمراً من المحكمة بأن أخلي البيت الذي أسكنه مع أطفالي بسبب تخلفي عن سداد الأجرة، وكنت تسلفت واقترضت حتى لم أجد من يقرضني، وكيف يقرض الناس من أقرضوه ولم يرد لهم قرضهم؟

المؤلف يلتقي بمجموعة من دعاة الرابطة في مكتب الرابطة ويبشرهم بقرب صرف مستحقاتهم ويتبرع لهم بمبلغ ألفين دولار تكرمة منه

فأخبرتهم بأن السبب في ذلك أن التحويل الآن ممنوع على الرابطة فالمصارف لا تقبل أن تحول للرابطة أي مبلغ من المال للخارج، لأن هذا هو مطلب أمريكا التي اتهمت بعض الجهات بأنها تحول الأموال إلى الجمعيات الإرهابية في العالم، وتريد بذلك عموم الجمعيات الإسلامية، التي وإنْ لم تكن إرهابية، ولا تعطي الأموال للإرهابيين وإنما تدفعه للدعاة أو للمساعدة على بناء المساجد أو تسيير المدارس الإسلامية ولكنهم لبغضهم للدين الإسلامي والقائمين عليه، يمنعون التحويل إليهم عن طريق البنوك والمحلات من أجل

منعهم من العمل في الدعوة الإسلامية أو على الأقل إضعافهم، وعدم وصول الإعانات المالية لهم من إخوانهم المسلمين القادرين على إعانتهم.

لقد قلت لهم ذلك وهو صحيح ولم أقل لهم الواقع وهو أنني عندما أردت السفر قبل أسبوعين طلبت من الإدارة المالية في الرابطة أن تعطيني جميع الرواتب المتخلفة للدعاة في نيجيريا وهي نحو أربعمائة وخمسين ألف ريال لأحملها وأسلمها لمدير مكتب الرابطة فضل خلود حسب اتفاق سبق معه، على أن أسلم ذلك إليهم حسب استحقاق كل واحد منهم، وقد جهزت كل ذلك وما شعرت إلا بالمدير العام للشئون المالية والإدارية يأتي في مكتبي ومعه شيك على أحد البنوك في مكة المكرمة فيه المبلغ الكبير باسمي ومعها أمر الصرف من الأمين العام بأن يصرف المبلغ سلفة عليَّ، فسألت المدير المذكور عن معنى كونها سلفة عليَّ، فأجاب: إن معنى ذلك أن تقيد سلفة عليك لا تسوى إلا بعد أن تأتي بإيصال من كل داعية في نيجيريا باستحقاقه، وإلا بقيت سلفة عليك.

فقلت له: إنه ليس من واجبي فضلاً عن أن يكون من عملي أن أصرف رواتب الموظفين، بل ذلك من واجب إدارة الدعاة والمحاسبة في الرابطة، وإنما أنا أريد الخير، وقد فكرت أن أتسلم هذا المبلغ الكبير أو قع بتسلمه ثم أسلمه لمدير مكتب الرابطة في (أبوجا) ليسلمها للدعاة بمعرفته، كما هي العادة الجارية منذ عشرات السنين، وبالنسبة لمكاتب الرابطة في أنحاء العالم.

أما أنا فإنني لا أقبل ولا استطيع أن أجول في أنحاء نيجيريا لأسلم راوتب كل داعية إليه بيده، لأن هذا- أولاً يستغرق وقتاً طويلاً، وثانياً فيه خطر عليَّ وعلى النقود لأن الأمن في نيجيريا ليس على ما يرام.

وهكذا لم يتيسر لي احضار رواتب الدعاة وإنما أحضرت معي نفقات مراكز الرابطة.

والواجب على الرابطة أن ترسل مدير الدعاة أو أحد موظفي المحاسبة بهذه النقود إلى (كانو) في نيجيريا فيلتقيه مدير مكتب الرابطة هناك ويتسلمها منه والسفر من جدة.

هذا وأمام شكوى الدعاة من العوز والفاقة أعطيتهم الفين وخمسين دولاراً صدقة توزع عليهم أو على المحتاجين منهم ليست من الرابطة ولكن رأفة بحالهم، ودعوتهم بأن ترسل الرابطة إليهم موظفاً معه رواتبهم طبقاً لما سبق.

يوم الجمعة ١٤ ربيع الثاني سنة ١٤٢٧هـ:

الالتقاء برؤساء الجمعيات والمنظمات الإسلامية في أبوجا:

قام وفد الرابطة صباح اليوم الجمعة بالالتقاء بعدد من رؤساء الجمعيات والمنظمات الإسلامية العاملة في أبوجا وعددها ١٧ جمعية ومنظمة وهي: منتدى المسلمين الاختصاصيين، منتدى مسلمي أبوجا، جمعية الخريجين المسلمين، جمعية نصر الله، جمعية الطلاب المسلمين، رابطة المهنيين المسلمين، مركز الدراسات العربية والإسلامية المتقدمة، اتحاد الأطباء المسلمين، مسلمي الأمة النيجيرية، مركز أبوجا للوعظ والإرشاد، اتحاد خريجي المركز الإسلامي في افيبكيو، جمعية مسلمي كوبوا، مجلس الدعاة المختصين، اتحاد المحامين المسلمين، جمعية مسلمي ولاية أيبوني في أبوجا.

وذلك بحضور رئيس القضاة ورئيس محكمة الاستئناف العليا الشيخ محمد بشير سمبو، وسكرتير المركز الإسلامي في أبوجا البروفسور إبراهيم مكوشي، وقد طلب الشيخ رئيس القضاة سمبو مني إلقاء كلمة توجيهية في رؤساء المنظمات والجمعيات الإسلامية في أبوجا، بعد أن أعلن ترحيبه وسروره بمقدم وفد الرابطة.

فتحدثت إليهم حامداًالله على أن دولة نيجيريا دولة كبيرة فعالة شهدت قبل عهد الاستعمار ولادة أول حكومة إسلامية في إفريقيا الغربية وهي حكومة الدولة التي أنشأها الإمام المجاهد عثمان دان فودي، وأن في نيجيريا أخوة مستمسكين بدينهم مدافعين عنه، وأن من حقهم على إخوانهم العرب وغيرهم التواصل معهم بالزيارة وتفقد أحوالهم، والشد من أزرهم، وأن مجالس الرابطة تشرفت بانتماء عدد من زعماء نيجيريا إليها وفي مقدمتهم الشهيد الزعيم أحمدو

بيللو وإن أخوتهم المسلمين يعتقدون في أبناء نيجيريا الخير كل الخير وأنهم سيظلون دعامة للإسلام والمسلمين، ثم ذكرت لهم أن الإسلام يتقدم ولله الحمد في العالم كله.

وقد أعرب رؤساء الجمعيات والمنظمات الإسلامية عن سرورهم بما سمعوه من رئيس وفد الرابطة وأعلنت لهم عن تبرع الرابطة بمبلغ سبعة عشر ألف دولار توزع كمعونة رمزية عاجلة على تلك المنظمات والجمعيات داعياً رؤساءها إلى تزويد الرابطة مفصلاً بأسماء وعناوين جمعياتهم ومنظماتهم من أجل التواصل معهم في مناسبات الرابطة ومؤتمراتها وندواتها وأعمالها التي يدعى أمثالهم إلى المشاركة فيها حرصاً على استمرار العلاقة ونموها بين المنظمات والجمعيات الإسلامية في نيجيريا وبين رابطة العالم الإسلامي.

وهذا ملخص لشيء مما قيل في الاجتماع:

كلمة الإمام الدكتور نور بن دندي الترحيبية:

في اللقاء الذي جمع بين المنظمات الإسلامية في أبوجا وبين (معالي) الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الشيخ العبودي.

الجهة المنظمة: الملتقى الإسلامي الاستشاري في أبوجا.

المكان: قاعة المؤتمرات الملحقة بالمسجد الوطني في أبوجا ٢٠٠٦/٥/١٤م:

ملخص الكلمة:

تمشياً مع قوله عليه الصلاة والسلام: " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فاليكرم ضيفه" وتكريماً لضيوفنا الكرام، تم تنظيم هذا الاجتماع الذي يجمع بين الشيخ العبودي أمين عام رابطة العالم الإسلامي وبين المنظمات الإسلامية القائمة في العاصمة وما جاورها، وفيما يلي ملخص كلمة الإمام نورين دندي رئيس الملتقى الإسلامي الاستشاري في أبوجا.

معلومات خاصة بدولة نيجيريا:

نيجيريا هي قلب إفريقيا النابض، وقد جعلتها سمعتها الطيبة ومساهماتها الإيجابية في العالم الإسلامي عرضة لحملات التنصير والتعصب من قبل غير المسلمين.

يبلغ عدد سكان نيجيريا ١٥٠ مليون نسمة ينتمون إلى ٤٣٠ مجموعة عرقية ويدين ٦٠% منهم بالإسلام، وزيارة أمين عام رابطة العالم الإسلامي التي جاءت في الوقت المناسب تعد مفيدة أيضاً لعلاقة الرابطة ببلد يضم أكبر

عدد من السكان المسلمين في إفريقيا السوداء، وليس فيها أية شبكة إرهابية أو تنظيمات تابعة لتنظيم (القاعدة)، رغم الشائعات التي يراد بها تشويه السمعة وإيقاف دعم نشاطات الدعوة الإسلامية وإعاقة مسيرتها.

بالنسبة لنطاق مشاريع الرابطة في نيجريا:

يأملون في أن تقوم الرابطة بتنظيم دورات التنمية القدرات وتقنية المعلومات.. الخ، وبدعم دورات وندوات إسلامية وبرامج إذاعية وتلفزيونية كما تفعل الإرساليات المسيحية.

بالنسبة لأعمال الدعوة:

فقد تقلصت بسبب إغلاق مكاتب مؤسسة الحرمين ومنظمة المنتدى عقب أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وحبذا لو فاتحت الرابطة منظمة الأمم المتحدة بهذا الموضوع.

بالنسبة لإيران:

المسلمون في نيجيريا قلقون على العراق بسبب إزهاق أرواح الرجال والنساء والأطفال والشيوخ جراء الحرب التي أشعل فتيلها الأمريكان بدعوى البحث عن أسلحة دمار شامل غير موجودة أصلاً.

بالنسبة للايران:

يعارض المسلمون في نيجيريا سعي أمريكا إلى المواجهة مع الجمهورية الإسلامية الإيرانية بسبب برنامجها النووية التي تهدف إلى توليد الكهرباء وغير ذلك من الأنشطة الإيجابية ويرفضون الكيل بالمكيالين والتفرقة بين إيران

وبين كل من الهند وإسرائيل الخ.. الخ. في هذا المجال ويدعون الرابطة إلى حشد دعم الأمة الإسلامية وتضامنها مع إيران ضد أي عدوان خارجي.

ختاماً، قدم الشيخ دندي نفسه باعتباره أميراً لمنظمة الملتقى الإسلامي الاستشاري، في أبوجا، وهي منظمة إسلامية تقوم بنشاطات إسلامية مبنية على الدعوة إلى نشر السلام و العدالة والتفاهم المتبادل بين المسلمين وغيرهم وشرح مبادئ الإسلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتنظيم الحوارات وحماية الحقوق المدنية والدينية وتعزيز مكانة المسلمين ورحب مرة أخرى بالضيوف سائلاً الله أن يكلل زيارتهم بالنجاح وأن يعيدهم سالمين إلى أوطانهم.

التاريخ ١٤٢٧/٥/٤هـ.

الجامع العظيم:

لا تخطي عينا من يصل إلى القسم الجيد في مدينة (أبوجا) الذي هو قسم من أقسام عديدة جيدة فيها منظر الجامع العظيم المسمى بالجامع الوطني، وقد يستغرب بعض الناس ورود كلمة (وطني) في هذا المجال الديني، ولكن له نظائر ربما كانت في أذهانهم عندما أسموه الجامع الوطني وذلك في جامع الاستقلال في مدينة جاكرتا عاصمة اندونيسيا وفي (الجامع الوطني) في مدينة كوالا لامبور عاصمة ماليزيا.

وكلا الجامعين ذو مظهر سري عجيب، وعناية أعجب، حتى إنني أرى ظلي في بلاط ممراته إذا سرت فيه لصفاء لون رخامه وشدة العناية بصقله وتنظيفه.

أما (الجامع الوطني) هذا الذي لا يمكن أن يوصف إلا بالعظيم لأنه مبني عظيم لمعنى عظيم فإنه أجل في النفس، لأن أهل نيجيريا من المسلمين كانوا مشهورين بأنهم يعتنون بالمخبر، دون المظهر ولكنهم في هذا المسجد قد اعتنوا بالاثنين بالمظهر والمخبر، فصح فيهم ما ذكره لي الشيخ أبو بكر الجومي رئيس قضاة شمال نيجيريا رحمه الله وهو عضو في المجلس التأسيسي للرابطة عندما رأى الزيادة الواسعة في الحرمين الشريفين التي جمعت بين الجمال والمنفعة، فقال: الآن نقول: لنا الدنيا والآخرة، إذْ كنا نقول إذا ما رأينا المنشآت الواسعة الكبيرة لدى الكفار، لهم الدنيا ولنا الآخرة، والآن أمكننا أن نقول: لنا الدنيا والآخرة.

قلت: قال الله تعالى: (ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة).

وعندما رأيت هذا الجامع العظيم أول مرة عندما أردت الدخول في فندق (شيراتون) الذي أقيم فيه صورته وعزمت على أن أعود إليه ثانية لأراه من الداخل وأصور منه ما يحتاج إلى إيضاح.

وقد كان حلول صلاة الجمعة اليوم مناسبة لرؤية كيف تقام الجمعة فيه، ذهبنا إليه على سيارة السفارة السعودية، وصاحبها من أهل البلاد، متمرس في البحث عن المواقف المناسبة، والسير بها قبل ذلك في الزحام.

أول ما دخلناه وهو قريب من الفندق أعجبت بالارتفاع الهائل لسقفه مما يستكثر معه من ينظر إلى التكلفة المالية لذلك فقط.

ويجدر بنا أن نذكر هنا أن حكومة المملكة العربية السعودية تبرعت له بخمسين مليون ريال أي نحو ١٣ مليون دولار وأن حكومة نيجيريا تبرعت له بعشرة ملايين دولار، ولكنها تبرعت أيضاً للنصارى بمثل ذلك لكي يبني المسلمون والنصارى كل فريق منهم دار عبادة ضخمة مناسبة للعاصمة الفتية (أبوجا) وذلك عندما كانوا يخططون المدينة، فالمسلمون أخذوا المبلغ وانفقوه بحكمة ولكن بسخاء وجمعوا معه ملايين الملايين من تبرعات الأثرياء منهم، ومحبي الخير ممن يريدون أن يبرز الطابع الإسلامي للعاصمة عن طريق وجود هذا الجامع العظيم.

وعندما رأيت هذا الجامع العظيم تذكرت الملك العظيم- بضم الميم- لسلطان السودان العظيم المعروف بلقبه (مَنْسَى) وهو لقَب لكل من تولى الملك منهم حيث ذكر ابن فضل الله ونقله عنه القلقشندي في كتابه (صبح الأعشى)، أو هو قال هذا القول بنفسه: إن ملوك الإسلام أربعة وذكر منهم ملك السودان

الذي عاصمة ملكه في بلاد مالي وهو سلطان مالي، وذكر أن بلاده تمتد مسيرة أربعة أشهر في شهرين فهذا (الجامع) العظيم عنوان لذلك الملك السوداني القديم، ولكن بوسائل أبنية حديثة، تبقى على الدهر ولا تمحوها الأيام، وليس كذلك المساجد الكبيرة في هذه البلاد السودانية فإنهم كانوا يبنونها من الطين الذي تؤثر فيه العوامل الجوية، وبخاصة الأمطار في فصل الأمطار، ولذلك لم يبق منها إلا رسومها أو مساجد وجوامع غيرها ولكنها بنيت على غرارها.

فهذا الجامع العظيم بني من الأسمنت المسلح، والآجر وغيرهما من مواد البناء القوية ولكن بطريقة لا تعرف التقتير ولا الشح بالمال عليه.

وينبغي أن نتذكر هنا أن هذه المنطقة التي يفترض أنها جزء من سلطنة السودان القديم الذي مركزه مالي كانت تعرف بالسودان منذ القرون الأولى لدخول الإسلام، وذلك قبل أن يكتسب القطر السوداني العربي هذه التسمية بقرون.

بل إن السودان العربي الذي عاصمته الخرطوم لم يحصل على شرف هذه التسمية إلاَّ قبل نحو مائتي سنة، على حين أن هذا السودان الذي صار يسمى في العصور الأخيرة (السودان الغربي) تمييزاً له عن السودان الشرقي الذي هو العربي قد حصل على تسميته بالسودان قبل ألف سنة أو تزيد.

وعوداً إلى ما ينبغي أن يتذكره المرء في هذا الصدد، وهو أن كلمة السودان لا تدل على تعيير بالسواد ولا على نبز بالألقاب، بل إنها تدل على عكس ذلك فهي تدل بمفهومها على أن هذه المنطقة الواسعة من غرب إفريقية التي تسمى بالسودان لا تختلف عن غيرها من بقاع العالم الإسلامي إلاَّ بهذا

اللون الداكن الذي هو من صنع الله تعالى وليس من صنع البشر، وأهله أول من عرف به ولا يجدون غضاضة في ذكره.

ونعود مرة ثالثة إلى كلمة (ينبغي) فنقول: ينبغي أن يتذكر القارئ الكريم أن السودان الغربي العظيم صار يسمى عند بعض المؤرخين (بلاد التكرور) وقد اشتهرت هذه التسمية في مصنفات المتأخرين من المؤرخين حتى وصلت إلى المؤلفين من أصل البلاد السودانية فصنف الشيخ محمد بللو ابن الشيخ المجاهد عثمان دان فودي كتاباً في تاريخ تلك المنطقة عنوانه: (انفاق الميسور من تاريخ التكرور) وقال فيه: إن اسم التكرور موجود في الحرمين الشريفين وفي بعض الأمصار العربية وممات في موطنه، فما نعلم بلداً بهذا الاسم أو أناساً يسمون بهذا الاسم.

وأقول: إن مؤلفاً آخر من أهل المنطقة صنف كتاباً سماه (فتح الشكور في بلاد التكرور) وما أشار إليه الشيخ محمد بيللو من كون التكرور مشهور في بلاد الحرمين الشريفين بين ما هو مشتهر معروف عن أهل السودان الغربي أنهم كانوا يسمون في بلاد الحرمين الشريفين (التكارنة) واحدهم تكروني، بمعنى تكروري من التكاررة، وأما كونه لا يوجد في تلك المنطقة فذلك صحيح في الوقت الذي كتب فيه كتابه وإلى الآن.

وأما ما كان قبل ذلك فإنه كان موجوداً معروفاً بل مشهوراً ذكره طائفة من المؤرخين العرب نقلت بعض كلامهم في كتابي: (سطور من المنظور والمأثور في بلاد التكرور) حيث ذكر المؤرخون العرب بلاد سلي وتكرور في ديار السودان هذه وحددوا بها بعض المواضع.

الجمعة الجامعة:

شط بنا القول فصرنا نثرثر في شيء متصل بالموضوع الذي نتحدث عنه، وإن لم يكن منه، ولذا نعود إلى ذكر المشاهدات في هذا الجامع العظيم فنقول: إنني رأيت في خارج المسجد نساء وأطفالاً يبيعون بضائع خفيفة، ولكن بدون إلحاح أو مضايقة للمصلين فهم خارج المسجد، مع أن المسجد له فناءان مكشوفان يصعد إليهما من مستوى الشارع بدرج عريض عجيب في سعته وإتقان صنعه وبعدهم مما يلي المسجد صف المحتاجين أو الذين يظهرون للناس أنهم كذلك، أو يعتقد أكثر الناس أنهم من المستحقين للزكاة، وهم جالسون من دون أن تصدر منهم أصوات فضلاً عن الضجة أو مضايقة القادمين للصلاة.

وهؤلاء أكثرهم صحيح البدن إلا قلة من الزمني وهم المصابون بأمراض مزمنة تمنع الإنسان من القيام بشؤونه الخاصة كما يقوم بها غيره من الأصحاء.

كان جمع الداخلين إلى الجامع كثيفاً خفت منه ألاَّ نجد مكاناً خالياً، وإذا بخوفي في غير محله، إذ وجدنا مكانين لي ولصاحبي في الرحلة الأستاذ الشاعر محمد بن أحمد الحساني، في صف ربما كان الرابع من صفوف المسجد الطويلة جداً، وقد كان خلفنا عندما وصلنا أناس كثر إلا أنني وجدت أنهم لا يحرصون على أن يملأوا الصفوف الأمامية قبل غيرها، مع أن هناك من يفعل ذلك.

لقد كنت توقعت في هذا الجمع العظيم المزدحم لاسيما بعد أن تكاثر القادمون للصلاة حتى ملأوا المسجد كله أن أشم الرائحة المميزة غير المحببة المعروفة عن بعض أهل إفريقية الخضراء، ولكنني لم أشم شيئاً من ذلك، والسبب هو حرص المصلين على أن يغتسلوا ويتنظفوا قبل أن يذهبوا إلى

الجامع وهو أمر معروف عن كافة المسلمين في غرب إفريقية، ورأيت ذلك منهم في عدة بلدان من غامبيا إلى ما كان عنها شرقاً وجنوباً.

وشيئاً أخر لاحظته فذكرته وهو أنك لا ترى في هذا الجمع العظيم في الجامع الكبير من يصدم نظرك منظر ثيابه، وقد تعمدت هذا اليوم كما فعلت من قبل في مكان آخر مماثل أن أرى رجلاً عليه ثياب متسخة أو مهملة أو غير لائقة مع أن المصلين يصل عددهم إلى عشرات الألوف من الناس فلم أجد ذلك.

الموعظة بأربع لغات:

دخلنا وشخص واقف بمثابة الخطيب ولكن على مكان مرفوع عن الأرض قليلاً وليس على منبر المسجد، وهو يتكلم بلغة لا أدري ما هي، ويظهر أننا قد بكرنا فدخلنا وهو يبدأ موعظته.

وعندما فرغ قام شخص آخر في مكانه فألقى موعظة بلغة أخرى، وثالث ورابع.

أخبروني بعد ذلك أن المتكلمين يتكلمون بلغات أربع من لغات المصلين في المسجد وهي الهوساوية واليوباوية والأيبوبة- نسبة إلى قبائل الأيبو، وأما الرابعة فلم أعرفها.

وقد اضطروا إلى ذلك مثل غيرهم من الأعاجم الذين لا يعرفون العربية ويحتاجون إلى وعظهم بلغتهم، وقال لي أحد الأشخاص بعد ذلك: إن هذه المواعظ الأربع هي ترجمة للخطبة التي يلقيها الإمام الرسمي الخطيب الذي ألقى بعد ذلك خطبته باللغة العربية، ولكنه فسر بعض جملها وألفاظها بالإنكليزية.

وكنت أتأمل المصلين فأجد أن بعضهم يضع على رأسه قلنسوة (طاقية) مزركشة ملونة وبعضهم حاسر الرأس، وكلا القسمين كثير.

وكنت ورفيقي الأستاذ محمد الحساني علينا الملابس العربية عدا العباءة فما رأيتها نسترعي انتباه الناس، وذلك أن لابسي القمصان العربية الطويلة فيهم كثير ولابسي الغلانس (الطواقي) البيض مثل طواقينا كثير أيضاً.

ثم أقبل الناس بكثافة على الجامع حتى غص بهم على سعته وسعة ملحقاته فرأيتهم صعدوا إلى الشرفات في جوانب المسجد، وقد امتلأت بهم فصف أناس منهم أمامنا أي من أمام المصلين، وقد تركوا ما يوازينا فوقف الإمام خارجاً حتى لا يتقدموا عليه، وأما ما عدا ذلك من مقدمة المسجد وهي فناء (حوش) واسع يقع أمام المسجد فملأوه أيضاً.

ورأيت شباناً وفتياناً غير كثيري العدد عليهم لباس خاص يعرفون به، ومع كل واحد منهم صندوق يضع فيه من يريد من المصلين ما تسمح به نفسه، ليدخل صندوق الجامع، وهم يمرون بالناس، ولا يسألونهم، ولا يتكلمون بشيء، ثم انقطعوا، وربما كانوا ذهبوا إلى الصفوف الخلفية التي جاءت بعدنا.

ولم أر أحداً من المصلين من الأجانب غيرنا، ولا شك أن سبب ذلك هو سعة الجامع، وإلا فإنه لا يمكن أن يخلو المسجد من أي شخص ليس أسود اللون.

بعدما ذكرته من الموعظة بأربع لغات صعد الخطيب المنبر فألقى الخطبة بلغة عربية فصيحة، ولكنه فسر بعض الجمل أو العبارات الواردة فيها إلى الإنكليزية.

والعجب في أفعال هؤلاء الإخوة عند أداء صلاة الجمعة أنهم كانوا على غاية من الأدب والهدوء حتى السعال والعطاس كان نادراً بينهم، وقد وازنت بين هدوئهم وبين حالة بعض المصلين في البلدان العربية في صلاة الجمعة

الجامعة، فكان هؤلاء المسلمون الأفارقة أكثر هدوءاً في هذا المسجد وأكثر التزاماً بآداب الاستماع إلى الخطبة أكثر من الأمم المسلمة من غيرهم.

وكان المؤذن قد أذن أذاناً واحداً قبل أن يصعد الإمام المنبر للخطبة، وآذانه مثل الأذان عندنا من دون زيادة أو نقص، وكذلك إقامته للصلاة، وليس كالحنفية الذين يكررون بعض جمل الإقامة التي ننطق بها في الإقامة جملة يكررونها جملتين.

وخالفوا الحنفية أيضاً في كونهم لبثوا جالسين قليلاً بعد الفراغ من صلاة الجمعة، ولم يتنفلوا، أما الحنفية الذين رأيناهم في بلادهم في شمال الأرض وأقربهم إلينا في الوطن تركيا فإنهم ينهضون فور التسليم من الصلاة للتنفل الذي يكون أكثر من تسليمة واحدة على تفاوت بينهم في عدد ركعات النافلة بعد الصلاة.

وبعد انتهائهم من التنفل يتلبثون قليلاً للدعاء وربما لتلاوة آيات القرآن الكريم، وأما هؤلاء الاخوة الأفارقة الذين يتبعون المذهب المالكي فإنهم خالفونا أيضاً في كونهم لا يصلون نافلة في المسجد، بخلاف ما هو موجود عندنا من التنفل ركعتين بعد التسبيح والتحميد.

علدما رأيت الجموع الضخمة تتحرك خارج المسجد من جميع الاتجاهات ولكن بهدؤ عجيب تعجبت من كثرتهم، وقلت في نفسي: أيوم كيوم كاشغر؟

وكاشغر مدينة واقعة في تركستان الشرقية التي تحكمها الصين في الوقت الحاضر، وكنت زرتها في عام ١٤٠٤هـ على رأس وفدا لرابطة العالم الإسلامي مكون من سبعة أشخاص فازدحم المسلمون المصلون في جامع كبير عندهم يسمونه (عيد كاه) وكانوا من الكثرة في مثل هؤلاء، ولكن النظام عندهم في تضعضع أثناء

هذا الاجتماع حتى فقد أو كاد، ولولا جهود رجال الأمن الذين أحاطوا بنا ومنعوا الناس من مصافحتنا، أو حتى من لمس ثيابنا لكان حدث لنا ما لا تحمد عقباه، وقد ذكرت ذلك مفصلاً في كتاب (زيارة لتركستان الشرقية).

وقد خرجنا من الجامع من الجهة التي دخلنا إليه منها وهي جهة الغرب فمررنا بالصرحة وهي الفناء المكشوف فوجدناه على رحبه مليئاً بالناس لأن بعضهم أو أكثرهم كانوا انصرفوا قبل أن نراهم متزاحمين فيه.

ثم رأينا صرحة أخرى وهي الفناء المكشوف خلف هذه الصرحة قد امتلأ أيضاً ويتميز عن الفناء الأول بأن أرضه أكثر انخفاضاً وإن كان لا يوصل إليه من الشارع إلا على درج.

ورأيت عند الخروج من المسجد شحاذين كثراً ولكنهم دون أصوات مزعجة كالتي رأيتها وسمعتها في الجامع المكرم في مدينة (دكا) عاصمة بنغلاديش المعروف ببيت المكرَّم، فقد كان الشحاذون فيه يرفعون أصواتهم بطلب الإحسان والصدقة رفعاً منكراً.

وفي هؤلاء الشحاذين النيجيريين بعض الأطفال، ولم أر فيهم شخصاً أبيض.

وبعد أن خرجنا من المسجد عرفنا أنه (بقي أشدَّه) كما يقول المثل العربي القديم، فقد كانت السيارة الوافقة تخالطها دراجات نارية كثيرة كثرة لافتة للنظر تحيط بسيارتنا مما إستدعى معه الأمر أن نطلب المعونة من غيرنا.

وقد حضر بعض ارباب السيارات، ولكنهم أيضاً لا يستطيعون إخراج سياراتهم بسرعة لكونها دونها سيارات أخرى.

ولم نطل المكث حتى جاء بعض أهل السيارات فانطلقنا من الجامع الوطني الكثير الملحقات من الأفنية، بل والحدائق والأبنية، حتى غدا تحفة في منظره، وعجباً في سعته.

وتقابله على بعد قليل كنيسة زعم النصارى- كما قال لي إخواننا المسلمون، أن المقصود منها أن تكون بجانب المسجد لتحدث توازناً في نفس من يراها بين المسلمين والنصارى في نيجيريا غير أن منظرها ليس بشيء عند منظر هذا الجامع العظيم فهي ذات برج واحد أقصر وأدنى كثيراً من إحدى منارات الجامع الأربع، وهي ذات قبة مستطيلة نوعاً، لا يمكن أن تضاهي في النظر القبة العربية التي تشبه قبة المسجد النبوي في المدينة المنورة إلا أنها أكبر منها حجماً واصفى لوناً من الخارج، إذْ القبة النبوية خضراء اللون وهذه ذهبية ترى برونقها وضخامتها على البعد.

مكتب الرابطة مرة أخرى:

جئنا من الجامع الوطني بعد صلاة الجمعة إلى مكتبنا: (مكتب رابطة العالم الإسلامي) فوجنا الكهرباء فيه مقطوعة، ونحن في الظهيرة حيث يشعر المرء بالحر وإن لم يكن بالغاً ولا ماءَ في حماماته لأن رفع الماء إلى الخزان العلوي يحتاج إلى كهرباء.

وكان المكتب قد اشترى مؤلداً كهربائياً خاصاً، ولكننا وجدناه متعطلاً أيضاً، ومن غير المستساغ عندي في القياس أن يكون الحي الذي فيه المكتب راقياً منظماً فيه أبنية عالية مكلفة وفيه أشجار وزهور، ومع ذلك تكون الكهرباء منقطعة عنه، إذْ عرفنا عدم انطقاع الكهرباء عن الأحياء الراقية وهو من

نيجيريا دولة نفطية وتستطيع أن تحصل على الوقود الذي تحتاج إليه مولدات الكهرباء من بلادها من دون عملة صعبة.

وقد أخبرنا مدير مكتب الرابطة في أبوجا الدكتور فضل خلود أن الوقت لا يتسع للغداء في أحد المطاعم الراقية التي طلبناها لأن سفرنا إلى شمال نيجيريا قد أزف، إذْ ذكر أن موعده في الرابعة ونحن الآن بعد الثانية، لذلك أخرجت كيسين من أكياس التمر الذي أحضرته معي من نخلات في بيتي في بريدة من السكري والبرحي في كل كيس نحو كيلوبين اثنين وفتحتهما أمام الموجودين في المكتب من عمال وزوار وعددهم نحو العشرة وقلت لهم: إننا سوف نأكل كل ما في هذين الكيسين من التمر لا نبقي منه على شيء.

وقد أكلنا معهم حتى آخره واستعضنا بذلك عن الغداء.

السفر إلى بلاد البرنو

(البرنو) إحدى الجماعات الكبيرة التي يتألف منها شعب نيجيريا الكبيرة ولكنهم يتميزون عن غيرهم بأنهم وإخوانهم من الكانم كانوا أنشأوا أقدم إمبراطورية إفريقية خاصة سميت مملكة الكانم والبرنو وعاشت لأكثر من ألف سنة.

وقد حفلت المراجع العربية بالإشارة لهذه المملكة المسلمة.

وعرّفنا نحن في مكة المكرمة (البرنو) بأنهم إحدى فصائل التكارنة الذين هم سكان السودان الغربي التاريخي، فكان الناس يسمونهم البرناوية الواحد منهم برناوي.

وهذا قول الشيخ آدم عبدالله الألوري من علماء نيجيريا في كتابه: (موجز تاريخ نيجريا).

(بَرْنُو):

اسم كان يطلق على المدينة والقبيلة معاً وأصلهم من البربر البيض، وقد اختلط بهم العرب والفلاتة والزنوج.

واشتهرت قبائل برنو بصناعة القراطيس والنعال ودبغ الجلود وصناعة الحديد وعمل السكاكين والسيوف الحادة، وهم أمهر الناس في الفروسية في إفريقيا الغربية، ويقول محمد بللو (إنهم طردهم حمير من اليمن بعد افريقش وتبع، وسبب مقامهم باليمن على ما زعموا أن افريقش استغاث به أهل الشام حين أكثر البرابرة الفساد فيها واستنصروه عليهم وغزاهم وشتت جموعهم وقتلهم، ولما رأى نجدتهم استبقى ذراريهم عنده مماليك يستعين بهم، ولما مات ومضى عليهم زمن طويل قاموا على حمير فاقتتلوا فطردهم حمير من اليمن واستوطنوا إفريقيا من أرض حبشة إلى كانم ووجدوا في هذا البلد عجماً تحت حكم إخوانهم التوارك يقال لهم أمكيتا وغلبوهم على البلاد وأقبلت دولتهم أيام استيطانهم حتى ملكوا أقاصيها ودانت لهم وادي وباغرمىوهوسا).

هذا ما رواه محمد بللو في انفاق الميسور ولكنه مشكوك في صحته ولقد ناقشناه في باب القبائل.

أما الذي لا غبار عليه هو أن برنو مملكة قديمة واسعة كانت من ممالك السودان القديمة، وصل نفوذها إلى حدود مصر شمالاً وإلى المحيط الأطلسي جنوباً وكانت صلتها بمصر متينة أدت إلي ارسال بعثات علمية إلى مصر وتخصيص رواق منسوب إليها ضمن الأروقة الإسلامية بالأزهر ويدعى حتى اليوم برواق برنو.

وأول من سجل التاريخ أخباره من ملوكها هو الملك الكانمي المنتسب إلى بني سيف بن ذي يزن الذي أقام عاصمة ملكه في ماو حوالي سنة ١٠٠٠م وفي حكم أحد خلفائه سليمان ازداد انتشار الإسلام بأرض برنو وأقيمت الشريعة الإسلامية مقام القانون وأحلت محل التنفيذ والتطبيق.

ولما سقطت هذه الأسرة قامت على أنقاضها أسرة كَانِمْبُو وأول ملوكها تسليم الذي حكم ما بين ١١٩٤- ١٢٢٠م وتلقب بالماي أي السلطان، وخلفه دوناما الذي حارب التيديين الثائرين عليه من رعاياه.

ومر على هذه المملكة قرنان من الزمان وهي مستمرة في فوضى واضطراب إلى أن ثارت عليه قبيلة بولالا في عهد الماي إبراهيم ١٢٨٨- ١٣٠٤م، وألقت المملكة في أتعاب مريرة دامت ثلاثمائة سنة.

وفي عهد إدريس الأول ١٣٥٢- ١٣٧٦م زار الرحالة العربي الشهير بابن بطوطة غرب إفريقيا ونوى أن يزور برنو غير أنه رجع عندما سمع أن السلطان إدريس لا يظهر للشعب ولا يخاطب الغرباء.

وتولى عمر الماي ١٢٩٢- ١٣٩٨م وترك مدينة كانم وبنى عاصمة أخرى في غاسارو ثم جاء من بعده ابنه إدريس الثاني ١٥٠٤- ١٥٢٦م واستولى على كانم مرة ثانية وحررها من سيطرة بولالا.

وفي عهد إدريس الثالث ألَوْما بلغت الإمبراطورية أوج مجدها واستعملت الأسلحة النارية واتسعت حدود الإمبراطورية ودامت حقبة من الزمن ثم أعادت بولالا هجومهم واستولوا على برنو بعد موت إدريس الثالث.

ثم قام المهاجرون من واداي وطردوا بولالا من كانم وأنشأوا عاصمتهم في ماو إلى أن هاجمت جيوش أبن فودي أرض برنو في عهد الماي احمد وأخرجوه من عاصمته وفر لاجئاً إلى الحاج أمين الكانمي الذي استرد برنو من جيوش ابن فودي بالحديد والنار وأعاد الماي أحمد إلى ملكه ومن ثم صارت أسرة الكانمي أسياد البلاد البرنوية إلى اليوم ولا يزالون يحملون لقب الشيخ تقليداً بالشيخ الحاج أمين الكانمي الذي كان بحراً لا يعرف له ساحل في العلوم العقلية والنقلية.

وقد زار الرائد الإنجليزي كلاباتن مدينة برنو ولقي الشيخ الأمين الكانمي ١٨٢٢م وأخذ صورته المنشورة في كتب التاريخ كما عقد معه المعاهدة التجارية.

وحكم الشيخ عمر البلاد بعد موت أبيه الحاج أمين ١٨٤٦م، واتخذ كوكا عاصمة له ثم خلفه هاشم.

وفي عهده سنة ١٨٧٥م هاجم القائد العنيد المسمى رابح بلاد برنو وقتل هاشماً ودمر كوكا عاصمته وبسط نفوذه على البلاد غير أنه لم يدم فيها طويلاً حتى سُلبت منه وصارت في حوزة الحكم البريطاني منذ ١٩٠٠م[1].

---

(١) موجز تاريخ نيجيريا للشيخ آدم عبدالله الألوري، ص ٦٥- ٦٨..

وقال الشيخ آدم عبدالله الألوري- أيضاً- في موضوع آخر:

المملكة البرنوية الكانمية:

قامت هذه المملكة حول بحيرة شاد وقد أسسها سنة ٨٠٠ قوم من البرابرة السود ثم انتزعها منهم قوم من العرب المعروفين بالكانميين ١٠٠٠ ولم تلبث أن صارت امبراطورية عظيمة امتدت إلى ضفاف النيجر جنوباً وإلى حدود مصر والحبشة شرقاً وشمالاً وإلى قلب الصحراء غرباً، وقد قامت بهجمات على مملكة مالي أيام ضعفها وانحطاطها.

وبلغت مملكة برنو أوج مجدها في القرنين الثاني والثالث عشر الميلادي، وكانت متصلة اتصالاً وثيقاً مع مصر وتونس وغيرهما من بلاد العرب، وقد تراسل الطرفان فيما بينهما بالرسائل التي سجلتها الدواوين الحكومية الانشائية للذكرى والتاريخ.

ولما تولى عليها إدريس الوما سنة ١٥٧١م أوفد إليها القوات العسكرية من الترك لتزبية جنوده بالأساليب الحربية.

واستحضر الأسلحة النارية مما حول البحر الأبيض المتوسط، وكانت الحرب بينها وبين قبائل بولالا سجالاً في عشرات السنين.

واحتفظت بعظمتها إلى أن هاجمتها جيوش ابن فودي ١٨٠٨م ثم طردهم منها الحاج أمين الكانمي وأعاد لها مجدها وآل إليه وإلى ابنائه حكم برنو، ثم هاجمها رابح قائد جيوش سليمان بن الزبير باشا حاكم بحر الغزال من قبل مصر ١٨٩٣م ولم يستقر بها حتى قامت بينه وبين جيوش فرنسا معركة دامية انهزم فيها هزيمة منكرة أسفرت عن مصرعه وشاء القدر أن تقع برنو تحت حماية الإنجليز ١٩٠٠م[1].

---

(١) موجز تاريخ نيجيريا ، ص١٥٨- ١٥٩.

من أبوجا إلى مادوغري:

وبعضهم يكتبها (مودغري) والخطب سهل، لأن نطقها يصح أن يكتب بالصيغتين، وقد أثرت أن أكتبها (مادغري) وهي عاصمة ولاية البرنو في الوقت الحاضر.

كان مدير مكتب الرابطة في (أبوجا) الدكتور فضل خلود قد أخبرنا أن موعد السفر بالطائرة إلى مادغري هو الرابعة عصراً، ثم تبين أن ذلك غير دقيق،وأنه لم يتأكد منه، كما كان قال لنا: إنه حجز المقاعد لنا في الطائرة ونحن ثلاثة أنا ورفيقي في الرحلة الأستاذ الأديب محمد بن أحمد الحساني، وهو نفسه الدكتور فضل الذي سيرافقنا في جميع تنقلنا في نيجيريا حتى في الرحلات إلى المحلات البعيدة.

ولكن تبين أنه لم يحجز فطلبت منه أن يذهب الآن إلى مكتب الشركة الناقلة ليؤكد الحجز ويعرف منها موعد السفر بالضبط.

وقد ذهب بالفعل ثم عاد ليقول: إنه حجز لنا، ولكن موعد إقلاع الطائرة سيكون في الخامسة وهكذا خرجنا من مكتب الرابطة في أبوجا إلى مطارها الذي يبعد ٤١ كيلومتراً، نسابق غيرنا حذراً من أن تفوتنا الطائرة، ولكننا عندما وصلنا المطار أخبرونا أن موعد السفر هو السادسة والنصف وليس الخامسة.

وأدخلونا (الصالون) الخاص وهو غير غرفة الدرجة الاولى وكبار الزوار تلك كبيرة واسعة وهذا (الصالون) غرفة مستطيلة غير واسعة يدخلها الوزراء وأعضاء البرلمان وكبار القوم.

وكنت قد أعددت جوازي (الدبلوماسي) ليشفع لي في الدخول إلى هذا (الصالون) ولكن الدكتور فضل خلود ذكر أن الأمر لا يحتاج إلى ذلك فكلمهم بكلام أشار فيه إليَّ وإلى رفيقي الأستاذ محمد الحساني، ونحن لا نحتاج إلى أن نقول: إننا غرباء، فذلك واضح من ألواننا، وحتى من تقاسيم الوجوه، فسمحوا لنا بدخول هذا (الصالون).

ليس هذا لكم:

وجدنا القاعة المستطيلة الصغيرة غير ذات مظهر متميز، بل هي تبدو معتادة، وجلسنا نتحدث، وكان الأخ فضل خلود ومعه آخر قد انتهوا من مكتب الترحيل وسلمونا بطاقات الصعود إلى الطائرة مع أنه سوف يرافقنا في هذه الرحلة إلى ولاية البرنو فجاءت موظفة في هذه القاعة الصغيرة وقالت له وهي تشير إلينا، إن هذه القاعة ليست لكم، إنها لموظفي الحكومة من وزراء وأعضاء برلمان.

وقد قمنا عنها بالفعل، فليس فيها ما يميزها عن غيرها إلا أن لون المقاعد أحمر قليلاً، وتتسع المقاعد لسبعة أشخاص، وقد حددوها بأن جعلوا في أيمنها علم نيجيريا وفي أيسرها علم لهم آخر ورسموا فوقها صورة رئيس الجهورية (ابا سونقو) وبجانبه نائبه الذي قابلناه أمس، وبينهما شعار الدولة النيجيرية.

ولم يكن أهون علينا من البعد عن هذا المكان لأنه ليست فيه مزية عن غيره، بل إن هذه القاعة صغيرة حقيرة، إذا قورنت بالقاعة الكبيرة التي كتبوا عليها: أنها للأشخاص المهمين: (vip).

ولم تنته الطرافة في هذه الجلسة، و إنما بدأت فطلبوا من كل واحد خمسمائة نيرة أي نحو ثلاثة دولارات، وإذا شرب شاياً أو قهوة أحضروه وأخذوا قيمته.

وقد لبثنا في هذه القاعة فترة طويلة لأن طائرتنا تأخر قيامها، ولم أجد ما أبدد به سأم الجلوس هنا إلاَّ الكتابة فيما تقرأه الآن من هذا الكتاب.

وبالنسبة للأشخاص الذين ذكرت الموظفة أنهم من الحكومة الذين تجيز لهم المراسم أن يجلسوا فيها نحو اثنين وثلاث نساء جئن متفرقات.

إلى مادغري:

أخبرتنا المضيفة أن علينا نحن ركاب (مادغري) أن نذهب إلى الطائرة وكانت الشمس قد غربت منذ وقت، وفات الزمن الذي ذكروه موعداً لقيام الطائرة بنحو ساعتين إذْ خرجنا للطائرة في الثامنة إلا الربع تحت مطر خفيف، فوجدناهم جمعوا أمتعة الركاب في الأرض عند الطائرة وعلى كل راكب أن يخبر موظفين بمتاعه من حقيبة أو نحوها ويريهم إياه فيرفعوه للطائرة.

وهذه طريقة قديمة عفا عليها الزمن كانت شركات الطيران تستعملها من أجل الأمن لئلا يكون مع أحد الركاب مادة متفجرة وضعها في أمتعته من دون أن يصعد إلى الطائرة، وقد استغنت الشركات العالمية ومنها طائراتنا السعودية عن ذلك بفحص الأمتعة بفاحص كهربائي دقيق، وبتعريضها لكلاب مدربة على اكتشاف المتفجرات والمخدرات.

ورأينا الركاب في صف طويلٍ عند سلم الطائرة يريدون ركوبها فعجبت من كونهم كذلك مع أن المقام لا يحتاج إليه في الرحلات المعتادة، ثم عرفت

السبب في ذلك وهو أن الشركة قد خصصت شخصين يقفان بين الامتعة وسلم الطائرة يأخذان تذكرة كل راكب ويفحصانها ثم يخرج أحوهما خرامة صغيرة فيخرم بها التذكرة بعد أن يفحصها خرمين ويعطيها الراكب الذي يذهب إلى سلم الطائرة فيجد رجلاً وامرأة يتفحصان التذاكر ثم يقطعان التذكرة فيأخذانها ويأخذ هو غلافها كالمعتاد.

الصلاة في المطار:

نسيت أن أقول: إن وقت المغرب قد حان ونحن في القاعة الصغيرة المميزة بمعناها عندهم، فأسرع الجميع من رجال ونساء يتوضئون من حمام فيها يخلعون أحذيتهم وجواربهم، والذين ليس عليهم إلاَّ نعال خلعوا نعالهم، ولم أر أحداً منهم مسح على الخفين أو الجوارب كما فعلنا نحن.

ثم أدوا صلاة المغرب في غرفة ملحقة بهذه القاعة.

وعجبت من كثرة من صلى المغرب ممن هم في هذه القاعة، وربما صح القول بأنهم جميعاً قاموا للوضؤ والصلاة عندما حان وقتها، وفيهم أناس من الحكومة من الجالسين على الكراسي المميزة منهم نساء يظهر عليهن الثراء والنعمة، بل والوجاهة.

ومن المفرح أن أولئك النساء على كثير منهم الرداء الذي نسميه الجلال وهو كالرداء الذي تلبسه نساء السودان والصومال، ولكنه نظيف جداً فوق ثياب نظيفة.

وعلى ذكر النظافة لمناسبة منزلة الجالسين في هذه القاعة ولمناسبة قيامهم لأداء صلاة المغرب أقول: إنهم جميعاً يتميزون بنظافة الثياب والأبدان، وإن كان هذا ليس بغريب على قوم من صفوة المجتمع.

ولم أر في هذه القاعة أي شخص أبيض غيرنا، وربما كان بعضهم في القاعة الكبيرة التي أشرت إليها من قبل.

ونعود إلى المشاهدات في الطائرة فنقول: إننا صعدنا إليها وهي بوينج ٧٣٧ بعد هذه الإجراءات الدقيقة هذه في الدرجة الأولى، وهي درجة رجال الأعمال التي نسميها الأفق، وهو أمر تكرر معنا بعد ذلك إلا في رحلة العودة من (أبوجا) إلى (كانو) كما سيأتي الكلام على ذلك.

استقبلت المضيفات الركاب وكلهن من المواطنات السوداوات الرشيقات جداً، وذات اللباس الأنيق الجميلات عندهم، وتقاسيم وجوههن مستقيمة بالنسبة إلى ذوقنا فهي تقرب من تقاسيم الوجوه في بلادنا إلا أنهن فاحمات السواد، واعتقد أن ذلك ليس من باب المصادفة، وإنما هو من مقاييس الجمال عندهم، وليس فيهن من ذوات اللون الرمادي أحد، وبالنسبة لي أنا فإنني أوافقهم على ذلك فاللون الأسود الفاحم السواد أجمل عندي من اللون الرمادي، لاسيما إذا لم يصحب اللون الأسود تنافر في تقاسيم الوجه، أو قل: إنه إذا كان الوجه ذا تقاسيم متناسبة، كما هو الجميل في جميع الألوان، ولباسهن صدري نسائي (بلوزة) تحتها فوطة قصيرة تقف عند الركبتين وتتمتع هؤلاء المضيفات مثل سائر المضيفات في طائرات الشركات الداخلية النيجيرية كما رأيناهن فيما بعد بذوق جيد، وخدمة جيدة.

وما رأيت في أية طائرة من طائراتهم مضيفة بيضاء أوحتى رمادية اللون، ورأيتهن يرشدن الركاب إلى مقاعدهم، ويساعدن من يحمل منهم أمتعة ثقيلة بيده، كما يساعدن الأطفال والكبار في السن أيضاً، وذلك كله وفق ذوق رفيع.

أما الركاب فإنهم كلهم ملابسهم نظيفة، وما شممت في أحد منهم رائحة غير محببة، وهي الرائحة التي اعتدنا على أن نشمها من أجساد من لا يتنظفون من الإفريقيين في إفريقيا الخضراء كلها، وقد أبطأوا بعد أن اكتمل جلوس الركاب في الطائرة من دون أن تتحرك، وقد لمع البرق، وقصف الرعد، وانهمر المطر مدراراً ونحن جالسون فيها قبل أن تتحرك، وقلت في نفسي: إنه ربما كان تأخر تحركها لهذا السبب، مع أنها طائرة نفاثة قوية وأنها قد تأخرت عن الموعد المقرر لقيامها في الأصل.

ثم أقلعت الطائرة من أبوجا إلى (مادوغري) في الثامنة والثلث.

وكانت ترتجف وهي ترتفع في الجو بسبب السحاب الكثيف الذي يجلل الآفاق، وظننا أنها إذا علت فوق السحاب خف ذلك، ولكنه لم يخف، بل كان يزيد كلما امعنت الطائرة في الطيران.

ثم زاد ما تسميه العامة عندنا (مطبات الهواء) وهو الذي صار الطيارون والمضيفون في البلدان العربية يسمونه (المتغيرات الجوية) واضطررنا مثل أكثر الركاب إلى التشبث بأيدي المقاعد على مقاومة القلقلة والتحرك المؤذي ولكن ذلك استمر ولم يستطع أحد الحركة في الطائرة لا من المضيفات ولا من الركاب، بل ظلت إشارة ربط الحزام مضاءة.

وكانت هذه الحال المؤذية من المرات النادرة التي واجهتها في سفري بالطائرات على مستوى العالم، وليس ذلك في فرط قلقلة الطائرة في الهواء، وإنما في استمرار ذلك وطوله.

وبعد فترة عصيبة استغرقت أكثر الوقت الذي اقتضته الرحلة وهو ساعة وعشر دقائق خف الضيق وأضاء القائد أنوار الطائرة وسعت المضيفات

الرشيقات في توزيع الضيافة على الركاب وهي (فطيرة) جافة في وسطها قليل من اللحم المفروم وكثير من البطاطس وهي مغلفة بغلاف من اللدائن، ومعها علبة صغيرة من عصير (الأناناس) وما زالت إشارة ربط الحزام موجودة لئلا يتحرك أحد من الركاب غير المضيفات.

وعندما أعلن مكبر الصوت باللغة الإنكليزية فقط أننا نقترب من الوصول لمطار مدينة (مادوغري) عاصمة (بلاد البرنو) غمرني سرور عظيم، لأنني كنت حاولت أن أصل في السابق إلى هذه المدينة فلم أستطع، وهي عاصمة إحدى الممالك المسلمة القديمة في هذه المنطقة من القارة الإفريقية خلف الصحراء.

الهبوط في مطار مادوغري:

هبطت الطائرة في مطار مدينة (مادغري) في التاسعة والنصف بعد طيران استمر ساعة واحدة وعشر دقائق، ولكنه طيران شاق بل عصيب.

وعندما أقبل الطيار بطائرته إلى مدرج المطار لاحظت أنه لم يخفف السرعة كما ينبغي، وكما هي العادة إلاَّ بعد أن وصل المدرج فضربت الأرض بقوة، واستعمل كوابحها (الفرامل) بقوة غير مألوفة، مما أعطاني يقيناً بأنه مساعد الطيار أو طيار آخر غير متمرن.

كان الظلام دامساً فلم نبصر مما حولنا شيئاً.

وعند النزول من الطائرة وجدنا عند سلمها الأخ الشيخ (مرتضى أحمد أبو الفتح) فسلم عند الطائرة وأحفى السلام ثم ذهبنا مع الركاب إلى قاعة تسلم الحقائب غير أنه عرج بنا إلى طريق غير طريق الركاب يدخل إلى داخل مبنى المطار فوصلنا إلى قاعدة كبار الزوار مع أننا لسنا بحاجة إليها فالرحلة داخلية

والحصول على الأمتعة لا يحتاج إلى وقت وهنا وقعت مشادة كلامية عنيفة بينه وبين اثنين من رجال الشرطة أو من حرس المطار مما اضطرنا إلى الجلوس في غرفة كبار الزوار مرغمين.

وعندما طال الشجار ورفع الأصوات معه سألت الشيخ فضل خلود عن السبب فذكر أن حراس المطار يقولون: إنه لا يدخل في هذا المكان إلا أناس مأذون لهم من إدارة المطار حسب ترتيب عندهم، أما الشيخ مرتضى فإنه يقول لهم: هؤلاء من كبار الزوار، وسوف أوافيكم بالأمر بإدخالهم إلى القاعة.

هذا مع العلم بأننا لا نود الدخول في القاعة، وإنما نريد الإسراع بالخروج من المطار ثم إلى الفندق.

حملنا الشيخ (مرتضى أحمد أبو الفتح) بسيارته وحملت أمتعتنا سيارة أخرى تبعتنا وقال: وهو يتكلم العربية بطلاقة وفصاحة، وكأنما هو أحد العرب: إن هؤلاء الرجال في المطار لا يفهمون الأمور، فكيف لي أن أحصل بسرعة على إذن المسؤولين في المطار لكي أدخلهم القاعة؟ وقد كنا آخر ركاب الطائرة مغادرة للمطار مع أننا كنا نأمل أن نكون أولهم.

سار الشيخ بسيارته في جو جاف ليست فيه رطوبة أبوجا فضلاً عن لاجوس، وأبادن وإنما يشبه جوكانو أو يزيد جفافاً عليه.

وأما الأمور التي رأيناها في الشوارع فإنها معتادة.

المزبلة المهملة:

وصل بنا الشيخ مرتضى إلى فندق واسع المساحات، كثير الباحات، له مدخل يشبه البوابة التقليدية عندهم، ويخيل إليك أنها ستفضي بك إلى فندق من الفنادق الراقية.

جلسنا في جانب من قاعة الاستقبال الواسعة فيه والشيخ مرتضى مع الدكتور فضل خلود مدير مكتب الرابطة في (ابوجا) الذي يرافقنا كما رافقنا في كل الرحلات الداخلية يسعيان في أنهاءِ إجراءات الدخول التي طالت.

وقد جاء الفرج عندما تقدمنا عامل غبي في الفندق إلى درجة فيه، فصعد معها ونحن نأمل بالراحة، وسألناه: أليس في هذا الفندق الواسع مصعد بل مصاعد؟ فلم يجب، وإنما واصل الصعود مع درجه، ورأينا مصاعده معطلة بالفعل، وفي بعض الأماكن راينا المصاعد التي يخصص مثلها في العادة للخدم والمطعم قدتركت القمائم حولها لم تجد من يبعدها عنها.

أما المصاعد الرئيسية وهي ثلاثة أو أربعة فإنها كانت متوقفة متعطلة منذ دهر ولم تصلح.

صعدنا مع الدرج الذي تتكون كل درجة منه من زلفات عديدة كما هي العادة، حتى وصلنا إلى الطابق الثالث ونحن نلهث من التعب، ونتمنى أن نصل إلى سرير الغرفة بعدالتعب ودلني العامل المُتعِب أيضاً لأنه كان يحمل حقيبة ثقيلة من حقائبنا إلى الغرفة ففتحها وقال له الدكتور فضل خلود: شَغل المكيف.

حاول العامل وهو يضع الحقيبة ويتمنى لو أتيحت له فرصة التنفس أن يصلح المكيف وكان الحر بالغاً فلم يستطع، وذلك في ظلام دامس فقلت للدكتور فضل: قل له يفتح النور في الغرفة.

تكلم الدكتور معه، ثم قال متعجباً: يقول العامل: كيف يكون فيه نور و(اللمبات) غير موجودة؟!

وتبين أن الغرفة ليست فيها مصابيح إضاءة فتحدثت في الظلام وقلت لهم: ابحثوا عن غرفة أخرى صالحة، وإلاَّ فإنني سوف أخرج من هذا الفندق إلى أي مكان.

وجاء الفرج مع موظف أنزلني إل الطابق الثاني وأعطاني فيه غرفة فيها مكيف وثلاجة ونور.

وتمددت فيها فاحتجت إلى أن أغسل وجهي وفمي بعد طعام الطائرة، فلم أجد صابونة في الحمام، وحاولت الكلام معهم بالهاتف فلم استطع وأوصيت لهم أحد الرفاق فلم يحضروا الصابونة إلاَّ في صباح الغد.

وكانت ليلة ليلاء لولا التعب في النهار الذي سبقها لما واتي النوم فيها عينيَّ.

ومن النواقص في هذه الغرفة أن خزانة الملابس فيها لا تفتح ولا تغلق، وأن الحمام يتسرب الماء الذي يصل إلى مرحاضه دون توقف ولم يصلح، مما ذكرني بما أسميته الفنادق الشيوعية وهي الفنادق في البلدان الشيوعية السابقة التي إذا خرب فيها شيء لم يصلح وقد يصلح إصلاحاً مؤقتاً سهلاً كأسلاك الكهرباء إذا خربت داخل الجدار مددوا أسلاكاً غيرها خارجه، وكذلك أنابيب الماء في الحمام.

ومع هذا الخراب والنقص في الفندق رأيت أهله يتكلمون بعصبية وشيء من الغضب مع من يراجعهم من أهل البلاد.

وسألت الشيخ مرتضى عن العرب في هذه الولاية لأنني كنت سمعت عن وجود لهم معروف فذكر أنهم موجودون، ولكن لا يمكن تمييزهم الآن عن غيرهم لكونهم اختلطوا بالسكان وإن كانت أسرهم، بل وهم معروفون، هُم أنفسهم بأنهم من العرب.

وأقول هذه البلاد هي بلاد الكانم القديمة التي كان الناس من العرب وغيرهم يقصدونها لأغراض مختلفة، لأنها كانت مملكة مسلمة مزدهرة.

وقال الأخ الشيخ مرتضى: إننا هنا قريبون من حدود ليبيا الصحراوية وحدود (شاد) وكلاهما فيهما عرب كثير.

قلت: أما ليبيا فظاهر، وأما (شاد) فإنني رايت كثرة العرب فيها عندما زرتها وذكرت ذلك في كتاب: (المستفاد من السفر إلى شاد) وهو كتاب مطبوع، وذكرت فيه أن اللغة العربية هي أوسع اللغات في شاد، فالعرب الموجودون فيها يتكلمون العربية، ولكن الأقوام الأخرى التي فيها ليست لهم لغة عامة غالبة، لذلك يتفاهمون فيها بينهم بالعربية، وإن كانت لهم لغات محلية ضيقة، كان الآخرون من مواطنيهم لا يعرفونها.

ومما تكدرت له البارحة أنني رايتهم وضعوا نسخة من الإنجيل فوق الخزانة الصغيرة في الغربة ظاهرة لكي يراه النزيل فيها، مع أن أهل البلاد كلهم من المسلمين، وإذا قيل: إن ذلك من أجل النزلاء الذين أكثرهم من غير المسلمين لماذا لم يضعوانسخة من المصحف الشريف للنزلاء المسلمين؟

وكنت عطشت البارحة وليس في الثلاجة الصغيرة في الغرفة شيء يشرب، فطلبت ماء معدنياً وقد أبطأوا بإحضاره بطأً شديداً حتى غلبني النوم ثم جاءوا بزجاجة منه واحدة.

يوم السبت: ١٤٢٧/٤/١٥هـ:

صباح مادوغري:

لم يكن صباح (مادغري) بهيجاً ولا نادياً لا حساً ولا معنى.

فقد أزحت ستارة النافذة فأسفرت عن صف من الأشجار الصحراوية كالنيم التي غرست لتحدد فناء الفندق الذي ظهر لي من رؤيته من النافذة أنه واسع جداً وأنه بني ليكون على غير هيئته الحالية.

ووجدتني أسائل نفسي ثم أرفع الصوت بسؤال الأخ الشيخ مرتضى الذي هو من أهل البلاد عن الحكومة، لماذا لم توقف عمله لأن وضعه هذا يسيء إلى هذه المدينة العريقة، فكان جوابه: لأن الفندق حكومي،وكل شيء هنا تتولاه الحكومة يفسد.

وقد أخبرني الإخوان اللذان حجزا لنا فيه وهما الشيخ مرتضى وفضل بأن أجرته هي ١١٠ دولارات مع أنني وجدته بعد التجربة لا يساوي أكثر من عشرين دولاراً رغم فخامة مبناه واتساعه.

والشيء الذي عوضني قليلاً عن مبيت البارحة فيه أنني نزلت في هذا الصباح لمطعمه فلم أجد فيه أحداً لا من الطاعمين ولا من العاملين، مع أنه نظيف الكراسي والموائد وأنه مظلم لا يعيش فيه الذباب، وبعد قليل جاء العامل فتى نظيفاً كأنه من السودانيين فطلبت منه بيضاً مخلوطاً وخبزاً مقمراً أي معرضاً للنار، وذلك مني من باب الاحتياط لنظافته وجاء بذلك مع الشاي في أوان نظيفة وأدوات جيدة.

ولم أسأله عن الثمن بل وقعته مع حساب الغرفة لأنني مضطر إليه.

والمطعم واحد من مطاعم في الفندق والمراد أماكن المطاعم لأنني لم أجد فيه مطعماً إلا هذا الواحد.

ثم جلست في قاعة الاستقبال الواسعة فيه وفيها مروحة شغلوها من أجلي.

وكان أنشط ما في هذا الفندق أكثر من نيجيرياً من الحيوان الزاحف على بطنه أو السائر أحياناً على اربع هي الحرابى- جمع حرباءة- ذات الشكل القبيح والعجيب في أمرها أنها ليست فيها ما ألوانه السواد، بل هي شقراء أو مخلوطة بحمرة، ومع ذلك هي خشنة مثيرة للتقزز وقلت بعد ذلك للشيخ مرتضى: إن الحرابى هنا كثيرة مما يدل على أن الطيور الجارحة في بلادكم ليست كثيرة، وإلا لأكلتها، فقال: الطيور أفناها الجنوبيون غير المسلمين الذين يأكلون مثل هذه الأشياء، بل لا يعفون عن شيء.

وذكرت بهذه المناسبة قولاً ذكرته في كتابي الأول عن نيجيريا وهو قول أحد الشماليين: إن الحمير كانت كثيرة، في شمال نيجيريا، ولكن أفناها الجنوبيون لأنهم يأكلونها!!

ولولا أشجار النيم الخضر لتضافرت هذه الحرابى بأشكالها المنفرة ومشيها المثير للتقزز مع الإهمال الظاهر في هذا الفندق الكبير الذي انفقت على إنشائه مبالغ طائلة، إلا أن أشجار النيم الخضر النامية كانت تتدخل عندما تتمايل مستجيبة لمداعبة النسيم فتتضافر مع ملابس العاملين في الفندق النظيفة على تلطيف هذا الجو الخانق.

وأما السكان في الفندق والمواطنون الآخرون فإنني لم أر أحداً منهم في قاعة الاستقبال الواسعة في الفندق الكبير الذي اسمه كذلك كبير ويستحقه وهو (انترناشنل هوتيل) أي الفندق العالمي.

هذا إلى جانب جودة أثاث الفندق من المقاعد الوثيرة والكراسي التي وضعوها في زوايا القاعة المتعددة وإذا مر أحد من صغار الموظفين في الفندق أو احد من الموظفين خارجه رأيت القميص العربي الذي هو مثل القميص عندنا من دون اختلاف وهو السائد في اللباس، و يكون تحته سروال طويل يبين طرفاه عند القدمين، وعلى الرؤوس قلانس (طواقٍ) وهذا هو اللباس الشائع عندهم.

ولون القميص يكون في الغالب أبيض نظيفاً، ولكن توجد عندهم قمس- جمع قميص- ملونة، واللون الأزرق فيها أكثر شيوعاً من غيره.

تغيير الفندق:

قلت للإخوة: إنني لا أطيق البقاء في هذا الفندق فلنبحث عن غيره وعسى أن نجد أفضل منه، فقال الأخ مرتضى: هناك فندق نظيف ولكنه أصغر من هذا والمحلة التي هو فيها تعتبر شعبية، بخلاف موقع هذا الفندق الواسع القريب من المطار.

وقد كدرتني الأخبار السيئة التي جاء بها إلينا الشيخ مرتضى وهو أنه لا توجد طائرة تقوم أو لنقل: تعود إلى(أبوجا) يوم الأحد، كما كان قال ذلك لنا الدكتور فضل خلود الذي أكدت عليه، وكررته له وهو أن يحجز لنا في طائرة الأحد على الطائرة التي ستغادر (مادغري) إلى (أبوجا) فذكر أنه حجز عليها مقاعد لنا، وتبين الآن أنه لا توجد طائرة هنا إلى أبوجا يوم الأحد، فضلاً عن أن تقوم إلى (أبوجا).

وقد اضطررنا قبل الانتقال إلى الفندق الجديد أن نبحث هذه المسألة بل المشكلة، إذْ لا توجد إلاَّ طائرة تقوم في صباح الاثنين- بعد غد- ونحن وقتنا محدود ولدينا أماكن أخرى في أنحاء أخرى من نيجيريا علينا أن نخصص لها وقتاً مناسباً.

وذكروا لنا أن الطريق البري إلى أبوجا من (مادوغري) يستغرق أكثر من يوم مع التعب من الطريق لأنه سيء كثير التقطعات التي لم تصلح.

وقال الأخ الشيخ مرتضى قولاً ارتضيناه، وهو أن نذهب بالسيارة في صباح غد الباكر إلى (كانو) على سيارة فنركب في آخر النهار إلى (أبوجا) من كانو بالطائرة.

وقال الشيخ مرتضى: إنني سوف أقوم بقيادة تلك السيارة وأنا أعرف الطريق وطوله نحو (٥٥٠) كيلومتراً، وهو آمن بالنهار خلاف الليل، ولما كررت عليه السؤال عما إذا كان الطريق آمناً؟

أجاب بأنه لا يوجد مكان في نيجيريا آمن أمناً كالذي عندكم، ولاتوجد فيها طرق طويلة جيدة كطرقكم، ولكننا سوف نقف في الطريق مرة أومرتين نستريح من الأثر السيء له، فوافقنا على ذلك وفوضناه في تهيئة السيارة.

وانتقلنا إلى الفندق الجديد بعد مشادة بين مرافقينا وبين إدارة فندق ناشنال هذا،إذْ يقول أهل الفندق إنه لا يمكنكم أن تتركوا فندقنا اليوم لأنكم حجزتم البارحة لليلتين، فلا نسمح لكم بذلك إلاَّ إذا دفعتم الآن أجرة الليلة الثانية التي لم تحن بعد.

وقد أصابني الاشمزاز من ذلك، وتركت متابعة الموضوع للرفاق،ولا أدري حتى الآن ماذا فعلوه معهم لأن همي هو مغادرة هذا الفندق الفاسد.

وقد علق الشيخ مرتضى على ذلك بقوله: كل شيء إدارته حكومية فاسد.

وصلنا إلى الفندق الجديد واسمه (صحارى هوتيل) وهو اسم على مسمى لأن هذه المنطقة تغلب عليها الطبيعة الصحراوية أو الشبيهة بالصحراوية.

كان الشيخ مرتضى أحمد سريع التصرف لذلك ذهب بنا إلى هذا الفندق الجديد بسرعة فكان أول ما رأيناه منه بوابته الخارجية التي أغلقت بباب من الحديد الثقيل لا يفتح إلا بالكهرباء فشعرنا بحرص أهل الفندق على توفير الأمان للنزلاء.

ورأينا قبل الوصول إليه عند مدخل البلدة مما يلي المطار بوابة كتبت عليهاعبارة بالإنكليزية مرحباً بكم في (مادوغري).

ومن الأشياء اللافتة للنظر في الطريق إلى الفندق الجيد أن الشارع الذي سلكناه هو ذو اتجاهين بينهماجزيرة ليس فيها إلا الأعمدة الكهربائية التي تضيء الشارع في الليل وسيارة نقل صغيرة مما نسميه في بلادنا (وانيت) مليئة بنساء ربما كن ذاهبات لعملهن والمراد بذلك ظهر هذه الشاحنة الصغيرة.

وتحفل شوارعها بسيارات بعضها جيد، وبعضها ليس بذاك، والتنويه هنا هو بالسيارات الجيدة في هذا الوسط الذي لا يوحي بالغنى.

وتكثر فيها الدراجات النارية التي نسميها في بلادنا (الدبابات) الواحد دباب، ولكن ليس كما توجد في المدن الرئيسية الكبيرة مثل (لاجوس) و(اباذان).

ومررنا بكنيسة ظاهرة، فقال الشيخ مرتضى: المشكلة أن لهذه الكنائس مدارس وإن بعض المسلمين يلحقون أولادهم بها، على زعم أنها مدارس راقية.

والشارع الذي سرنا معه وهو الرئيسي اسمه (ساكاشم إبراهيم رود) وهو طويل، وهو الذي يسميه بعضهم هنا بالشارع العام مع أنه توجد شوارع عديدة طويلة وعامة في هذه المدينة.

أما (ساكاشم إبراهيم) الذي سمي هذا الشارع المهم على اسمه فإنه كان وزير التعليم في شمال نيجيريا، ثم صار وزير التعليم في نيجيريا كلها، وهو من أهل هذه المدينة (مادوغري).

وينبغي الانتباه إلى أن مدينة (مادغري) هذه هي عاصمة ولاية (البرنو) وهي الولاية التي كانت شهدت حياة ممالك إسلامية عريقة، وكانت بمثابة النور لهذا الجانب من شمال إفريقية الصحراوية أو الشبيهة بالصحراوية.

وقد سألت عن معنى لفظ (مادوغري) فذكروا لي أنه مؤلف من كلمتين هما ميدوغو) نسبت إلى المكان الذي تقع فيه واسمه (ميدي) ثم صارت ما دغري، وتعني المكان بعدي.

هكذا فسروه لي وهو غير واضح.

عندما وصلنا إلى فندق (صحارى) أو صحاري هوتيل في وقت الضحى بين التاسعة والعاشرة وجدنا الكهرباء فيه مقطوعة، ومع ذلك هو جيد لنا لأنه أرضي جميع غرفه على الأرض، وإن كانت مرفوعة عنها رفعاً قليلاً.

ومن الطريف أن أحدهم قال: إن هذه المدينة تسمى (عروس الشمال) فقالت: إذا كان المراد بالعروس المجملة المتزينة فهذا غير صحيح، وإن كان المراد أنها عروس من دون تجميل أو تزويق فهذا صحيح لأنها أهم مدن

المنطقة ولا تدانيها مدينة في قدم حضارتها ومكانتها الإسلامية في القديم والمراد بهذا منطقة بلاد البرنو التي هي عاصمتها.

ورأينا جميع العاملين فيه من الرجال وانساء وليسوا كثرة هم من المواطنين أهل البلاد مثله في ذلك مثل فندق (انترناشنال) الذي تركناه في هذا الصباح، فليس فيه أحد من العاملين من ذوي اللون الأبيض أو حتى الاسمر.

ويقع الفندق في حي لا بأس بأبنيته لكن شوارعه ترابية، في أطرافها بل في داخل بعض بيوته أشجار خضر نضرة من أهمها وأكثرها شيوعاً أشجار المانجو والنيم، ورايت بعض الشبان، بل وبعض الكبار نائمين في ظلال هذه الأشجار مع أن الوقت وقت عمل وليس وقت نوم.

وضعنا أمتعتنا في غرف نظيفة جيدة، وكانت خدمة أهل الفندق راقية.

جولة على المدارس:

قمنا مباشرة بجولة على مدارس يديرها صاحبنا الشيخ مرتضى أحمد، وذكر أنها تابعة لإدارته وزاينا ذلك صحيحاً وليس المراد أن لديه إدارات لغيرها وإنما المراد أنه مسئول عن إدارتها فجلسنا في غرفة فيها مكتبه، و قد كتبوا على داخل الغرفة (مكتب مدير التربية والدعوة الإسلامية) ذكر الشيخ مرتضى أنهم يعتنون بالتعليم والثقافة.

وذكر أنه لا يتقاضى راتباً لإدارة هذه المدارس وربما كان ذلك لأنها تابعة له فالرسوم التي تتقاضاها هذه المدارس من أولياء أمور الطلاب قد تكفي للنفقة عليها وإن كان الشيخ مرتضى يقول: إنها لا تكفي، ولكن بعض الناس يتبرعون لمدارسنا.

وكان أول ما دخلناه من هذه المدارس هي الابتدائية للبنات فكان الفصل الذي اطلعنا عليه منها الفصل السادس وهو النهائي في المرحلة الابتدائية.

والطالبات والمدرسات متسترات بثياب كثيفة رغم حرارة الجو وليس في المدرسة تكييف بطبيعة الحال ولو كان فيها مثل ذلك لما عمل باستمرار لأن الكهرباء تنقطع عنهم باستمرار.

وأهم ما يميزهن هنا الرداء الذي يضعنه على رؤوسهن فيسترها، ويستر الكتفين والصدر إلى منتصف الجسم.

من الطريف أننا عندما دخلنا الفصل وسلمنا عليهم قالت التلميذات الصغيرات هؤلاء بصوت منغم باللغة العربية (مساء الخير يا أستاذ) وفهمنا أنهم قد لقنوهن أن يقلن مثل ذلك للمعلم سواء أكان رجلاً أم امرأة.

قابلنا في هذه المدرسة بعض المدرسين منهم محمد أول إمام ومدير المدرسة إبراهيم موسى الذي بادرنا بمراوح يدويه من الخوص وهي التي كنا نسميها في بلادنا (مْهافّ) – جمع مهفة- لأنها تولد هواء هفهافاً لمن يستعملها بأن يحركها أمام وجهه، وقد ماتت كلمة (مهفة) و(مهاف) وجهل الجيل الجديد اسمها ومعناها والغرض منه، لأنه لم تعد لها حاجة بعدتعميم المراوح الكهربائية وأجهزة تكييف الهواء.

أخبرنا المدير أن طالبات هذه المدرسة الابتدائية يبلغ عددهن مائتين ثم دخلنا فصلاً آخر من المدرسة بادرتنا طالباته بنشيد ترحيبي باللغة العربية، وذكروا لنا أن هذه المدارس وأخواتها من التي يديرها الشيخ مرتضى تطبق صلب المنهج الحكومي ويزيد عليه برامج التربية الإسلامية، ولذلك تعترف

الحكومة بشهادتها وتشجعها لأنها تقوم بالنيابة عنها بتعليم طائفة من أبناء الشعب الذين يجب على الحكومة أن تقوم بتعليمهم.

واسترعى انتباهنا ونحن نجول في المدرسة ونرى فصولها أن الطالبات نظيفات الثياب وما ظهر من الأبدان وأن لباسهن ساتر ضاف.

كما استرعى انتباهي شيء ليس بذي بال، ولكنه كان استرعى انتباهي في الزيارة الأولى وعجزت عن أيجاد تعليل له وهو كثرة الحرابى- جمع حرباءة- وهي الكبيرة من الزواحف، وقد رأيتها اليوم كثيرة وهي كبيرة الحجم كريهة المنظر، وتتمايل في مشيتها في المدرسة وكأنما اعتادت على أن لا يلحق بها أحد أذى، ولا أدري السبب، وقد قلت للشيخ مرتضى: إن هذه الحرابى توحي بأن بلادكم ليست فيها طيور جارحة لأنها التي تأكل مثل هذه الحرابى، وتحد من كثرتها، فقال: هذا صحيح، الطيور أفناها الجنوبيون الذين يأتون عندنا وهم غير مسلمين فيصطادون الطيور الجارحة ويأكلونها، ونحن لا نأكلها بطبيعة الحال، لأنها حرام.

قلت: وماذا عن الكلاب والقطط؟

فقال: هي موجودة ولكنها قليلة ولم يعتد الناس هنا على تربية الكلاب والقطط لاستئناسها، لذلك هي قليلة.

وقد أخبروني أن مبنى المدرسة مستأجر لأنهم لم يستطيعوا أن يوجدوا لها مقراً مملوكاً لإدارتها أو للجمعية القائمة عليها، ولكنه مبنى على أساس أن يكون مدرسة فهو فصول دراسية جيدة على هيئة غرف واسعة تحيط بفناء واسع فيه شجرة خضراء ضخمة يتسع ظلها لعشرات إذا استظلوا به.

وهناك قسم ثانٍ في المدرسة أيضاً مثل هذا في البناء وقد أرونا مكتبة في المدرسة فيها كتب عديدة لا بأس بها كثرة وذكروا أنها تجارية تبيع الكتب على الناس من طلبة ومدرسين وغيرهم بربح قليل فاخترت منها واحداً استرعى انتباهي، وشممت منه أنه من كتب التيجانية وقد صدق حدسي.

أول مدرسة إسلامية:

ذهب بنا الإخوة إلى مدرسة ابتدائية إسلامية ذكروا أنها أول مدرسة إسلامية أنشئت في مادغري في عام ١٩٤٧م، مديرها اسمه محمد أحمد حسن.

وجدنا عدد الطلاب قليلاً في الفصول فذكروا أن ذلك لكون اليوم هو يوم السبت الذي لا يحضر فيه الطلاب كلهم للمدرسة.

وبعد الإطلاع على بعض الفصول الدراسية أخذونا إلى غرفة مدير المدرسة فوجدناها صغيرة ضيقة وأثاثها ليس بذاك، ولا يليق بما ذكروا أنها أول مدرسة إسلامية في مدينة (مادوغري).

ورايت بقرب المدرسة ماءً خارجاً من أحد البيوت، وهو قليل إلاَّ أنه متكرر لذلك صار مجراه أسود، فسالتهم عن السبب في كونهم لم يعالجوه، إما بعدم إخراج الماء من البيوت وبحفر (بلاعة) له في الشارع فأجابوا بجواب عام وهو قولهم: إن الحكومة لا ترسل الماء ولا غيره.

فلم أستطع أن أغالب السكوت على ما رأيته من وجود القمائم في بعض الشوارع والميادين، وهي تشوه المنظر، وتتغذى عليها الحشرات فذكروا أيضاً بأن الحكومة لا تبعد هذه القمائم وإنما يعمد بعض الناس لإحراقها في مكانها.

فقلت: هذا يشوه المنظر ويلوث الجو، قالوا: هكذا حكومتنا.

والعجيب الغريب أنني رأيت في شوارع البلدة شيئاً جميلاً فهمت أنهم لا ينمونه ولا يحاولون الاستفادة منه ويتمثل في أنواع من الأشجار الضخمة الخضر، وفيها أشجار مثمرة كأشجار العمبة (المانقو) فهذه الأشجار كثيرة وضخمة بهيئة غير معتادة، وهي لا تسقى وإنما تشرب من المياه الجوفية الموجودة في التربة، ولكن يبدو كمالو كان وجودها حصل مصادفة، إذْ لم أرهم يستنبتون غيرها، ولا يحسنون وضعها بانسجامها مع الشارع أو شمولها له.

ولكنني قلما رايت مثل ضخامتها واتساع ظلها، وازدهارها بالأوراق والغصون.

مادوغري القديمة:

مررنا بالقسم القديم من مدينة (مادوغري) والمفروض أن يكون معتنى به، ولو من أجل الناحية السياحية ولكننا رأيناه عكس ذلك، فشوارعه ليس فيها أرصفة وإنما بقي مكان الرصيف ترابياً رأيت في عدة أماكن منه قمائم متروكة بديلة من الرصف أو التزهير.

هذا ولم نقف فيه، وسوف تكون لنا عودة إليه وربما يتاح الكلام عليه أكثر في حينه ورأيت السلعة التقليدية في أمثاله من البلدان غير المتقدمة في الإدارة أو قل إنها البلدان التي حافظت على القديم رغماً عنها لكونها لم تعرف غيره وهو أكوام الخشب الذي أعد للبيع من أجل الوقود به، وأكثره من الخشب الغليظ الذي كسروه، بالفأس وجهزوه للإيقاد به.

ثانوية الشيخ أبي الفتح للبنات:

وفد الرابطة يلتقي ببعض أستاتذة وطلاب
مدرسة الفتوح الإسلامية في مادوغري

خرجنا بسرعة من جانب الحي القديم لمدينة (مادوغري) إلى ضاحية واسعة قليلة البيوت، وذلك من أجل رؤية مدرسة ثانوية للبنات يسمونها ثانوية الشيخ أبي الفتح، وقد تسمى (ثانوية الفتوح.

ووجدنا عدد الطالبات فيها قليلاً ذكروا أن ذلك لكون اليوم هو يوم السبت، لذا أخرجوا الحاضرات من الفتيات وأغلبهن في نحو الرابعة عشرة والخامسة عشرة عليهن الملابس النظيفة الساترة، بل إنني عجبت من تحملهن لبس هذه الملابس في هذا الجو الحار.

وأهم لباسهن رداء واسع يوضع على الرأس، وينزل حتى الركبة وهو فوق الملابس، ولم أره خفيفاً شفافاً مثلاً، بل إنه غليظ قدكشف عن أيديهن ووجوههن، ولكن لم يبد من أجسامهن غير ذلك أي غيرالوجه والكفين، وتلك عادة لنسائهم المحافظات، أما غير المحافظات فإن الأذرع وجزء من الصدر يكون مكشوفاً، ولكن ذلك يكون على قلة.

واللباس رايناه كاللباس الرسمي للطالبات لا يجيزون لهن أن يلبسن غيره.

ذكروا أن عدد طالبات الثانوية هذه هو ٣٠٠ ولكننا لم نر منهن إلاَّ نحو الثلاثين أخرجوهن من مبنى المدرسة إلى فناء مكشوف هو ميدان واسع غير مسور، وقالوا: هؤلاء سيرحبن بكم.

بدأ الترحيب والجميع وقوف نحن وهن وأساتذتهن، بآيات كريمة رتلتها طالبة اسمها: خديجة ولم أحفظ بقية اسمها، فتلت آيات قرآنية كريمة تلاوة جيدة اعقبتها طالبة أخرى فألقت كلمة مكتوبة بالعربية قصيرة فكان إلقاؤها فصيحاً لم أر إخراج الحروف الحلقية فيه شاقاً عليها.

وهذا نص الكلمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده.

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً وبعد:

ضيوفنا الكرام ترحب إدارة ثانوية الشيخ أحمدأبو الفتح وطلابها ببعثة رابطة العالم الإسلامي وعلى رأسها أمينها العام بزيارتكم التاريخية لهذه المدرسة العريقة.

وإن دلت هذه الزيارة على شيء إنما تدل على إهتمامكم المتواصل وسعيكم المشكور في تفقدأحوال أبناء هذه الأمة في ظل هذه الظروف الصعبة التي يمر بها عالمنا الإسلامي اليوم.

هذه مدرستكم ونحن أبناؤكم نقول لكم أهلاً وسهلاً ومرحباً ثم مرحباً.

دمتم كمارمتم وكل عام وأنتم بخير، وأرجو الله أن يردكم سالمين إلى بلادكم.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

ثم ألقت طالبة أخرى كبيرة ذكروا أنها في السنة الأخيرة من المرحلة الثانوية وأنه لم يبق عليها إلا أيام معدودة وتتخرج من الدراسة وتذهب إلى الجامعة واسمها (حوا علي بيه) كلمة باللغة الإنكليزية رأيتها جيدة ترجمها لنا ترجمة فورية مدير مكتب رابطة العالم الإسلامي في أبوجا الدكتور فضل خلود.

ومما ذكر أن الإ،كليزية هي لغة التعليم العالي وهي لغة الثقافة، بل ولغة المال ورجال المال والأعمال التجارية.

وقد تأملت هؤلاء البنات وهن أمامنا ولكن بيننا وبينهن مسافة من الفراغ فأجد عليهن مسحة من جمال، وفي ملابسهن مع كونها فضفاضة أناقة وهذا على وجه العموم- تميز على اللاتي في أسنانهن من اللاتي في الشارع وربما كان ذلك لكون أهلهن من الميسورين لأننا عرفنا أن هذه المدرسة تفرض رسوماً على طالباتها من أجل سداد النفقات على المدرسة.

وثانوية الأبناء:

كانوا ذكروا لنا أنها مدرسة واحدة قسم منها للبنين وقسم للبنات، ثم جعلونا نفهم أن مدرسة الأبناء منفصلة عن مدرسة البنات، وما أظن ذلك صحيحاً.

كانوا فعلوا مع الطلاب مثلما فعلوا مع الطالبات، وهم كبار إذْ كلهم في المرحلة الثانوية، وكنت قرأت منذ زمن بعيد أن الجو الحار يسرع في وصول الأطفال من الصبيان والصبايا إلى مرحلة النضج والبلوغ أكثر مما عليه الحال بالنسبة إلى البلدان الباردة والمعتدلة.

وذلك بأن جمعواطائفة منهم في الفناء نفسه غير بعيد من مكان اجتماع الطالبات.

ورأيت لباسهم نظيفاً كلباس الطالبات، ولكنه خفيف مختصر فهو قميص أبيض نظيف يضرب إلى الركبتين تحته سروال أبيض يطل طرفاه من أسفل الساقين، وفوق الراس قلنسوة (طاقية) خضراء اللون.

وأجسامهم معتدلة خالية من الغلظ والسمن، كما أنها خالية من النحافة.

قرأ أحد الطلبة واسمه (بصير أحمد أبو الفتح) آيات من القرآن الكريم قراءة متقنة، لم ألاحظ فيها أي قصور، فضلاً عن الغلط، سواء من ناحية التجويد، أو من ناحية إخراج الحروف من مخارجها الصحيحة.

ثم ألقى أحد الطلبة واسمه (محمد خامس عبدالله) كلمة الكلبة باللغة العربية إلقاءً جيداً أيضاً، وقد ذكر لنا القائمون على المدرسة أن الرسوم التي يأخذونها من الطلبة قليلة لا تكفي لنفقات المدرسة، ولكنهم يكملونها من التبرعات التي تصل إليهم من أثرياء البلاد سواء في هذه الولاية (ولاية البرنو) أو خارجها

ثم ذهبنا إلى غرفة الإدارة وتبين أنها لإدارة القسمين، قسم الأبناء وقسم البنات.

استقبلنا فيها المدير (محمد محمد عمر) واعتذر عن صغرها قائلاً إنها غرفة متواضعة، فقلت: لهم العمل الصالح لا يلزم له غرفة كبيرة ولا اثاث غالٍ.

وقال والقوم من أهل البلاد يسمعون ويوافقون: إننا نعمل مع ضعف الإمكانات.

العرب والجمال:

تقع هذه المدرسة وما يتبعها من باحات مكشوفة وأراضٍ واسعة في حي هو ضاحية جديدة بالنسبة للسكن وإن كان يسكن في بعضها أناس في القديم، فلم تكن الأبنية الحديثة كالموجودة فيها الآن.

وعندما سألتهم عن اسمها؟ أجابوا: بأنه (سوى) بفتح السين والواو- وقالوا: معناه العرب، لأن عرباً من أشباه البدو كانوا أقاموا فيها في القديم.

قلت لهم: ما معنى (سوى) في لغتهم؟ لأنني خشيت أن يكون فيه معنى من معاني السوء، فقالوا: معنى (سوى) في لغتنا الدارجة وربما كانت اللفظة دخلت فيها من اللغة العربية: هو جميل، فالجميل يقال له (سَوَى) ويسمون الناس هنا العرب (سوى) بمعنى ذي الجمال- بفتح الجيم- والخَلْق السوى- بفتح الخاء.

وأفاضوا في ذكر ما سبق أن عرفناه، من وجود طائفة من العرب في بلاد البرنو هذه في مدينة ما دوغري بالذات، حتى قال بعضهم: إن نسبتهم في المدينة تبلغ ١٥% وقال أخرون ومنهم الشيخ مرتضى: إن نسبتهم لا تزيد على ١٠% وقالوا وأجمعوا القول: بأن ألوانهم قد تغيرت فصاروا لا يعرفون عندنا إلا باستقامة التقاسيم في وجوههم، وعدم السواد الحالك في ألوانهم، وإن كانوا صاروا سوداً.

وسألتهم عن السواد الذي طرأ على هؤلاء العرب ما سببه؟ فأجابوا: لكونهم اختلطوا بالزواج والمصاهرة مع أهل البلاد.

ولم يدر ببال أحد منهم أنه ربما كان لوجودهم في هذا الجو الذي يصبغ الأجساد بالسواد أثر في سوادهم أيضاً، لأن الأشعة فوق البنفسجية تسقط عليهم عمودية فتؤثر في أبدانهم، مثلهم في ذلك مثل أهل البلاد.

وقال لي أحدهم: إن كلمة (سوى) هو اسم لقبيلة عربية كانت تسكن في هذه المنطقة وأن معناه جميل في اللغة المحلية، فكأنهم سموا العرب بهذه التسمية التي تدل على الجمال قبل أن يغشاهم اللون الأسود الكامل.

وذكروا أن العرب هؤلاء لديهم إبل، ولكنها خارج المدينة وأنهم قدموا على الأكثر من جمهورية النيجر، إن لم يكونوا قدموا من ليبيا، فحدودها منهم قريبة.

تركنا المدرسة الثانوية وما فيها من بنين وبنات ومررنا بعرس قد اجتمع عنده أناس يستمعون إلى موسيقى مسجلة ويرقصون عليها رقصاً غير منتظم، فالراقص لا يستمر مدة طويلة وإنما يهز جسمه هزاً عنيفاً لفترة قصيرة، ثم يتوقف وقد ينصرف عن المكان كله.

ورأيت كثيراً من الأطفال في هذا الجمع وهم يرقصون.

ومن الطريف أنهم جميعاً تحت ظل شجرتين من الأشجار الضخمة ذات الظلال الموجودة في المدينة وعلى ذكر الأشجار أقول: إنني رأيت أناساً نائمين تحت ظلال بعض الأشجار مع أننا الآن في وقتّ الضحى الذي هو وقت العمل، فذكرني ذلك بمثيل له رايته في مدينة (انجمينا) عاصمة جمهورية (شاد) ولما سألت عن أولئك النائمين في الضحى تحت ظلال الأشجار ذكروا أنهم لا عمل لهم.

وأذكر أنني رأيت مباشرة أكواماً من النفايات متروكة قالوا: إنه لا يوجد من يرفعها من مكانها، وينقلها إلى مكان بعيد من المدينة، فقلت: لماذا لا يجعلون هؤلاء الشبان والرجال النائمين تحت ظلال الأشجار يقومون بمثل هذا العمل بأجرة معتدلة؟

مسجد الشيخ إبراهيم صالح:

أقبلنا إلى مسجد مهيب ذي منارتين وقبة مناسبة، قالوا: هذا هو مسجد الشيخ إبراهيم صالح وهو من أهل هذه البلاد أنشأ هذا المسجد وجعل بجانبه مدرسة اسماها (مدرسة النهضة الإسلامية).

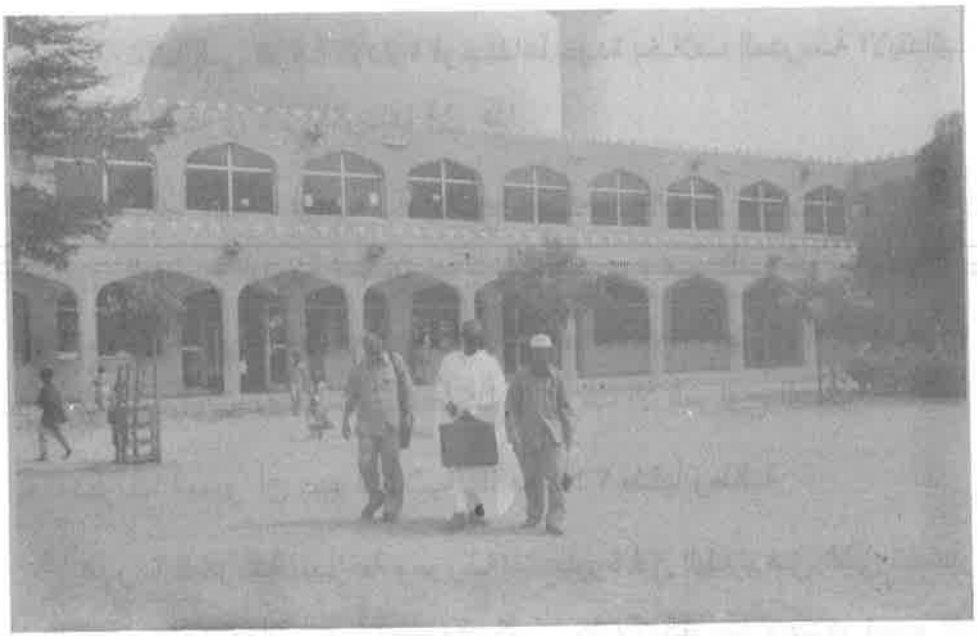

وفد الرابطة في مدرسة النهضة الإسلامية في مادوغري
وتبدو منارة مسجد الشيخ إبراهيم خلف الصورة

والمدرسة ثانوية ومتوسطة استقبلنا مديرها الشيخ (إبراهيم عمر الياس) فدخلنا أحد الفصول فيها فوجدنا الطلاب والطالبات معاً في الفصل، إلا أنهم جعلوا بينهما ممر، فالطالبات: في أيمن الفصل بالنسبة إلى موقف الأستاذ عند السبورة والطلاب الذكور في أيسرها.

طلبت من المدير أن التقط صورة للفصل فتوقف في ذلك وقال: لابد من أن يوافق الشيخ إبراهيم على ذلك فوافق.

ودخلنا الفصل الاول فوجدنا الطلاب فيه مجتمعين، ولا أدري أذلك لكونهم يدرسون في يوم السبت مع أنها مدرسة نظامية أو شبه نظامية كما فهمنا وإن كان من الجائز أنها ريفية تعمل في يوم السبت أيضاً.

ثم انتقلنا إلى غرفة الإدارة فوجدناها جيدة بخلاف المدرسة الابتدائية للطلاب في مادغري التي ذكرناها قبل هذا.

فالابتدائية ليست فيها مراوح، أما التكييف فإنهم لا يفكرون فيه وإنما يستعملون المراوح اليدوية المصنوعة من الخوص، وهي التي كنا نصنعها في بلادنا نسفها بمعنى ننسجها من خوص النخل، مما جعلني أعود بذاكرتي أو تعود بي إلى ستين سنة مضت عندما كنا لا نعرف إلا المراوح اليدوية.

ذكر لنا المدير أن عدد الطلاب عندهم ٣١٥ طالباً وطالبة.

غادرنا المدرسة بسرعة ومررنا بمستديرة في البلد وهي التي تستدير عليها السيارات المتعارضة الاتجاه وقد كتبوا عليها بالعربية وحدها (بسم الله، والعلم قوة، ربِّ زدني علماً).

وهنا جاء ذكر حكومة البلاد المحلية وهي حكومة ولاية (البرنو) التي عاصمتها مدينة (مادغري) هذه فقال أحدنا: إنها حكومة مهملة كما يبدو ذلك من حالة المدينة، فقال الشيخ مرتضى: إنها تأخذ من الحكومة الاتحادية تسعة ملايين دولار شهرياً هو حصتها من عائدات النفط التي تقسمها الحكومة الاتحادية بين الولايات، ولكن الناس لا يدرون أين تذهب تلك الأموال.

وقلنا: ربما كان المجتمع هذا مع كون الشعب في هذه البلاد غير منتج، لذلك لا تحصل الحكومة على ضرائب كثيرة كافية لخدمة البلاد بطريقة أمثل.

ومررنا برتل من الشاحنات الضخمة واقفة بعضها خلف بعض، فذكروا أنها تحمل مواشي اللحم التي تأتي إليهم من السودان وتشاد، ليحملوها إلى جنوب البلاد التي لا تنتج من ماشية اللحم ما يكفيها مع أنها أكثر اخضراراً

وذات غابات كثيفة، ولكن أراضي المراعي المعشبة فيها قليلة، مع أنها صالحة لتربية الأبقار، ولكن الرعي فيها ليس على الدرجة المطلوبة.

وقالوا: حتى إن المواشي ترسل منها إلى الجنوب وإلى بلاد الكنغو ذات الأنهار والمياه العظيمة، مع ذلك تستورد ماشية اللحم من المناطق الأقل اخضراراً، والأقل أمطار، وكل تلك المناطق التي تصدر المواشي إلى جنوب نيجيريا وإلى بلاد الكنغو هي أراضي أقوام مسلمين.

وقد سارع القوم ليكرروا ما سبق أن سمعناه من أن أهل الجنوب يأكلون الحمير، والمراد بذلك من لم يكونوا من المسلمين، وهم أكثرية السكان هناك.

مسجد مدينة:

وقد يسمونه (مسجد مدينة أبي الفتح) وهو مسجد واسع بهي المنظر دخلنا إليه فألفيناه ذا قبة كبيرة قائمة على ثمانية أعمدة ليس في داخله أعمدة غيرها على سعة المسجد.

ذكروا أن الذي بناه هو الشيخ أحمد أبو الفتح، وقد أمده بوسائل الراحة للعبادة، وكذلك بوسائل التجميل للمسجد ومن ذلك ثريات عديدة جميلة غالية.

صلينا فيه الظهر والعصر جمعاً، ولم يكن فيه أحد إلا اثنان أحدهما نائم، لأن صلاة الظهر جماعة فيه كانت انتهت قبل وصولنا.

غداء الخليفة:

وصف الشيخ مرتضى أخاه علياً بأنه الخليفة وهذه صفة وليست اسماً، ولما سألته عن معنى الخليفة لأنني تبادر إلى ذهني أن الخليفة هو التيجاني

أجاب: إنه خليفة والده في العناية بالمسلمين، ورعاية طلبة العلم، وقد ذكر والدهما ورفع من قدره وذكر أنه كان توفي منذ سنوات.

ثم صار الشيخ مرتضى لا يذكر وصف الخليفة في ذكر أخيه عندنا، ربما لكونه فهم أننا ندرك معنى ذلك عند التيجانية، وإلا فإنه لم يذكر التيجانية عندنا لا بالاسم ولا بالصفة، ولا بالمدح، ولا بغيره.

واسم الخليفة هذا هو علي بن أحمد بن علي أبو الفتح.

ذهبنا من المسجد إلى بيت كبير سري بجانبه وهو بيت الشيخ علي بن أحمد المذكور فوجدنا أبوابه مفتوحة، وعنده في الداخل جماعة من الناس فيهم الجالسون، وفيهم المكوّعون، والتكويع عرفناه أول الأمر من إخواننا الموريتانيين، الذين كانوا موجودين بكثرة في مكة المكرمة قبل استقلال بلادهم، ثم عرفناه بعد ذلك في أهل غرب إفريقية وصفته أن يضطجع الإنسان على جنبه ولكنه ينصب يده التي في ذلك الجنب فيسند رأسه عليها فلا يكون مضطجعاً تماماً ولا هو جالس.

ووجود أمثال هؤلاء في مقدمة بيت معناه أنه بيت رجل غني أو زعيم مهم، لأنهم يأكلون من طعامه ويساعدون على ما يحتاج إليه.

هذا في العادة ولكن الشيخ مرتضى: ذكر لي أن هؤلاء فيهم طلبة العلم جاءوا إلى بيت الشيخ للاستفادة وفيهم أرباب حوائج.

دخلنا إلى البيت وتقدمنا فتى نشط من الخدم يظهر أنه من طبقة الخدم والأتباع فقادنا من غرفة كبيرة إلى غرفة كبيرة أخرى داخل المنزل الكبير.

وقد سررت من ذلك لكون الغرف كلها كانت مظلمة مما أبعد عني وسواس وجود الذباب أو نحوه عند الطعام، فالذباب لايكون في الظلام، وقد تعمدوا أن تكون الغرف كذلك حتى وصلنا إلى غرفة كبيرة أو قاعة صغيرة وجدنا الشيخ (علي) فيها وأمامه أواني الطعام مغطاة فوق سماط على الأرض، فزادني أيضاً طمانينة.

قال الشيخ علي وهو يرفع غطاء أحد قدور المعدن النظيفة اللامعة: باسم الله وبادر ذلك الفتى النشط الذي صار يفعل كما فعل أول مرة رأيناه فيها، وهو أن يركع كالركعة التي يكون فيها بين الراكع والساجد، ذلك بأن يثني إحدى ركبتيه وهي تمس الأرض، وذلك علامة التعظيم التقليدية عند هؤلاء القوم من أهل غرب إفريقية، ويكادون يكونون كلهم كذلك إلا أن أشدهم في هذا الأمر (اليوربا): سكان غرب نيجيريا حتى إن رؤساءهم وعلماءهم لا يخاطبون العوام مباشرة، وإنما يكلمونهم بوساطة أحد المتكلمين، وأذكر في هذا الصدد أنني عندما أردت أن أتكلم بعد صلاة الجمعة في جامع إيادن عام ١٤٠٠هـ قدمني الشيخ مرتضى عند السلام ولكنه لم يفعل ذلك في المكبر مباشرة، بل كان يتكلم فيعيد كلامه رجل آخر كان واقفاً أمام المكبر، وأرادوا أن أتكلم كذلك فأبيت وأخذت مكبر الصوت بيدي أتكلم منه.

والمبالغة في تعظيم الرؤساء والكبراء في هذه المنطقة قديم ذكره ابن بطوطة في رحلته وذكر من ذلك أنهم يتربون أمام رؤسائهم أي يحثون التراب على رؤوسهم أو يتمرغون فيه علامة على الطاعة والانقياد.

وقد رأيت مثل ذلك مرة في (فولتا العليا) التي كان اسمها كذلك عندما زرتها ثم غيروا اسمها إلى (بوركينا فاسو) أن رجلاً يعظمني جثا على ركبته

وحثا التراب على رأسه، ولكنني لم أر بعد ذلك حثو التراب على الرأس أو الجسم في غيرها، وإنما يتمثل ذلك أكثر مما يتمثل في الخضوع الذي يصل إلى الركوع أو إلى ما هو أبعد عنه قليلاً، بحيث لا يصل إلى السجود.

ونعود إلى ذكر مائدة (الخليفة): الذي ذكر أخوه الشيخ مرتضى أن ذلك يعني أنه خليفة والده فكان خادمه المطيع يكشف غطاء الآنية فيضع الشيخ علي لنا مما فيه في صحوننا.

فكان فيها من فاخر طعامهم (الكسكسو) تمسك به الأغنياء والوجهاء ربما أكثر مما تمسك به أهله الأصلاء من المغاربة.

وفي الطعام سمك جيد الإعداد، لذيذ الطعم أمعنا فيه أكلاً.

وكان المرق في قدور وحده يأخذون منه فيضعون على (الكسكسو) وعلى الأرز الذي كان حاضراً أيضاً، إلا أن هذا المرق رغم كونه لذيذاً، فإنه مفعم بالحار الذي يسمى في الحجاز (الشطة) وفي نجد (الحبحر) ومفعم أيضاً بالدسم.

ومع الطعام مكرونة وسلطة فرنسية وهي التي فيها مع الخضرات البطاطس المطبوخة والبيض (السليق).

أكلنا وأكثرنا من الأكل من هذا الطعام الجيد النظيف.

وبعد حديث مفيد مع الشيخ عن حالة الثقافة والمثقفين في هذه البلاد الذي لم يشمل لا من قريب أو بعيد (التيجانية) لا مدحاً منهم ولا قدحاً منا، ولا ذكراً من الطرفين مجرداً.

قمنا مع الشيخ بجولة على أنحاء هذا البيت الذي أهم ما فيه أن غرفه يدخل إلى بعضها من بعض ولكن ضمن صف واحدفهناك ممر كقاعة التوزيع ولكنه ضيق يدخل منه إلى الغرف ذات اليمين وذات الشمال.

واسترعى انتباهي أمر سررت به في هذا البيت وهو وجود مكتبتين فيه في غرفتين منفصلتين، كل مكتبة منهما يصح أن توصف بأنها مكتبة مؤلف لما تضمه من كتب كبيرة ومراجع لسائر الفنون وأغلب هذه الكتب مجلدة، أذكر أنني رأيت فيها (معجم البلدان) لياقوت مجلداً، فاغتنمت هذه الفرصة وسألت الشيخ علي بن أحمد صاحب المنزل قائلاً: هذا هو معجم البلدان لديكم فهل ذكر شيئاً عن أماكن أو بلدان في منطقتكم أو ما كان عنها شمالاً، فلم يجب بالنفي ولا بالإيجاب، وبدا كأنما كان السؤال مفاجئاً له.

قلت لهم: إن هاتين المكتبتين فيهما كتب قيمة ومراجع بل أمهات من أمهات الكتب فكيف حصلتم عليها؟

فأجاب: جمعها والدي رحمه الله، وهما كما تركهما في هذا البيت، لأن هذا هو بيته ثم ودعنا الشيخ علي شاكرين، وعدنا إلى الفندق.

مقابلة سلطان البرنو:

لقب السلطان أو مرتبته حقيقية تعطيه الدولة لمن تراه من أهل المكانة أو يعطيه الشعب له، وتعطيه الدولة راتباً على ذلك، لأن لفظ (سلطان) ولفظ أمير مؤمنين الذي هو واحد مقيم في صوكتو.

وهذا بقية من الاحترام الذي كان غامراً في نفوس الناس لمؤسس الدولة الإسلامية الصحيحة الشيخ عثمان دان فودي الذي أقام دولة مسلمة نقية من

الخرافات والتقاليد البالية التي كانت اختلطت بالإسلام في أذهان العامة وأشباههم من طلبة العلم.

وقد نجح الشيخ (عثمان دان فودي) في ذلك نجاحاً باهراً وأقام الدولة الإسلامية وخرجت تلك الدولة علماء مؤلفين مثل ابنه الشيخ محمود بللو وشعراء بالعربية مثل أخيه الشيخ عبدالله، ولم يحد من ملك هذه الدولة إلا الاستعمار الإنكليزي الذي ناصبها العداء، لأنها لم تذعن له.

ولذلك بقيت ذكرى تلك الدولة في أذهان المسلمين في شمال نيجيريا عطرة حية على الزمن فتمسكوا بأشخاص يعتبرونهم رمزاً لها بمناصبهم مثل أمير المؤمنين والسلطان والأمير- مجرداً- وينبغي أن نوضح هنا غلطة غلطها أحد المؤلفين الذين ذهبوا إلى نيجيريا وهي قوله: إن الشيخ (عثمان دان فودي) قد تأثر بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب عندما حج وقابل بعض الوهابيين في مكة.

وهذا هراء فالشيخ عثمان دان فودي لم يحج قط، وإنما أراد الحج وابتدأ سفره بالفعل، ولكن عاقه عائق عنه عند مدينة (اغاديس) التي تقع الآن في جمهورية النيجر، وقد ذكرتها في كتاب: (أيام في النيجر) لأنني زرتها، فرجع منها إلى بلاده دون أن يتمكن من الحج، كما أن الشيخ عثمان قد توفي قبل أن تتسع دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب: إضافة إلى أن الطرق الصوفية كالقادرية موجودة عند الشيخ عثمان، فالشيخ عثمان نفسه يوصف بأنه قادري.

وهذا الذي ذكرته هو ما يتعلق بخلفاء دولة الشيخ عثمان دان فودي من أمير المؤمنين في صوكتو، إلى سلاطين أو أمراء البلدان الأخيرة ففي المرة الأولى كان لمدينة (كانو) سلطان الآن صار يسمى (أميراً) أما أهل الولاية التي نحن فيها الآن

وهي ولاية (البرنو) في سلطنة الكانم والبرنو فقد وجدت فيها وعمرت قروناً عديدة، وكانت في القرون الوسيطة السلطنة أو قل المملكة المسلمة الوحيدة المعروفة في جنوب السودان الغربي، قبل دولة الشيخ عثمان دان فودي.

وهذا السلطان الذي نذهب إليه هو رمز عندهم، لتلك السلطنة وإحياء لذكرها وتساعدهم الحكومة على ذلك.

ذهبنا إلى قصر السلطان في الخامسة والنصف عصراً فاستقبلنا منظر مسجده العظيم الضخم بمآذنه الأربع الشامخة وقبته الضخمة التي تحيط بها المآذن المذكورة، وإن كان هذا المسجد الذي صار يسمى (مسجد السلطان) وهو جدير بذلك لأن السلطان هو الذي بناه على هذه الصفة العظيمة التي لم تعقها عوائق النفقات الكبيرة دون أن يكون هذا المسجد بهذا القدر من الضخامة والارتفاع إضافة إلى الجودة في البناء والاتساع في المكان.

ويقع المسجد بجانب قصر السلطان الذي ليس كالمسجد فخم المنظر عالي الشعار وإنما قصر السلطان يتميز بالاتساع وليس بالسمو والارتفاع.

دخلنا إلى قصر السلطان المليء بالحاشية والأتباع، وإن كان أكثرهم ليسوا ممن يعطون المكان الأبهة والهيبة، وإنما هم أو أكثرهم كتنابلة السلطان القديم الذين ذكرهم المصريون بقولهم: مثل تنابلة السلطان ما يقومون من الشمس إلى الظل إلا بعلقة، والعلقة هنا بفتح العين وإسكان اللام- الضربات بعصا أو نحوها، وذلك أن تنابلة السلطان لكسلهم، وعدم قيامهم بأي حركة، ليس لهم هم إلا الأكل والاضطجاع.

كان أول ما رأيناه من داخل قصر السلطان مجلساً واسعاً فيه كراسٍ عديدة ظننا أن السلطان سيستقبلنا فيه ولكن الشيخ مرتضى مرافقنا الذي نظم هذا اللقاء، وكان قد حدد موعده في قصر السلطان دخل إلى داخل القصر برهة ثم عاد ومعه بعض أتباع السلطان فدخلنا إلى داخل القصر الذي هو كبير ولكنه ليس فخماً فهو- كما يبدو- من طابق أو طابقين وفيه كثير من المجالس والممرات رأينا فيها العشرات من تنابلة السلطان الذين يبدو أنه ليس لأكثرهم عمل إلا الجلوس والأكل، ثم وصلنا إلى رواق يدخل منه إلى مجلس واسع راينا السلطان جالساً فيه على كرسي وثير تحيط به الحشايا أي بالسلطان من كرسيه الواسع المرفوع عن الأرض، وقد وضعوا شيئاً على المخدة قد وضع السلطان عليه رجليه وهو يمدهما، وقد بدأ لنا مريضاً أو كالمريض، وأنه وضع رجليه على هذا المكان المرتفع لكونه يصعب عليه أن يجلس جلوساً طبيعيّاً فيجعل قدميه على الأرض.

وقد اتضح لنا منظره عندما سلمنا عليه وجلسنا إليه، فبدا شيء من الورم في أطراف جسمه، ولكن ذهنه كان حاضراً وعقله كان صافياً.

وجدناه جالساً ماداً رجليه على كرسي ضخم، ليس بجانبه كرسي آخر، وذلك أن أتباع السلاطين في هذه البلاد من شمال نيجيريا لا يجلسون على كراسٍ عند سلاطينهم وإنما يجلسون على الأرض إكراماً لهم، ولئلا يشتركوا مع السلطان في الجلوس على الكراسي.

سلمنا على السلطان ولم يستطع الوقوف فقبلنا رأسه، وهنا كان أتباعه الموجودون عنده يساعدهم الشيخ مرتضى يحضرون كراسي ثلاثة بجانبه يجلسوننا عليها لكوننا ضيوفاً نستحق في رأيهم أن نجلس على كراسٍ بحضرة السلطان (.... الكانمي) وهذا اسمه.

حالما استقر بنا المجلس دعوت للسلطان بالأجر والعافية وقلت له بالعربية: إننا جئنا إلى (مادغري) ولا يمكن لنا أن نزورها بدون أن نزوركم ونسلم عليكم فأنتم لكم في نفوسنا منزلة رفيعة كيف وأنتم ترمزون بوجودكم وجهودكم إلى مملكة الكانم والبرنو التي شهدت أمجادها هذه البلاد، وشهد لها بذلك العالم وعلى رأسه – آنذاك- المؤرخون العرب بالاتساع والعدل والشمولية فترجم كلامي الشيخ مرتضى أحمد إلى لغتهم لغة البرنو.

وقلت له: إننا سمعنا بهذا المسجد العظيم الذي بنيتموه، وأصبح شاهداً تاريخياً على اهتمامكم بأمور الدين الإسلامي في هذه المنطقة وليكون هذا الجامع أكبر جامع في مدينة (مادغري) عاصمة بلادكم، بلاد الأمجاد.

سر السلطان عندما سمع هذا الكلام ولكنه تمالك نفسه، وقال بنبرة كلها حزن وأسف: لقد أنفقت على هذا المسجد كل ما استطعت الحصول عليه وحصلت له على تبرعات كثيرة من المحسنين ولكنني لم أستطع إكماله.

ثم بعت بعض العقارات والممتلكات التي كانت لي وأنفقتها عليه، ولكنه لم يكمل لعدم وجود النفقة.

قال: وقد كتبنا مرات بعد مرات إلى البلدان العربية نطلب المساعدة على إكماله ولكن دون جدوى.

فقلت له: إنني أذكر أنني رأيت قبل سنتين أوراقاً تتعلق بمساعدة للمركز لا أدري في أي مكان من بلادنا رأيتها فهل أرسلت إليكم مساعدة من المملكة العربية السعودية قبل سنتين أو ثلاث؟ فنفى ذلك وقال: لم نتسلم أية مساعدة من المملكة.

وأقول: إن مساعدة هذا المسجد عرضت على المجلس الأعلى للشئون الإسلامية الذي أنا عضو في لجنته التحضيرية وهو خارج رابطة العالم الإسلامي، وأذكر أن فيها رأياً للنفقات، ولكنني سألت بعد ذلك بيومين سفيرنا في نيجيريا الشريف عبدالإله بن مهنا العبدلي عن ذلك فلم يتذكر شيئاً من المساعدة للجامع المذكور.

وقد تكلمت مع السلطان بكلمات تشجيعية وقلت له- صادقاً- إنكم قمتم بتعمير هذا المسجد الجامع الكبير بعمل صالح أسأل الله تعالى أن يكتب لكم أجره وثوابه، ولا شك في أن هذا من نعمة الله عليك الذي وفقك إليه، لأن بعض الناس حتى ولو كانت عنده ثروة عظيمة لا ينفق منها في سبيل الله فتكون حياته ليس فيها عمل صالح إنما هو يصبح يأكل ويشرب ويموت ليس بينه وبين الحيوان فرق في هذه الناحية.

وقد سر من كلامنا وتبادلنا الحديث معه لفترة كنت أتامله أثناءها، فأجد أن علامات كونه من أسرة عريقة ظاهرة عليه، وهناك العدد الكبير من أتباعه ومن الذين جاءوا إليه رأيناهم بكثرة، حتى الذين وجدناهم عنده ليس أحد منهم على كرسي، وإنما هم وقوف أو جالسون على الأرض هم كثر أيضاً، وقيل لي بهذه المناسبة: إن الحكومة تدفع له راتباً ولكنني واثق من أن راتبه مهما كان جيداً في نيجيريا لا يكفي لما معه من أتباعه ولكن لا بد أن له دخلاً آخر.

ثم استأذناه في التقاط صورة معه، وقلت له: إنني أكتب الآن كتاباً عن زيارتنا لنيجيريا، وسوف أذكر هذه المقابلة الطيبة معكم- أيها السلطان- وأنا واثق من أنها ستكون مهمة للقراء في البلدان العربية.

ثم ودعناه وانصرفنا وحاولت أن ألتقط صورة للجامع الكبير الذي بناه ولم يكتمل وإنما انتهى هيكله وبعض الأبنية فيه، فلم تستطع الصورة أن تستوعبه كله إلاَّ من بعد شديد لا يعطي صورة واضحة عنها، فاكتفيت بتجزئة الصورة إلى صور له.

وهو فخم إلى درجة أن الذي لا يعرف أبنية المساجد من غير المسلمين، إنما يعرف القلاع ربما يقول: إنه أقوى قلعة رأها من قبل.

القسم القديم من المدينة:

كنت حريصاً على زيارة القسم القديم من مدينة (مادغري) وذلك جرياً على عادة لي قديمة في الإطلاع على ما يسمى بوسط المدينة القديم أو قلب المدينة القديم.

وبالنسبة إلى (مادغري) فقد مررنا بحاشية القسم القديم منها، ولكننا لم نقف أو نتلبث لأننا كنا ذاهبين إلى غيره.

واليوم قررنا الذهاب إليه بعد زيارة (سلطان البرنو) وكان من أهم ما حفزنا على زيارة ذلك القسم القديم من المدينة غير مجرد الإطلاع عليه هو زيارة شخص مهم نذر نفسه لتعليم القرآن الكريم لآلاف من أهل البلدة والذين بقربها من القرى والبوادي القريبة منها، ولذلك صار اسمه: شيخ القرآن.

كان أكثر ما يسترعي الانتباه في القسم القديم من المدينة كثرة لبس القمصان العربية أوإن شئت الدقة قلت: إنها القمصان السعودية- جمع قميص- وهي الطويلة ويلبسون تحتها سروالاً عربياً يكثر وجوده في الحجاز وهو الذي

تنزل حجوله كما يسمونها والمراد بها أطرافه التي على السائقين تنزل إلى القدمين، ولابد أن يكون فوق الرؤوس قلنسوة (طاقية).

فهذا اللباس هو الشائع في هذا القسم من المدينة لكونه اللباس التقليدي القديم عندهم.

واسترعى انتباهي منظر رجال قد فرشوا لهم حصيراً في الشارع وجلسوا فيه، وهم خمسة أو ستة وهم يتحدثون ويزجون الفراغ دون أي عمل كما بدا لي ذلك من أمرهم، وبجانبهم مجرى لماء قليل خارج من أحد البيوت، وربما يكون بيت أحدهم وقداسود المجرى من كثرة تكرر الماء عليه وإن كان قليلاً يقف في الشارع ويتبخر، وربما كانت حركة السيارات والدواب تساعد على تبديده وتلاشيه فلا يكوّن مستنقعاً صغيراً في الشارع.

ولاحظت كثافة من السكان في هذه المنطقة، ووجوداً لهم في الشوارع والأزقة.

وكان منظر هذا القسم والإخوة من سكانه وكلهم مسلمون مما يغري بالنزول وحصول معلومات أكثر عن الحي وسكانه، ولكن كان ضيق الوقت يمنع من ذلك.

وكل السكان فيه هم من إخواننا المسلمين من أهل البلاد ذوي المجد العريق السابق الذي كان منه مملكة الكانم والبرنو المسلمة التي ظلت قروناً في هذه المنطقة وأشرت إليها فيما سبق.

ولم تقع عيني في هذا القسم على أي شخص غريب عنهم لا من ذوي اللون الأبيض الذي هم الأوروبيون ومن لف لفهم ولا من السمر الذين هم العرب سكان البلاد العربية في الوقت الحاضر.

أما العرب الموجودون في البلاد منذ مدة مديدة من الزمان ويسمونهم هنا (سوى) بمعنى جميل، كما تقدم فإنهم صاروا لا يفرق الناظر إليهم بينهم وبين عامة الناس من أهل البلاد ولما أبديت هذه الملاحظة للإخوة الذين معي في السيارة علق الأخ الشيخ مرتضى أحمد بأن (مادوغري) مدينة مجهولة في أقصى شمال نيجيريا على حدود الصحراء الكبرى لا يهتم بها أحد ولا يسأل عنها أحد.

وظني أن ذلك وحده ليس هو السبب فبعض المدن القديمة في الصحارى يوجد فيها أجانب ممن يسمون رجال المال والأعمال التجارية إذا كانت فيها مشروعات استثمارية أو حركة بيع وشراء متميزة، وذلك ما ليس موجوداً في مدينة (مادغري) في الوقت الحاضر.

شيخ القرآن:

شيخ القرآن في مادوغري على يساره
المؤلف ثم الأستاذ محمد الحساني

وصلنا من دون أن ننزل من السيارة إلى مقرِ (شيخ القرآن) وهذا اسمه الذي يعرف به الآن في هذه المدينة المسلمة وما حولها، ويقع مقره في حي قديم أصيل، ولذلك رأينا أكوام الطلبة والطالبات ممن جاءوا لتعلم القرآن، والمراد تعلم تلاوته ومعه تعلم الحروف العربية.

والأكوام هنا تعبير حقيقي وليس مجازياً إذْ وجدنا مجموعات عديدة من الطلبة والطالبات قد جلسوا في الشارع أو في أركان من الفراغ الموجود بجانبه، وكلهم في مجموعات كبيرة يجمع بينها في الأغلب السن المتقارب مما هو ظاهر أو تقارب في الفهم كما أخبرونا.

وقد جعلوا كومة الأبناء والمراد بهم الذين منهم قد اجتمعوا وجمعوا في مكان واحد، وهم في عدة مجموعات من هذا النوع، وكذلك البنات.

والجميع في كثافة عجيبة.

وجدنا (شيخ القرآن) كما يعرف واسمه الشيخ (آدم محمد) وله لقب آخر عندهم هو (بطن شلوري) جالساً لم نصدق أنه هو لأنهم كانوا حدثونا أن عمره يبلغ الخامسة والتسعين وإنه قد أمضاه كله في تعليم القرآن لأطفال المسلمين وتعلم عليه عشرات الألوف منهم.

وذلك لأنه كان صحيح الجسم خفيفه، ليس في جسمه أي ترهل أو زيادة في الوزن، وجدنا عنده شيخاً يبدو كما لو كان من أقرانه ذكروا أنه ابنه وهو شيخ مسن يبدو لمن يراه أنه في سن الثمانين في جسمه غلظ أي ليس خفيفاً، والغلظ في الجسم- كما كان أسلافنا العرب يسمونه يقصدون به أن يكون الجسم

قدخرج من الاعتدال إلى ما يشبه البدانة، ولكن من دون سمن، وإنما من أجل أن أعضاء جسمه كبيرة نسبياً.

يتعلمون قراءة القرآن عند شيخ القرآن في مادوغري

سلمنا عليه فاحتفى بنا وهو يعرف اللغة العربية من دون صعوبة مثله مثل سائر العلماء وحفاظ القرآن، وهم كثر في هذه المدينة، فهم يعرفون العربية الفصحى ويعرفون قليلاً من العامية وإذا التزم محدثهم بالعربية ألا يذكر الألفاظ العربية المحدثة فهموا كل كلامه.

وجدت (شيخ القرآن) حاضر الذهن سليم الحواس، وقد جلس على كرسي غير عالٍ، وبجانبه عدد من مساعديه منهم ابنه الذي ذكرته.

ثم قمنا بجولة سريعة على مجموعات الطلبة الذين وجدناهم متراصين في مكانهم، توفيراً للأماكن التي فيها مجموعات أخرى وهذا هو ما جعلني أقول: إنهم كومة من الطلاب ومن الطالبات، ولكن كلٌّ على حدة.

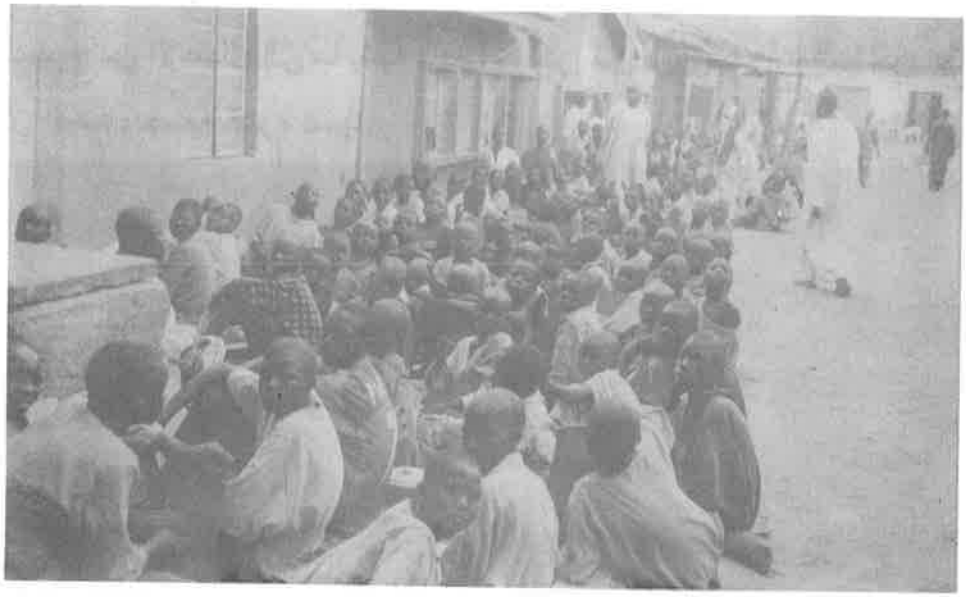

طلاب عند شيخ القرآن في مادوغري

وهم جميعاً جالسون على الأرض على الطريقة التقليدية القديمة، وطبيعي أنهم ليسوا في غرف ومع ذلك يسارع الناس إلى إرسال أولادهم إليه لتعليمهم القرآن الكريم لما يرون النفع من تعليمه أو لما يعتقدون فيه من ذلك.

سوق الاثنين التجاري:

ودعنا (شيخ القرآن) ومن معه بالدعاء، وكان مع الدعاء شيء من المال لمسجده الذي يصلي فيه وطلبته والذين ينتفعون من دروسه القرآنية.

ودخلنا سوقاً تجارياً مهماً من البلدة تبين ذلك واضحاً من حوانيته والحركة فيه، يسمى سوق الاثنين، دخلنا إليه زقاقاً اسمه (باب الاثنين) ربما كان فيه باب قديم يسمى بهذا الاسم.

ولكن المفجع أن هذا السوق التجاري المهم قد تركت فيه القمائم والنفايات على حالها بمعنى أنها لم تجد من يبعدها عنه ولا من يجمعها تمهيداً لذلك.

لا شك في أن بلدية المدينة تعتذر بعذر غير مقبول مثل كونها ليست لديها اعتمادات مالية، ولكن في بلدة مثل هذه يشكو كثير من شبانها وعمالها البطالة تستطيع الحكومة أن تفرض مقادير ضيئلة من المال على الدكاكين والبيوت، وتدفعه لبعض الشبان العاطلين لينظفوا المدينة من النفايات والقمائم وإذا قالت البلدية: إنها ليست لديها سيارات لنقل القمائم مع أن نيجيريا دولة نفطية، فإنها تستطيع إذا أرادت أن تنقل القمائم والنفايات من أماكنها في وسط المدينة على الدواب كالحمير التي كانت هي الوسيلة الوحيدة لإبعاد النفايات والأوساخ عن المدن القديمة قبل التطور الأخير.

وقد يقول قائل: إن الوقت تغير، ففي القديم كان ما يلقيه السكان من النفايات والقمائم محدوداً لقلة احتياج الناس لذلك ولعدمها بخلاف الآن فإن ذلك صحيح ولكن البلدان المتخلفة في الإدارة التي تعاني في العادة من نقص في الأموال لا تلقي من النفايات مثلما يلقيه الناس في المدن الغنية أو المزدهرة.

وبالتالي يمكن السيطرة على ذلك لما ذكرناه.

الشيخ أحمد البرناوي:

ذهبنا لزيارة شيخ مريض من علمائهم له تلاميذ وله نشاط إسلامي في مسجد أسسه أو قالوا: إنه عمره بالتدريس وبالطلبة.

وفي الطريق إليه وفي القسم القديم من المدينة قبل ذلك رأينا كثرة الاطفال الذين اكتظت بهم شوارع هذا القسم من المدينة وأزقته في هذه الأمسية التي غابت

عنا شمسها الحارة، وضاقت بهم بيوتهم الضيقة بالنسبة إلى أعدادهم، وقال الأخ الشيخ مرتضى معلقاً على ذلك: إن الناس هنا يكثرون من تعدد الزوجات فالزواج بأكثر من واحدة هو الأكثر، ولكن قد يوجد من الرجال من عنده أربع زوجات ولا يعرفون تفادي كثرة الحمل، ولذلك كثر الأطفال في الشوارع.

قلت: وهذا يفرض أعباءً كثيرة في تعليمهم وتربيتهم، وفيما يلزم لذلك من رعاية، فضلاً على النفقة والواجب عليكم وأمثالكم من زعماء البلاد أن ترشدوا الناس وتخبروهم بأن الأفضل للرجل أن يبقى على امرأة واحدة إذا كان لا يستطيع الانفاق عليها وعلى من يأتون منها من الأطفال.

وأما القادرون على ذلك ومنه رعاية الأطفال وتعليمهم فإنه لا مانع من التعدد، وقال الشيخ مرتضى يمدح نفسه: أنا ما معي إلا زوجتان ولا نويت أتزوج ثالثة في الوقت الحاضر.

وصلنا إلى مسجد الشيخ البرناوي ودخلنا على الشيخ في مكان بجانب المسجد فوجدناه مريضاً لا يستطيع الجلوس إلا بصعوبة، وقال الشيخ مرتضى. لهذا دعوتكم فالرجل له سابق عمل في التعليم والإرشاد، ولكنه مريض وزيارتكم له ترفع معنوياته، وتدخل السرور على نفسه وعلى تلاميذه.

الشيء المؤسف أن المكان الذي فيه الشيخ كان مظلماً لأن الشمس أوشكت على الغروب وهو في غرفة داخل غرفة، وليس في المكان كهرباء فأحضروا سراجاً على الغاز السائل.

سلمنا عليه وشكرناه لما سمعنا عنه، ودعونا له ومع الدعاء له شيء من الصلة القليلة، فسر من ذلك ودعا لنا.

المؤلف يضع يده على رأس صبي يحفظ نصف القرآن، تشجيعاً له في مادوغري

وأرونا مدرسته بجانب مسجده، ورأيت مبنى في المسجد أو قسماً من مبنى ملحق به قد وقف العمل فيه، بسبب قصور النفقة.

وعندما ودعناه قال الشيخ مرتضى: إن الشيخ أحمد التجاني- يقصده- وكان يسميه لنا قبل ذلك الشيخ البرناوي، لما يعرفه من استنكارنا للتيجانية، مع أن الشيخ مرتضى نفسه ظهر لنا بعد ذلك أنه تيجاني، ولكنه لا يدعو إلى التيجانية، وإنما ذلك شيء ورثه عن مشايخه، ولم يقل لنا ذلك ولم يعرض به حتى تعريضاً.

وقد يكون انتشار طريقة التيجانية هنا أمراً طبيعياً لأنها تمددت هنا من دون أن تجد من أهل العلم والعقيدة السلفية النقية من يوضح الأشياء المبتدعة

فيها ويوضح ما يخالف الأوامر الشرعية فيها، وإن كانوا هم لا يقرون بذلك ويزعمون لأنفسهم أن كل ما هم عليه من ذلك هو مستوحى من القرآن والسنة.

وعلى ذكر هذا الأمر أقول: إنني لم أقابل أي شخص من المتخرجين من جامعات المملكة هنا، لا يوجد دعاة للرابطة أو وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف في بلادنا يعملون في هذه الولاية المسلمة المهمة، بل العريقة الإسلام.

ولذلك لا ينبغي للمرء أن يسفه علماءهم ويشدد النكير على طلبة العلم فيها، إلا إذا وضح لهم قبل ذلك ما يحتاج إلى ايضاح عن الطريقة التيجانية، وبعد أن يطمئن على أنه استفرغ وسعه في الدعوة والإرشاد والمجادلة بالتي هي أحسن.

الشيخ المسكين:

وهذا شيخ يسمى بهذا الاسم إنْ لم يكن لقباً له له مسجد ومدرسة وتلاميذ كثر، وهو معروف بزهده في الدنيا وتفرغه لتعليم الدين الإسلامي وذكروا أن تلاميذته كثر، وليس في المسجد ولا في مرافقه كهرباء وحتى المصابيح الغازية قليلة.

سلمنا عليه سلاماً عاجلاً وأطلعنا على مسجده الذي يحتاج إلى منارة، وقد بدءوا ببناء منارته، ثم وقفوا لقصور النفقة، بل إن المسجد نفسه يحتاج كله إلى ترميم، مع أنه مسجد عامر بالطلبة وبالمصلين، وقررنا مساعدته والجمعية القائمة على المسجد بألفي دولار، تنفق على المسجد.

ودعنا أهل المسجد ومن التفوا علينا من جماعة المصلين فيه والطلبة.

لا خروج من (مادغري):

علمنا بعد مغرب هذا اليوم أن الخروج من مدينة (مادغري) غير ممكن غداً حسبما كنا قررناه من قبل، إذْ لم نعرف أنه لا توجد طائرة منها إلى (أبوجا) العاصمة يوم الأحد كما كنا رسمناه لأنفسنا من قبل.

وكان الأخ الشيخ مرتضى أحمد قد وعدنا أن يسافر بنا بالسيارة إلى (كانو) إلا أنه بلغه بالهاتف هذا الصباح أنه توجد طائرة في آخر النهار تسافر إلى (أبوجا) فذكر لنا أنه قد أعد سيارة عنده قوية وجهزها بما تحتاج إليه، ولكنه بعد مغرب اليوم ذكر أنه تلقى هاتفاً من كانوا يفيد بأن الطائرة التي كان من المقرر أن تقوم في آخر نهار الغد محجوزة كلها لجهة من الجهات ويتعذر وجود أي مركب فيها ولا لشخص واحد مع أننا ثلاثة.

وقد أسقط في أيدينا عند سماع هذا الخبر لأن معنى ذلك أن نبقى هنا إلى ما بعد غد، وهذا أمر لا يحتمله وقتنا المحدد للرحلة في نيجيريا كلها، والأدهى من ذلك أننا لا نعرف ما إذا كنا نستطيع إذا سافرنا مع طائرة بعد غد الاثنين أن ندرك الطائرة التي ستسافر إلى (ينوقو) في بلاد الإيبو فربما تأخرت الطائرة ففات علينا السفر في موعده إلى (ينوقو) التي سننطلق منها إلى بلدة (انوفيا) لرؤية المركز الإسلامي فيها الذي تديره رابطة العالم الإسلامي، وهو مملوك لها، ومعنا مقدار من المال لميزانيته، وقد حشد المسئول عن المركز عدداً من الأشخاص لخدمة أشخاص ذوي أهمية في الولاية التي يتبعها المركز وفي الولاية المجاورة.

وقد صبرنا على مضض.

يوم الأحد: ١٦/٤/١٤٢٧هـ:

جولة أخرى في مادغري:

وهذه الجولة لم تكن مقصودة لذاتها، وإنما كانت من أجل الإطلاع على بعض المدارس والمؤسسات التي لم نرها أمس.

وقد تحققنا منذ أن رأيناها اليوم أن عدم سفرنا بالبر إلى (كانو) لمسافة ستمائة كيلومتر مع طرقهم الرديئة والخوف من قلة الأمن هو توفيق من الله تعالى.

ورأينا في هذا اليوم من ملامح القوم ومن مظاهرهم ما أكد لنا ما رأيناه منها أمس، وهي أنهم أجمل في تقاسيم الوجوه من أهل العاصمة أبوجا، وربما قيل: إنهم أيضاً أخف منهم سواداً، وهذا بيان الواقع وإلا فإنني رأيتهم يحرصون على أن تكون مضيفاتهم من ذوات اللون الفاحم، فالسواد في حد ذاته ليس عيباً هنا، وإنما العيب في عدم التناسب في الوجه أو لنقل إن ذلك من عدم الجمال عندهم.

ومن المقارنات هنا ومنطقة (أبوجا) العاصمة أن السكان هنا أقل سواداً كما يتبادر إلى الذهن مع أن بلادهم أشد حرّاً وأكثر غباراً من بلاد الجنوب ولكن الجنوب أشد سواداً.

ورأينا من عدم العناية بالشوارع وعدم إبعاد القمامة ما أزعجنا، ولكن بدأ أن القوم لا يلقون له بالاً فلم أرهم يشكون منه، وربما كانوا شكوا حتى ملّوا، إلا إذا كانوا مثل أهل ولاية بيهار في الهند وبخاصة عاصمتها بتنة التي كنت فيها قبل شهر قد تعايشوا مع القمائم حتى صار منظرها جزءاً من مناظر مدينتهم لا يستنكره منهم مستنكر.

كنا نأمل أن ننطلق مبكرين في الجولة حتى نوفر وقتاً لرؤية بعض القرى أو الأماكن خارج العاصمة ولكنني ذهبت مبكراً إلى مطعم الفندق الذي نسكن فيه وهو نظيف وجيد، فطلبت كبدة، فذهب العامل ليحضرها ولم يعد، ولم يكن في المطعم غيري ثم عاد بدونها كان قال لي: بعد قليل، وهكذا بقيت ساعة ونصفاً فخرجت من المطعم بدونها.

وبعد أن بقيت في غرفتي أحضرها إليَّ ومعه موظف في إدارة الفندق فقلت له: لا أريدها ويمكنكم أن تأكلوها وأدفع ثمنها فتدخل مرافقنا مدير مكتب الرابطة في نيجيريا الدكتور فضل خلود، فقال: بل نأكلها نحن.

وكنت صحوت مبكراً فصنعت الشاي في غرفتي وأكلت عدة تمرات من السكرية اللذيذة من نخلات في بيتي في بريدة فاكتفيت بذلك.

مسجد العُقاب:

والعُقَاب- بضم العين هو الطائر الجارح القوي من فصيلة الصقور أو هو أقوى منها وقد أسمى أهل المسجد مسجدهم هذا باسم (العقاب) ليس من أجل هذا الطير الجارح ولكن من أجل أنه اسم راية رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وهذا يدل بحد ذاته على أن الذين قاموا على تأسيس هذا المسجد، أو وكل إليهم تسميته هم من العلماء أو طلبة العلم.

و(مسجد العقاب) مسجد عظيم بمعناه ومبناه، أما المعنى فهو ظاهر من كونه مسجداً ومما سنتحدث عنه، وأما المبنى فإنه مسجد واسع تتبعه أرض واسعة جداً، قدبنوا حولها عشرات الغرف بالأسمنت المسلح من أجل أن يسكن فيها طلاب معهد النور الموجود بجانب المسجد تابعاً لإدارته.

وقد رأينا طائفة من الطلبة في مساكنهم المجهزة بكل شيء إلا بما يكافح الحر في هذه المنطقة الحارة فإن لديهم مراوح يدوية من الخوص، وكذلك أن هذا هو الموجود في أكثر المنازل في البلدة.

واستقبلنا فيه إمام المسجد ومدير المعهد الشيخ الجليل أبو بكر كوكو غُوني، وغوني: تكرر ورودها هنا وأخبرونا بأن سبب ذلك هو أنها تعني (الحافظ لكتاب الله)، فالشيخ أبو بكر كوكو من حفاظ القرآن الكريم، وليس ذلك فحسب وإنما هو ممن تعلم القرآن وعلَّمه، ويلتحق بمعهد النور عدد كبير من الطلبة يسكن بعضهم في المساكن التابعة للمعهد الواقعة في حاشية المسجد في الطابق الثاني منه ينامون هناك ويأكلون ويشربون بنفقة المعهد.

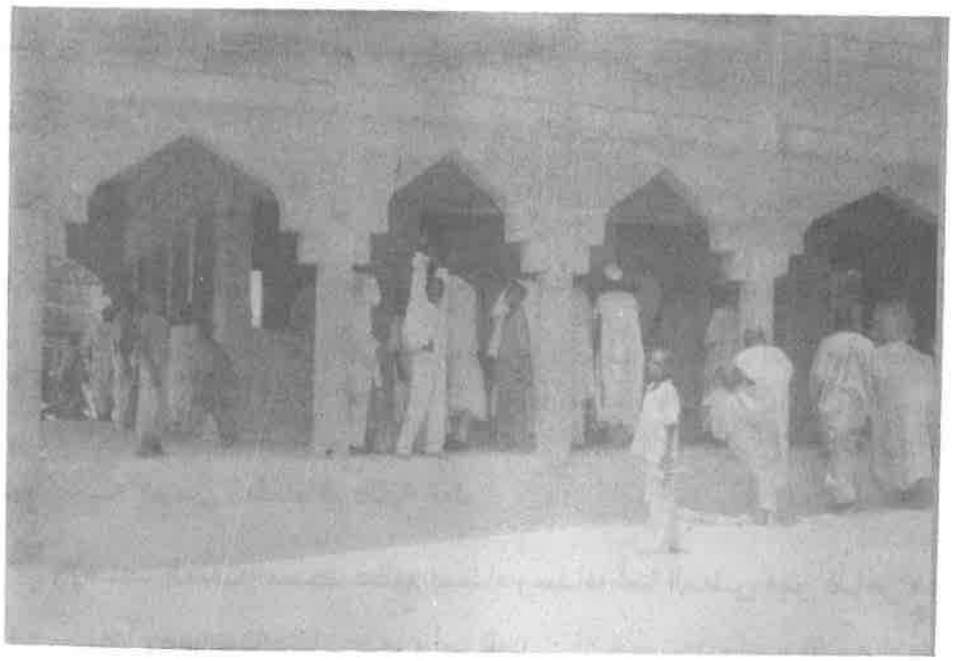

مسجد ومدرسة الشيخ غوني لتحفيظ القرآن الكريم في مدينة مادوغري

وقد أعجبت بهذه الجهود الكبيرة لهؤلاء الإخوة المجهولين عندنا في بلادنا المعلومين عند الله تعالى وعند عباده الصالحين من سكان هذه البلاد وممن يتاح لهم أن يزوروها ويروها مثلنا.

ومن الشيء المعجب المطرب أنهم أخبرونا أنهم قرروا بناء مائة غرفة بناء مسلحاً قوياً لكي يسكن فيها الطلبة الذين لا يوجد لهم أهل في مدينة (مادوغري) هذه، وقد فرغوا تماماً من بناء ٤١ غرفة يسكنها الطلبة، وقد رأيناها كما رأيناهم بنوا أكثر من عشرين غرفة ولم يكملوا بناءها بعد، فهي واقعة عند التسقيف.

وأما باقي الغرف المائة فإن أماكنها موجودة ولكن لم يبدأ العمل بها انتظاراً لوجود تبرعات من أهل الخير لأن مباني الغرفة كلها من شخص نيجيري واحد لم يستطع أن يقدم أكثر.

وأخبرنا إمام المسجد ورئيس هذا العمل العظيم الشيخ الجليل أبو بكر غوني أن جميع ما في المسجد والمعهد قائم على التبرعات التي يقدمها له أبناء هذه المدينة وغيرهم من أبناء البلاد، ولايذكر أنه جاءهم تبرع من خارجها.

فقلت له: هذا عن البناء فماذا عن تسيير هذا العمل العظيم؟

فأجاب: إنه مثل المبنى قائم على تبرعات الإخوة المحبين للخير من أهل هذه البلاد.

ثم نزلنا إلى غرف الدراسة التي كانت مكتظة بالطلاب، فوجدنا صغار الطلبة معهم ألواحهم التي كتبت عليها الآيات القرآنية، فذكرني ذلك بماكنت أفعله في صغري عندما أدخلني والدي إلى مدرسة(كُتَّاب) وقومنا لا يعرفون

لفظة كتاب بتشديد التاء وإنما يسمونها مدرسة، فكان معي لوحي الذي يكتب فيه (المطوع) وهو معلم المدرسة الآيات القرآنية من قصار السور التي يريد مني أن أعرفها بمعنى أن أقرأها ولو كانت قراءة مجردة عن الفهم، ولكن منظر هؤلاء الأطفال أعادني إلى تلك الفترة من طفولتي التي مضت عليها الآن ٧٦ سنة، إذْ كانت في عام ١٣٥١هـ.

الشيخ غوني على يسار المؤلف وهو تاجر وعالم وصاحب مدرسة إسلامية في مادوغري

مما حملني على أن أطلب من الإخوة المرافقين أن يلتقطوا لي صورة مع أحد الطلبة الصغار الذي كان يحمل لوحه معه كما كنت أفعل ذلك مثله في ذلك الزمن الغابر.

في بيت المدير:

وبيت المدير الذي هو الشيخ أبو بكر غوني بن كوكو واقع بجانب المسجد ومعهد النور التي يصح أن يسمى مجموعها مع ما يلتحق بهما من مساكن الطلبة بالمجمع العلمي.

ويقع (هذا المجمع العلمي) كما أسميته في حارة (مابوني وستنفتد).

دخلنا بيت الشيخ (أبوبكر) فوجدته كسائر بيوتهم التي تميل إلى كونها مظلمة من أصل بنائها، ولكنني رأيت لذلك فائدة وهو عدم وجود الذباب فيها إذا كانت معتمة، لأن الذباب لا توجد في الظلام، بخلاف البعوض الذي لا يوجد في بلادنا في النور، وإنما يعيش وينشط في الظلام، ولكنني لم ألاحظ وجود بعوض هنا.

وأهم ما استرعى انتباهي في الغرفة الرئيسية في البيت وهي التي جلسنا فيها رفوف مليئة بالكتب فقلت له: يا شيخ مكتبتك هذه كأنها مكتبة مؤلف، فهل لك تأليف؟

فأجاب بزهو: نعم، وسوف أريك إياها، وأضاف: أنا أيضاً شاعر قلت شعراً في معهدنا هذا ومن ذلك قصيدة مكتوبة هنا ومن ذلك:

ثم أراني كتابين أو ثلاثة من الكتب المختصرة، قال: هذه من تاليفي فرأيتها مطبوعة، أو كالمطبوعة، فقال: نعم أنا طبعتها، وربما كان يصفها على الناسوخ وهو الحاسب الآلي، وهذا مستبعد، لأن وجود الحاسب الآلي قليل عندهم، ولكن ربما كان كتبها على الآلة الكاتبة، وإن كان مظهرها مظهر الكتاب المطبوع.

ثم قال الشيخ (الغوني)- الحافظ للقرآن- وهو يتحدث عن عمله الجليل هذا: لقد سمينا المسجد (مسجد القُقاب) تيمناً براية رسول الله صلى الله عليه وسلم التي اسمها العقاب.

وقال: يوجد لدينا الآن أكثر من أربعمائة طالب يدرسون العلوم الدينية، فسألته عما إذا كان طلب العلم في المدارس الإسلامية في المساجد يزداد أم ينقص؟ فذكر بكل تأكيد على أن عدد طلبة العلم يزداد، وأن رغبة الناس في دراسة العلوم الإسلامية تزيد، فقلت له: ليس مرادي الزيادة المجردة في العدد فربما كانَ ذلك بسبب زيادة النسل، وإنما أريد بيان النسبة من الشبان الذين يدرسون العلوم الدينية عندكم وعند أمثالكم هل هي أعلى الآن مما كانت عليه في الماضي أيضاً؟

فأجاب بقوله: بكل تأكيد هي الآن أعلى مما كانت عليه، وإقبال الناس على دراسة العلوم الدينية أكثر.

هذا مع العلم بأن حكومة نيجيريا هي حكومة علمانية، لا تساعد أحداً من أرباب الديانات لديها، وإنما التعليم الديني كله قائم على التبرعات وعلى دفع رسوم الدراسة في بعض المدارس الإسلامية.

أما الدراسة الدينية في المدارس الخاصة فإنها برسوم عالية أقل مما هي عليه في بلادنا، وقلت للشيخ: هذا المجمع يحتاج إلى نفقات متكررة مثل الكهرباء والماء والنظافة والصيانة فمن أين لكم ذلك؟

فقال: نحن تجار، ننفق عليه مما نستفيده من التجارة، فقلت له: أنتم إذاً تجار الدنيا والأخرة (ربنا أتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار).

وقد أخبرنا أنهم بدؤا في هذا المشروع في عام ١٤٠٢هـ، أي منذ ٢٥ سنة قال: بدأنا بالمسجد، ثم ودعناه، وانصرفنا.

وجلنا أيضاً قليلاً في المدينة ووصل الحديث إلى الجمال في نيجيريا فقال الشيخ مرتضى قولاً كنت عرفته من قبل: إن أجمل نساء أهل نيجيريا هي الفلاتيات يليهن اليورباويات- نسبة إلى اليوربا.

قال: وأما نساء الإيبو فإن المرء قد يرى فيهن من ليست بذات لون فاحم، ولكنهن لسن جميلات، ثم قال: إن الهوساويات- نساء الهوسا- فإنهن أكثر نساء نيجيريا محافظة، وذلك أن الهوسا أنفسهم يعتبرون حماة الدين الإسلامي.

فقلت له: إن هذا هو الذي نعرفه، ونعرف أنه صحيح.

ورايت الأشجار الكبيرة بل الضخمة هنا في شوارع المدينة في بعض الأماكن الخالية فيها، ووجدت أنها ذات ظل كثيف واسع تقف تحته السيارات، ويستظل به الجمع من الناس، مع العلم بأنها لا تحتاج إلى سقي مطلقاً، وقال الأخ مرتضى: إن تحت المدينة حوضاً من الماءِ تشرب منه هذه الأشجار، فقلت له: لماذا إذاً لا تكثرون منها ففيها فوائد عديدة منها أنها تنقي الهواء، وتزود القريب منها بالأوكسجين، إلى جانب الظل، وبعضها من أشجار العمبة (المانجو) الضخمة التي تثمر ثمراً كثيراً، ولكن لا أدري عن جودته، وقد أعطونا من ثمار (المانجو) التي تنبت عندهم فوجدتها غير جيدة المذاق، بالنسبة إلى الأنواع الجيدة التي نعرفها في بلادنا مستوردة من مصر أو الهند، وبخاصة الباكستانية منها.

فقلت للشيخ مرتضى: إنكم يمكنكم أن تبدؤابأرضكم الواسعة التي رأيناها أمس في جانب منها المدرسة الثانوية ومدرسة البنين الابتدائية والثانوية فتشجروها حتى

تستفيدوا منها، فذكر أن الماء غالٍ يكلفهم احضاره مبلغاً كبيراً، وذلك إلى أن تكتفي الشجرة بما تشربه من عروقها عن الماء كما هو المشاهد الآن فقلت له: إنه يمكنكم أن تحفروا بئراً لسقيها منه وربما ينفعكم ماء البئر إذا استغنى عنه الشجر في بعض مرافق المدارس فذلك سيحول منطقة الدراسة إلى جنة.

قلت هذا لأنني رأيت أن الطالبات وبخاصة الكبيرات عليهن ملابس ثقيلة سابغة لا يكتفين بها حتى تلبس الواحدة منهن فوطة واسعة ثقيلة فتغطي بها رأسها وكتفيها بل النصف الأعلى من جسمها، مع أنها مستورة بالملابس الأخرى وهذا يجعلها تحتاج إلى أن تكون في ظل يبعد عنها حرارة الشمس، ويخفف من حرارة الجو.

وقد أحسست بالعرق مع أن ملابسي العربية خفيفة، وقلت لهم: ألا يركب الجسم شيء من الرائحة غير المحببة، بسبب الملابس الضافية؟ فأجابوا بأن ذلك يحدث، ولكنهم يكافحونه بالاغتسال الكثير، وكنت لاحظت أنهم لا تنبعث من أجسادهم الرائحة غير المحببة التي تنبعث من أجساد بعض الأفارقة وهي رائحة نفاذة تكاد تكون خاصة بهم، بمعنى ليست كالروائح الكريهة التي تنبعث من أجساد غير المتنظفين أو غير المغتسلين من غيرهم، فتلك لها نوع آخر من الرائحة الكريهة، وعرفت أن ذلك بسبب حرصهم على الاغتسال والنظافة حتى ملابسهم فإنها نظيفة، قل أن تجد منهم من ملابسهم متسخة.

وهنا وصلنا إلى شارع فيه ماء سارب أي متسرب من بعض البيوت وقد أصبح مجراه من الشارع ذا لون أسود غير نظيف لاسيما أن دجاجات سارية أيضاً كانت تبحث في ترابه المتسخ عن شيء، فقلت له: لماذا لا تمنعون أهل البيوت من أن يخرجوا مثل هذا الماء الذي لا يكون نظيفاً ظاهراً في العادة من إخراجه إلى الشارع؟

فقال بدون مبالاة قولاً صحيحاً وهو من الذي يمنعهم، وذلك أنني ذكرت أننا في بلادنا كنا قبل التقدم الأخير، وقبل وجود البلديات نشاهد مثل هذه المياه المتسربة من البيوت أو على الأصح هي المياه المرسلة من البيوت إلى الشارع أو الزقاق، فلا يبالي بها أحد من الناس، و:إنما كانوا يرون وجودها أمراً طبيعياً.

ولاحظت في عدد من شوارع المدينة أوعية صغيرة لوقود السيارات وهو البنزين معروضة للبيع، وبعد ذلك يشتري الشيخ مرتضى من أحدهم (جالوناً) أفرغه صاحبه وهو شاب واقف في الشمس، وكذلك لم أفارق رؤية هذه (الجوالين من البنزين) في شوارع المدينة الرئيسية، ولا أدري كيف يثق أرباب السيارات الذين يشترونها من كونها (بنزيناً) خالصاً غير مغشوش.

سور المركز الإسلامي ومنارة مسجده الشامخة

إلى خارج مادوغري:

سألت عن الوصول إلى طرف بحيرة (شاد) مما يلي هذه المدينة فأخبروني أنه بعيد نسبياً وأن طريقه صعبة، وقالوا لي: إنه توجد بحيرة غير بعيدة من مدينة (مادوغري) اسمها بحيرة (أولو) وتبعد ٢٤ كيلومتراً منها.

انطلقنا إليها ومعنا سيارتان فوصلنا إلى بوابة في حدّ المدينة أو قل: إنها قصد منها أن من يدخلها كأنما دخل المدينة إذا كان مقبلاً عليها ومكتوب عليها (الله كياي) بمعنى (الله يحفظكم) وهذه العبارة تخاطب من يغادرون المدينة وهي تشبه في المعنى قولنا: (في أمان الله) أو قول الإيرانيين والهنود الذين يتكلمون الأوردية (خدى حافظ) أو قول الإندونيسيين والملايويين (سلامة داتنج).

وهي بوابة بسيطة خالية من التعقيد، والطريق واحد يفصل بين السيارات المتقابلة فيه خط من الصباغ، وترفرف على الطريق أشجار من أشجار الظل غير متراصة.

وكانت مغادرة (مادوغري) في الثانية والنصف ظهراً، وذلك قبل أن نتغدى، لأن الشيخ مرتضى عزم علينا أن يصنع سمكاً جيداً يكون مع غدائنا على البحيرة.

وقد صار الهواء الآن فيه سموم، ولكنه أقل بكثير من السموم في بلادنا في الصيف، وبخاصة من الأماكن المعروفة بذلك في بلادنا مثل منطقة المدينة المنورة.

خرجنا من الطريق الزفتية إلى طريق ترابية عند البحيرة التي رأينا طرفها ممتداً في منظر لا بأس به إلا أنه غير معتنى به من جهة الحكومة فالقمائم ملقاة فيه لم تجد من يبعدها عنه، والأشجار الكبيرة فيه طبيعية لم تلمسها يد الإنسان بتهذيب أو تشذيب، وهذا جيد من جهة ولكنه يدل على عدم العناية بشاطئ هذه البحيرة التي لووجدت العناية الكافية لكانت منتزهاً حقيقياً لهذه المدينة قريباً منها.

وقبلها بقليل وعلى ضفافها أناس من الأهالي من المزارعين الذين يسكنون في مساكن من الخشب غير المعتنى به، ورأيت أكثرهم بدون وجاهة في المظهر والملبس.

وترفرف أشجار الظل الضخمة كأشجار الكينة على ضفاف البحيرة تشرب جذورها من مائها، وربما تتلقي ماء مزيداً من التربة الريانة بجانب البحيرة.

وقد غام الجو قليلاً فبرد الجو الذي كان يبدو قبل ذلك كجو القائلة غير الشديدة الحر في بلادنا.

وعندما تلفت في شاطئ البحيرة الذي وقفنا فيه أولاً ، ثم في موضع آخر منه عرفت السبب الذي من أجله لم تلتفت البلدة إلى هذه البحيرة فلم تحسن مظهرها وهو أنني لم أر فيها متنزهاً واحداً ولا سيارة واحدة جاء أهلها بها إليها للتنزه.

ويظهر أن السكان قد ألهاهم العمل في لقمة العيش عن التنزه في هذه البحيرة وإذا كان بعضهم لديهم من المال والوقت ما يقضونه هنا فإنهم لم يفعلوا لعدم وجود متعة لهم فيه.

هذا مع العلم بأن اليوم هو الأحد يوم العطلة الأسبوعية الرسمية للدولة النيجيرية.

فرش الرفاق فراشاً وثيراً في ظل شجرة وارفة، وبادرونا أول الأمر بأكياس من اللدائن فيها الماء البارد ولكنها أكياس رخوة معتادة فصعب على القوم فتحها لأنها إذا فتحت وأمسك بها شاربها خرج منها الماء إلى غير ما يريد، ومع ذلك وجدنا فيها ما يطفئ الظمأ، واعتقدنا أنها نظيفة، وقلنا لهم الاولى أن تحضروا الماء الذي كنا نشربه منذ أن وصلنا إلى نيجيريا وهو المحفوظ في قوارير تصدرها شركات معروفة، وتحت ضمانها وقد جربناه

فوجدناه جيداً والقوارير التي يجعلونه فيها تشبه القوارير التي نضع فيها ماء الشرب الذي نسميه (ماء الصحة).

ثم مدوا السماط الذي كان ينتظره جائعون منا ومنهم، فكان عليه الأرز الأبيض والمرق والسمك إلى جانب الخبز المعتاد، ولم أذق المرق لأن فيه (شطة) أو حبحراً كما نسميه وقد عانيت منه في اليومين الماضيين، كما كنت عانيت منه مثل ذلك في الهند.

وقد أكلنا كثيراً وبخاصة من السمك الذي كان لذيذاً والغداء كله مما طبخه الشيخ مرتضى في بيته، وكانت الفاكهة من البرتقال والتفاح المستورد ثم القهوة والشاي.

وقد أكلنا كثيراً وبقيت من الطعام بقية، أعطاها القوم لجماعة من الصيادين أي صيادي السمك من البحيرة كانوا أوقفوا قارباً لهم صغيراً على شاطئ البحيرة فتقبله الصيادون شاكرين وصاروا يأكلونه.

وانتهزت فرصة وجود الصيادين فالتقط الرفاق لي صورتين معهم إلى جانب بعض الصور للبحيرة.

وقد أنصف الشيخ مرتضى ومعاونوه وهم ثلاثة أو أربعة فأعطوا ما بقي من عظام السمك ونفاياته لكلبة حيث جاءت تتشمم وربما جذبتها رائحة السمك، وإذا كانت كالقطط المنزلية التي تجذبها رائحة السمك، وكنت لاحظت في بيتي في الرياض أن رائحة السمك تجذب شيئين من الحيوان بقوة فتأتي إليها وهي الذبان والقطط، ولاشك أن للسمك رائحة نفاذة مميزة عند الحيوان الذي يعتمد على حاسة الشم في معاشه كالكلاب والقطط.

وفي الخامسة كنا نعود إلى مدينة (مادوغري).

عود إلى الجولة على المساجد والمؤسسات الإسلامية:

زرنا عدداً من المساجد وأهمها من ناحية الزيارة هو مسجد الشيخ (غوني محمد) وغوني هو حافظ القرآن الكريم في اصطلاحهم، فوجدنا المسجد مبنياً بالأسمنت المسلح بناء قوياً، ولكنه لم يكتمل، بل هو بعيدعن الاكتمال، إذْ اكتمل صب السقف الأول وجزء من الطابق الذي فوقه الذي قسم إلى غرف يريدون أن يكون مدرسة، ولكن البناء وقف لأن المتبرعين لم يستطيعوا الاستمرار، والشيخ غوني حافظ للقرآن كما قدمت ولذلك لديه طائفة من التلاميذ يتعلمون عنده، ويظهر عليه الصلاح وعلى وجهه نور الإيمان، وظهر أنه محتسب لذلك وتلامذته يحفظون القرآن االكريم عنه ويتعلمون التفسير والفقه.

وقد شجعته على عمله وأخبرته أن عمله يعتبر وظيفة الأنبياء والمرسلين لأنهم يعلمون الناس الخير وأنت تعلم الناس الخير والفقه في الدين، ثم طلبنا منه احضار جمعية بناء المساجد فحضر منهم اثنان فأعطيناهم بحضور عدد من أهالي الحي ألفي دولار مساعدة على استئناف العمل في تكملة مبنى المسجد.

التيجانية في مادغري:

قيل لنا: إن معظم العلماء في (مادغري) وفي ولاية البرنو عامة هم من التيجانيين وسبق أن تكلمت على ذلك قبل ورقات، ولكن الذي جعلني أعيد الكلام فيه الآن أنني مررت على مكتبة تبيع كتباً عربية، ومصاحف فوجدت فيها كتاباً يظهر من عنوانه أنه من كتب التيجانية، واسترعى انتباهي فيه لأول وهلة عنوانه وفيه وصف شيخ بأنه وسيلة الوسائل.

وعنوان الكتاب كاملاً: (جواهر الرسائل الخاوي بعض علوم (وسيلة الوسائل) مولانا الشيخ الحاج إبراهيم بن الشيخ عبدالله التيجاني الكولخي) لجامعه وناشره أحمد أبي الفتح بن علي التجاني والتجاني نسبة إلى التيجانية ولكنها مكتوبة هنا بدون ياء قبل الجيم، والكولخي نسبة إلى ميدنة كولخ في السنغال.

والكتاب جزءان كل جزء في نحو ١٧٠ صفحة، طبع في مدينة (مادغري) وكله باللغة العربية بطبيعة الحال، لكونه موجهاً للعلماء وطلبة العلم منهم وكلهم يعرف العربية.

والباب الأول فيه هو الوصايا رأيت أن أذكر هنا الرسالة الأولى والثانية:

أما بقية الكتاب فإن فيه عجائب وغرائب لا يجدها المرء في غيره مجتمعة إذا أراد أن يدرس أفكار هذه الطائفة دراسة من كتبهم ومنشوراتهم.

الرسالة الأولى:

الباب الأول في الوصايا:

الرسالة الأولى من الوصايا:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد حق قدره ومقداره العظيم.

فإلى الأخ الحبيب الفقيه الأديب الأريب محمد مصطفى بن جرن سام.

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته يليه الإعلام بأن قد أتاني رسولك ووقفت على مكتوبك وفرحت به، وإني استودعك الله الذي لا تضيع ودائعه، وأوصيك بتعلق القلب بالله في سائر حركاتك وسكناتك، فكن لله، (من كان لله

كان الله له) وأخرج جميع الخلق من معاملتك للحق، ونفسك من جملة الخلق (قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون) (٩١: الأنعام).

قد علمت أن الله جعل الإشتغال بغيره خوضاً ولعباً، وليكن لك الشيخان: شيخك في الظاهر إجعله الكتاب والسنة، وشيخك في الباطن شيخنا أحمد التيجاني رضي الله عنه، وهو معكم دائماً، فالوسائل وسائل فقط، والمراد ما قلته لك، واكتم سّرك، وادفن ما أولاك الله به من سرّ ربوبيته حتى يظهرك الله، فإنه من تصدّر للمشيخة قبل وجود الإذن من الله ضيّع دينه ودنياه وافتضح بين أبناء جنسه.

وإن أظهرك الله فلا مانع لعطائه، ولكن حب الظهور قبل إبانه يقطع الظهور لما فيه من حظ النفس، فإن أخفاك الله فالخفاء خير لك، وإن أظهرك فهو خير لك، لا ترد إلاَّ ما أراداالله، فمن أراد الظهور فهو عبد الظهور، ومن أراد الخفاء فهو عبد الخفاء، ومن لم يرد إلاَّ ما أراد الله فهو عبد الله حقاً، فالعارف من ترك مراداته لمراد الحق، وقل للهادي إني أذنت له في أن يلقنك سر اليزيارة فهو ثالث الأسرار وفيه الاسم الخاص بمقام الشيخ رضي الله عنه وسلم مني على الخليفة حبيب الله شك، وإني أطلب منه الدعاء الصالح والسلام.

(وكتب إبراهيم بن الحاج عبدالله التجاني عام ١٣٤٨هـ الفيضة بكوس في يوم الأربعاء).

فصل: الرسالة الثانية: من الوصايا:

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، الحمد لله الذي جعل متابعة أوليائه فلاحاً وصلاحاً ومحبتهم وتعظيمهم وامتثال أوامرهم رباحاً ونجاحاً، والسلامان على سيد الكونين القائل ما معناه: (بني

الإسلام على خمس قواعد: الشهادتان، وإقامة الخمس والصيام، والزكاة، والحج لمن استطاع إليه سبيلا) ورضي الله عن خليفته على الإطلاق القائل: (إذا سمعتم مني شيئاً فزنوه بميزان الشرع فما وافق فخذوه وما خالف فاتركوه).

أما بعد: فمن كاتب إسمه عقب رسمه إلى كافة أحبابه القاطنين بحامين، دار والدنا الأبر أحمد كرك وأبو بكر بطئ وأخوه محمد ومحبنا فجك ثيام ومحمد مته ومحمد بجيكين وغيرهم، كل واحد باسمه وعينه عموماً وخصوصاً صنوان وغير صنوان.

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته عن مدد مولانا التجاني، يليه منا السؤال من الله تبارك وتعالى، أن يصلح أحوالنا وأحوالكم ومآلنا ومآلكم، ويرزقنا وإياكم حلاوة الإيمان والصدق في العبودية مع القيام بحقوق الربوبية ويكتبنا وإياكم في ديوان أحبائه وأصفيائه، ويتولانا وهو يتولى الصالحين.

وبعد: فقد أتاني من عندكم محبنا الصادق أبو بكر جاج فجزاكم الله عنا خيراً، إلا أني أوصيكم وأوصي نفسي بما وصّى الله به الأمم قبلكم ووصاكم به، وهو تقوى الله في السر والجهر، والتقوى هو امتثال الأمر واجتناب النهي، وآكد المأمورات مراعاة الصلوات الخمس في الجماعات في أوقاتها مع المحافظة على الطهارة المائية.

والعجب كل العجب لمن ينتسب إلى الله وإلى شيخنا التجاني ويغفل عن صلاته أو عن طهارتها ويتيمم للصلاة ويدعي أنه معذور، والعذر لا يدوم ولا يعم قبيلة، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

فتوبوا إلى بارئكم، فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم، وعليكم بقراءة الوظيفة مع الإخوان، فمن تركها منكم مرة واحدة بعد وصول كتابنا فنحن براء منه وليس منا ولسنا منه، فنحن ما سلك طريقتنا إلاّ من عمل بما نعمل به مع أصحابنا.

ولابد من تجديد التوبة في كل وقت وفي كل مقام مع دوام مراقبة الله في سائر الأوقات والأنفاس عملاً بقوله صلى الله عليه وسلم: (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا) واجتهدوا في الصدق في معاملة سيدكم ومولاكم بحيث لا يجد واحداً منكم حيث نهاه ولا يفقده حيث أمره، وإياكم وملابسة شيء من المحرمات، فالحرام يجر إلى النار، وإياكم والغفلة، فإن الغفلة أصل كل خطيئة وشهوة وسوء أدب، لأن الحق جلّ وعلا يقول (من كشفت له عن أسمائي ألزمته الأدب، ومن كشفت له عن كمال ذاتي ألزمته العطب)، فعليكم بآداب السلوك وقال الشاعر:

لقد خاب مجذوب صحا وتمردا

ولم يحسن الطاعات مال عن الهدى

ومن بلغ المطلوب فليسع شاكراً

وإلا فجزم الروح نهج أولي الردى

وأنتم يا أهل جامين لا ينبغي لكم إلاّ أن تكونوا كأهل كوس وأهل طيب جكين، وأهل طيب جيبسين، من الاشتغال بالله برفض كل ما سواه وتواصوا بالصبر وتحابوا وتهادوا وتزاوروا وتباذلوا وتجالسوا في الله لله بالله، وتعاونوا على البر والتقوى، وأذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون، وقوا أنفسكم وأهليكم ناراً.

قال صلى الله عليه وسلم (وهي أن تقولوا يا أهلاه صلاتكم صلاتكم يا أهلاه صيامكم صيامكم يا أهلاه ظهوركم يا أهلاه مسكينكم) أو كما قال، وقد قال الله تعالى: (وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقاً نحن نرزقك والعاقبة للتقوى) (طه: ١٣٢).

واعلموا أنكم يلزمكم حمد الله وشكره حيث جعلكم من السابقين الأولين من أهل هذه الفيضة، لكن لا تقعدوا ولا تميلوا إلى الراحة فإن من ورائكم قوماً أتوا بعدكم وإن قَعدتم وتقاصرتم في أداء حقوق مولاكم يسبقوكم وذلك- والعياذ بالله- هو غاية الخسران، لأن الازدياد في الترقي في كل لحظة مطلوب، فعليكم بتعمير زاويتكم بإقامة الخمس وقراءة الوظيفة مع تعمير الأوقات بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بصلاة الفاتح لما أغلق فمن فعل ذلك فقد فاز فوزاً عظيماً، والسلام.

وكتب علي سيس بن الحسن عام ١٣٤٩ هجرية.

انتهى.

يوم الاثنين: ١٤٢٧/٤/١٧هـ ١٥مايو ٢٠٠٦م:

من مادوغري إلى أبوجا:

غادرنا فندقنا مبكرين فكأنما ذلك لخوفنا أن تفوتنا الطائرة التي موعدها في الثامنة، وكنا مشفقين من أحد أمرين أوكليهما: إما أن لا تجيء الطائرة في صباح هذا اليوم فيمتد حبسنا بالنسبة إلى أعمالنا في جنوب نيجيريا، أو أن تأتي متأخرة فلا نستطيع اللحاق بالطائرة التي سنذهب معها إلى مدينة (اينوقو) في جنوب نيجريا.

خرجنا بسيارة الشيخ مرتضى إلى المطار وهو قريب، وقصدنا رأساً قاعة كبار الزوار، فجلسنا بها وإذا بزميلنا ومرافقنا في الرحلة يخرج نقوداً ويعطيها عاملة في القاعة، لم ألق بالاً لذلك، وقد سألونا عما نريد شربه وأحضروه لنا ثم جاء أناس قدمهم لنا الشيخ مرتضى ذكر أنهم من الشخصيات المهمة، وقد اجتمعت رسوم الجلوس في هذه القاعة والشاي أو القهوة التي شربها كل واحد منا ومنهم فصارت ١٣ دولاراً دفعناها، وهذا غريب بالنسبة إلى قوم أدخلوا قاعة كبار الزوار للتكريم.

وليس هذا هو الغريب الطريف في أمر هذه القاعة، وإنما الطريف منظر بائع متجول سمح له بدخول القاعة وعرض بضاعته على الذين فيها وبضاعته التي يحملها من (الطواقي) وهي القلانس الملونة المزينة بخيوط ملونة.

ودخل إلى القاعة أناس من ذوي الأقدار، وكلهم عليه الثياب الفضفاضة التقليدية ولاحظت أنهم يتأنقون في تجميلها، رغم ثقلها في هذا الجو الحار، وأنها تجمل لابسيها بالفعل، إذْ تصورت الذين يلبسونها بدونها فوجدت أن لها أثراً في النفس جيداً.

ومما ينبغي ملاحظته أن هذه الألبسة الفضفاضة أصلها من ملابس أهل الصحراء كالموريتانيين والماليين- سكان مالي- وعرفت فيما سبق عندما رأيت ألبسة أهل الصحراء الفضفاضة أنها تقي الجسم شر الغبار، ودقائق التراب التي تطيرها الصحراء معه، وهي تبدو كالمكيف الصحراوي إذْ تمنع رطوبة الجسم التي تتولد من العرق من التبدد بسرعة.

وتأملت قاعة كبار الزوار هذه فإذا بها واسعة جيدة التأثيث، وتكرر عندي ما أحسست بمثله من قبل لأقوام مثلهم بأنهم يختلفون عناذوقاً لا فكراً ففكرهم مثلنا فكر إسلامي، وهم لا يقلون عنا ذكاءً، وإنما الذوق في الأمور المادية مختلف مثلما يختلف بين شمال العالم العربي وجنوبه، وبخلاف البيض في الروس وأمثالهم الذين يختلفون عنا ذوقاً وفكراً، وفضلاً عن الآمال والآلام فهؤلاء الأخوة المسلمون الكرام آمالنا وآمالهم واحدة وهي أن ينصر الله الإسلام والمسلمين، ويذل الكفر والكافرين، أما الروس وأمثالهم فإنهم لا يشاطروننا ذلك.

وكنت رأيت والدي في النوم البارحة فقلت لأحد الإخوة المرافقين ممازحاً العجيب كيف اهتدى إليَّ وأنا في هذا الفندق المجهول في المدينة المجهولة (مادغري) عاصمة ولاية البرنو في شمال نيجيريا الشرقي؟

فأظهر التعجب ولكنه فطن وقال: الأرواح تعلم ما لا نعلمه إذا كانت في جسم ابن آدم، ولم يقل: إن ذلك ربما كان أضغاث أحلام نشأت من حديث النفس كأن أكون ذكرت والدي أو حدثتني نفسي بشيء من حديثه، والواقع أن الأمر لم يكن فيه شيء من ذلك.

إلى أبوجا:

دخلنا إلى الطائرة وهي كسابقاتها من طراز بوينغ ٧٣٧ وجميع ركابها من أهل البلاد ما عدا شخصاً عربي المظهر ولكنه معتل الصحة، بدا كما لو كان عاش هنا مدة طويلة وعلى رأسه طاقية ملونة.

درجت الطائرة في المدرج وأنا أتأمل أرضه التي تحف بالمدارج فرأيت منها في هذا النهار ما لم أره في الليل عند قدومنا إلى (مادوغري) فرأيته كمطار القصيم إذا كان في الربيع أو في عقب سنة ربيع، فالطابع الصحراوي ظاهر عليه.

ويرى المرء على البعد الأشجار الخضر التي ذكرتها من قبل وبخاصة أشجار النيم والمانقو الضخمة كأنهم قطعوا الأشجار القريبة من المطار.

وقلت في نفسي: إن زيارتي (لمادوغري) هي زيارة ناجحة، لو لا أننا لبثنا فيها يوماً إضافياً كان يمكننا أن نستفيد منه في جنوب نيجيريا لو وجدت رحلة أمس الأحد، ثم أسرعت إلى ذهني صورة الرحالة ابن بطوطة، وكيف كان ينفق الأيام الطوال بل الشهور في زيارة منطقة من المناطق، ومنها منطقة (مالي) الإفريقية التي كتب عنها ما لم يكتبه غيره في تلك العصور بمعنى أن بعض المعلومات التي أوردها عن السودان الغربي- مالي وما حولها- ما وجدت عند غيره.

وقلت في نفسي: إنه لا يمكن المقارنة ما بيننا وبينه في الصبر على المشاق وفي السخاء في الوقت وفي تحمل الصعاب فرحمه الله وجزاه خيراً.

ولاحظت من علامات الجو الصحراوي أو الشبيه بالصحراء هنا وجود شجرات من شجر العشر وهي أشجار مشهورة بنموها في الصحراء لكونها لا

يأكلها شيء من الحيوان، وتعتقد العامة أنها من منازل الجن ربما كان ذلك لاختلاف أغصانها التي يمكن أن تخفي من يكون فيها في جو خالٍ من الشجر الكبار، وقد أوفيت هذه الشجرة حقها من الحديث في كتاب (معجم الألفاظ العامية) الذي أسميته المعجم الكبير، وفي كتاب (الأصول الفصيحة للألفاظ الدارجة) الذي يقع في ثلاثة عشر مجلداً وهو مطبوع.

كان إعلان الطائرة بالإنكليزية وحدها، لأنها هي اللغة العامة الغالبة عند المثقفين والمتعلمين في البلاد.

وقد أعلنوا من مكبر الصوت في الطائرة أن الطيران إلى أبوجا سيستغرق ساعة وخمس دقائق.

بعد إقلاع الطائرة مباشرة اتضح منظر الأرض شبيهة بالصحراوية لولا هذه الأشجار الخضر الضخمة، واتضح لي أيضاً أنها تصلح لرعي الإبل، وتنميتها ولذلك ذكروا أنه توجد إبل خارج المدينة ورأيت أعشاباً من أعشاب الربيع تطل بروسها من الأرض بعد مطر كان سقط قبل أيام، وكان إقلاع الطائرة في موعدها المقرر وهو الثامنة، وهذا من حسن حظنا إذْ سيتيح لنا ذلك أن ندرك الطائرة المسافرة إلى (اينوقو) في منطقة الايبو التي سنسافر منها فوراً إلى (أنوفيا) لزيارة مركز الرابطة فيها وتفقده ومعرفة ما يحتاج فيه إلى إصلاح أو عمل.

والمقرر أن تقوم طائرة (اينوقو) في التاسعة والنصف وهذا جيد بإذن الله، أما ضيافة الطائرة والوقت وقت إفطار فإنه قطعة من الكعك اللين (الكيك) مدهونة بشيء كالزبدة أو الكريم ولا أحبه، وكلها مغلف بغلاف من اللدائن، وبعد ذلك كأس من الشاي.

وكالعادة كان الركاب كلهم نظيف الثوب وما يرى من البدن ليس لهم رائحة غير محببة متخلفة عن العرق أو عدم التنظف.

والمضيفات من فتياتهم الرشيقات جداً الشابات اللاتي لونهن شديد السواد.

مطار أبوجا:

مطار أبوجا جيد منظم، والخدمة فيه جيدة، والأهم من ذلك أنهم جعلوا الركاب فيه يشعرون بالأمان، وقد واجهت الطائرة قبل النزول فيه سحاباً كثيفاً فاضطربت ثم صارت تحوم للهبوط فوق أرض أبوجا الخضراء ذات التربة الذهبية، ويجلل الآفاق سحاب كثيف منخفض وأجمل ما عملوه لعاصمتهم أنهم منعوا وجود الأكواخ أو العشش، جمع عشة- فيها ورأيت والطائرة تهم بالنزول نهراً صغيراً أحمر المياه مما يدل على أنه شهد فيضاناً أو على الأقل كثرة غير معتادة في مياهه، بسبب الأمطار التي هذا دخول موسمها.

هبطت الطائرة في مطار أبوجا في التاسعة وسبع دقائق صباحاً بعد طيران استغرق ساعة وسبع دقائق أي المسافة لا تبعد كثيراً عن المسافةبين جدة والرياض، ورأيت مدارج المطار حولها أعشاب الربيع الخضر والمراد بالربيع هنا العشب الأخضر، وليس فصل الربيع.

وعندما فتح باب الطائرة دخله هواء (أبوجا) البارد المنعش.

السفر إلى أينوقو:

(أينوقو) مدينة رئيسية في منطقة قبائل الايبو أو لنقل: جماعات الأيبو، وهي جماعات تسكن في جنوب نيجيريا وجنوبها الشرقي، وكنت حاولت

زيارتها عندما كنت في نيجيريا في المرة السالفة، ولكن لم يتيسر ذلك بسبب ضيق الوقت لأننا انفقنا أكثر وقتنا في زيارة المنطقة الشمالية والمنطقة الغربية.

وكانت ولايات نيجيريا آنذاك ثلاث فقط إحداها شمال نيجيريا وأهلها بصفة عامة الهوسا والثانية غرب نيجيريا، وأهلها اليوربا والجنوبية وأهلها (الايبو)، أما الآن فإن (نيجيريا) مقسمة إلى ست وثلاثين ولاية.

ولذلك كنت مشتاقاً إلى زيارتها وسنحت الفرصة عندما احتجنا إلى أن نرى مركز الرابطة في أنوفيا وهو مركز أنشأته الرابطة هناك، ونفع الله به أهل البلاد.

وكانت منطقة (الأيبو) ولاية واحدة عندما زرت نيجيريا سابقاً، أما الآن فإنها سبع ولايات.

وأسرع الدكتور فضل خلود مدير مكتب رابطة العالم الإسلامي في (أبوجا) الذي كان يرافقنا إلى مكتب الترحيل وتبعناه مسرعين نحمل أمتعتنا الخفيفة لأننا كنا تركنا أمتعتنا الثقيلة في مكتب الرابطة.

ووجد بأن الرحلة إلى اينوقو على وشك الإقلاع فأسرعنا إلى الطائرة ولم تمض إلاَّ ربع ساعة في هذا المطار حتى صعدنا إلى الطائرة المسافرة إلى (اينوقو) وهي من طراز (M D. 91) أصغر من طائرة بوينغ ٧٣٧ التي قدمنا معها من (مادوغري).

ورايت في ركاب الطائرة عدداً من البيض من ذوي المظهر الأوروبي والسبب في ذلك هو وجود الحقول النفطية في الجنوب التي يعمل فيها عدد من المهندسين

والاختصاصيين من الأوروبيين ومن لف لفهم، وقال لي أحد الإخوة: إن عدداً من هؤلاء يعملون في التنصير لأن أغلبية السكان في الجنوب هم من المسيحيين.

وعندما أغلقت الطائرة بابها تكلم الطيار من مكبر الصوت وتدل نبرة حديثه على أنه أوروبي، فقال: إننا ننتظر الآن أن يخف المطر حتى نقلع، وكان المطر ينزل قليلاً والطائرة نفاثة، وإن لم تكن كبيرة، وإذاً يبدو لنا أن المطر لا يؤثر عليها، ثم انهمر المطر وحالما خف تحركت الطائرة والجو مظلم.

تحركت الطائرة من المدرج في التاسعة والثلث وأقلعت مباشرة إلى اينوقو وعندما نهضت تبادر إلى ذهني والطائرة تحلق في سماء (أبوجا) أن (أبوجا) منطقة أوروبية تائهة في قلب إفريقيا.

وتوجهت فور استوائها في الجو جهة الجنوب حيث مدينة (اينوقو) والأرض تحتنا خضراء معشبة ومشجرة خلاف ما كان عليه الحال أمس في (مادوغري) إلا أن الأرض كلها هي أشبه بالتلال الجبلية الخضر غير العالية توشحها في ضواحي أبوجا منازل حمر السقوف.

وقلت في نفسي: لقد اجتمع في بلاد الأيبو الخضرة و(السواد) وليس المراد بذلك سواد الآدميين، فذلك ما لا يحتاج إلى التنويه به في كل نيجيريا، بل في كل إفريقية ما خلف الصحراء وإنما المراد بذلك سواد الأرض من التفاف النبات بها وهو الذي من أجله سمى أسلافنا العرب أرض العراق بأنها أرض السواد أي أرض الخضرة الكثيفة، وذلك بالنسبة إلى بلاد نجد الصحراوية المغبرة (سواد) آخر محبب وهو سواد البترول، فهذه المنطقة هي منطقة النفط في نيجيريا وهي التي تدر عليها مقادير ضخمة من المال توزع منه على سائر ولايات البلاد.

ثم صارت الطائرة تطير فوق أراضٍ كثيرة الخضرة أكثر خضرتها خضرة غابات، وذلك عكس طبيعة الشمال الشرقي، الذي هو ولاية البرنو التي كنا فيها حتى صباح هذا اليوم والسحاب المنخفض يجلل الغابات، وهذه هي أرض (بيافرا) المزعومة التي ولدت ميتة.

وقصتها أن أهل جنوب نيجيريا عندما وصلها المستعمرون الإنكليز كانوا أهل وثنية ليس عندهم دين بخلاف الشمال الذي كانت فيه حكومة إسلامية نقية راقية وفيه علماء من علماء الدين وفقهائه وهي الدولة التي أنشأها الشيخ المجاهد (عثمان دان فودي) وبخلاف الغرب الذي فيه طائفة كبيرة من أهله مسلمون.

ولذلك حرص المنصرون الأوروبيون على أن يبقوا منطقة (الإيبو) هؤلاء منطقة نصرانية متميزة وعلموا طائفة من أهلها فيما فتحوه من مدارس مدنية فيها.

وهكذا كان الأمر عليه بعد الاستقلال، إلا أن ذلك لم يقنع الأوروبيين الذين كانوا أو كان بعضهم يؤملون أن يحكموا نيجيريا عن طريق زعمائها من النصارى الذين تعلموا في مدارس التنصير.

ورأوا أن ذلك لم يتحقق وإذا تحقق عن طريق تعيين رئيس نصراني من النيجيريين فإنه لا يستطيع أن ينفذ كل ما أراد وأرادو له المنصرون فرأوا أن تستقل بلاد (الإيبو) التي هي بلاد جنوبي نيجيريا تلك البلاد الغنية بالمعادن وفيها منابع النفط، وقد أعلن أهل الجنوب جمهورية بلادهم أسموها (بيافرا) وساندتهم في هذا الإعلان جهات دولية نافذة مثل الفاتيكان ومثل فرنسا في عهد الجنرال ديقول، وأمدوهم بأسلحة وأموال، ولكن ذلك لم يفدهم شيئاً حيث جاءهم

الجيش النيجيري الذي كان معظم جنوده من (الهوسا) المسلمين أهل الشمال فقضوا على قوة (بيافرا) الانفصالية وأصابوا بالفشل جهود من ساعدوهم وعادت جنوب نيجيريا أو (بيافرا) إلى حظيرة نيجيريا الأم حتى الآن.

وقد لاحظت وجود المنازل والقرى في منطقة الغابات الخضراء التي تحت الطائرة، ثم وصلنا إلى منطقة من مناطق الغابات فيها منازل متفرقة.

ثم وصلت الطائرة إلى ما فوق ضواحي مدينة (اينوقو) وبدت شوارع فيها كثيرة ترابية خالية من الزفت، وسقوفها من صفائح الزنك الصدئ.

بلاد الإيبو

قال الشيخ آدم عبدالله الألوري وهو من علماء نيجيريا:

أصل السكان:

حاول المؤرخون عبثاً أن يعرفوا السكان الأولين لهذه البلاد النجيرية قبل الزنوج الذين اختلف المؤرخون في موطنهم الأصلي وفي تاريخ هجرتهم إلى هذه البلاد، ولكن الذي عرف هو هجرات الساميين والحاميين التي تتابعت من آسيا إلى إفريقيا ومن شمال إفريقيا إلى غربها، منذ آلاف السنين والتي حصلت لأسباب مختلفة منها السعي وراء العيش ومنها الفرار من هجمات العدو إلى حيث الأمن والسلام ومنها... ومنها...

وكان المهاجرون الجدد يهاجمون الأولين ويجلونهم من أماكنهم ليحتلوها بدورهم فيفر أولئك إلى الغابات والسواحل حيث يجدون التربة خصبة ويأمنون على أنفسهم من غارات المستعمرين المهاجمين.

وانحدرت قبائل نيجيريا الحاضرة من أجناس مختلفة بعضهم من الذين استعمروا شمال إفريقيا وطرفاً من غربها كالفينيقيين والقرطاجنيين والروم والعرب والبربر.

وبعضهم من المصريين والأحباش والنوبيين والبنتوس ومن هذه الأمم نشأت قبائل نيجيريا المختلفة وتزاوجت مع بعضها واختلطت حتى صعب على المؤرخين ارجاعها إلى أصولها الأولى إلا بشيء من آثار اللغات والعادات والتقاليد وذلك لعدم انتشار الكتابة وانمحاء مخلفاتهم من توالي الحروب ومن كثرة التنقلات ومرور الأجيال المتعاقبة.

وقد ترك بعض العلماء المسلمين نتفاً من الكتب العربية التي أصبحت مرجعاً للتاريخ القديم للإقليم الشمالي ولكنها غير عميقة البحث ولا بعيدة المدى.

وليس للإقليم الغربي تاريخ مدون إلا ما جاء عرضاً في أثناء تاريخ الشمال ولا نصيب لكل ذلك من التمحيص والغربلة الفلسفية.

أما الإقليم الشرقي وهو إقليم الإيبو فكل ما صار له من التاريخ فمن بعد الاحتلال البريطاني حيث كتب عنه الإفرنج ضمن تاريخ هذه البلاد وأخبار ملوكها ورجالها الحديثة فصارت كتبهم مرجعاً لتاريخ البلاد العام.

انتهى، من كتاب (موجز تاريخ نيجيريا).

هبطت الطائرة في مطار (اينوقو) في العاشرة ودقيقتين بعد طيران لم يزد على ٣٧ دقيقة، وكنت في غاية السرور لوصولي إلى هذه المنطقة لأول مرة التي كنت تمنيت ولا أزال أتمنى الوصول إليها، ولم يكن يكدر فرحي بالوصول إليها إلا ما ذكره لنا كثير من الناس من اضطراب حبل الأمن فيها وبخاصة للرجل الغريب الذي يخالف لونه لون أهل البلاد، ليس ذلك لسبب عنصري، وإنما لاعتقادهم أنه جاء ليساعد الحكومة ورجالها على استخراج النفط والمعادن التي يرون أنها تستخرج من بلادهم ولكن لا يكون لهم كبير حظٍّ فيها كما يقولون.

ورأيت مدارج المطار والمنطقة القريبة منها ذات خضرة كثيفة أكثر من أبوجا والأرض ذات أعشاب ملتفة خلفها أشجار الغابات والسماء غائمة، وقد جاءوا بأمتعة الركاب على سيارة أوقفوها عند مكان مرتفع في مدخل المبنى وكل شخص يأخذ متاعه بعد إبراز بطاقة الامتعة إلا من تأخر عن ذلك فإن عمالهم ينزلونه إلى مكان يرتفع نحو متر فيأخذه أصحابه.

مشكلة الموعد:

سور المركز الإسلامي ومنارة مسجده الشامخة

لم نكن على يقين من وصولنا اليوم إلى اينوقو، وكنا اتفقنا مع مدير مركز (أنوفيا) الإسلامي التابع للرابطة وهو الشيخ (ماما عثمان ماندو) وماما على لفظ (ماما) بمعنى أم اختصار لاسم (مامادو) التي تعني باصطلاحهم (محمد) وكان الشيخ (ماما) قدزارنا في أبوجا قبل سفرنا إلى (مادوغري) واتفقنا معه على أن موعد الزيارة سيكون يوم الاثنين- هذا اليوم- ولكننا لم نكن قد تيقنا من أن نصل في الموعد لأننا كنا واعدناه على اعتبار أننا سنعود إلى (أبوجا) في صباح الأحد ونبقى فيها حتى صباح الاثنين حيث نذهب إليهم في (أنوفيا) ولكن تبين أنه لا توجد طائرة تقوم من (مادوغري) يوم الأحد كما تقدم.

والموضوع ليس مجرد موضوع زيارة وإنما أخبرته أنني سأتبرع من عندي وليس من عند الرابطة بغداء لجميع المنتسبين للمركز من أساتذة وطلاب وموظفين، وكذلك من الموظفين الحكوميين الذين ذكر لي أنهم سيحضرون،

ومنهم رئيس الأمن العام في الولاية، وذلك للإشراف على الأمن وبخاصة الحرص على تأمين (سلامتي) ومن ذلك أن حاكم الولاية قد استعد لأن يرسل إليَّ سيارته الخاصة المكيفة الهواء ويرسل معها سيارتي حراسة مليئة بالجنود المدججين بالسلاح إحداهما تتقدم السيارة التي أكون فيها والثانية تتبعها مع وجود جندي مسلح شاهراً سلاحه يكون خلفي في السيارة نفسها التي أركب فيها.

رجال الأمن يترقبون وصول المؤلف إلى المركز الإسلامي في أنوفيا

كما أخبرني أنه سوف يحضر الاحتفال سلاطين من المنطقة من مسلمين وغير مسلمين، وسيكون الوصول والاحتفال ظهراً، وليس من اللائق أن ينتظرنا هؤلاء ثم يبقوا من دون غداء، وحتى لو تجاوزنا هذا فإن إدارة المركز ستصنع لنا غداء لا يمكن لي أن أتركهم ينفقون عليه فاقترحت عليه أن أدفع من

عندي ما يكفي لغداء الجميع وقد ذكر هو والدكتور فضل خلود أنه يكفي لذلك سبع ذبائح وما يتبعها من الدجاج والأرز.

وقدروا نفقة ذلك بألف دولار دفعتها لهم نقداً معجلاً.

ولكن المشكلة هي أن الذبائح تحتاج إلى ذبح وإعداد ومن ذلك أن يعرفوا موعد وصولنا في وقت مبكر.

جانب من أروقة المركز الإسلامي

وقد هتف به الدكتور فضل خلود عندما دخلنا الطائرة في مطار أبوجا متوجهين إلى (ينوقو) فأبدى تخوفه من ضيق الوقت.

لم نجد أحداً في استقبالنا في المطار وذلك لكون مدير المركز مشغولاً بالإعداد بالاحتفال سواء من حيث تنظيم ذلك والقاء الخطب أو من حيث إعداد المأدبة وهو في بلدة (أنوفيا) التي تبعد عن (اينوقو) ١٧٤ كيلومتراً.

قلت للدكتور خلود: إنه يستحسن أن نستأجر فوراً سيارة مكيفة، فاعتذر بأن هذا صعب ثم خرج ولم يعد.

وبقينا في (الصالون) من دون فائدة، وبعد أكثر من ساعة دخل علينا ثلاثة يزمجرون ويقولون: إنا عرفنا بموعد وصول طائرتكم، ولكننا لم نركم مع الركاب الواصلين، وهذا صحيح لأننا كنا في صالون المطار في الداخل.

وقالوا: معنا ثلاث سيارات قوية إحداها جيب ويسوق بها صاحبها الشيخ (آدم...) وكلنا من (الايبو) سكان المنطقة فقلت معكم ولكن الدكتور فضل اعترض بأن الشيخ ذهب يسعى لنا بسيارة فقلت له: كلمه بالهاتف، ومعه هاتف كلمنا منه قبل قليل.

إلى أنوفيا:

صورة تذكارية مع سكرتير حاكم ولاية ايبوني

في نحو الحادية عشرة والنصف غادرنا مدينة اينوقو قاصدين بلدة (أنوفيا) التي فيها المركز الإسلامي الذي تملكه وتديره رابطة العالم الإسلامي.

ركبت مع الأخ الشيخ آدم عبدالله دبكو وهو من الأيبو ولكنه ضخم الجسم على خلاف سائر الأيبو، والأهم من ذلك أنه يعرف العربية جيداً، فقد تخرج في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة وتعاقدت معه وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف في بلادنا للدعوة إلى الله في منطقة الإيبو، ولكنه ذكر لي أنه يعمل في جامعة نيجيريا في انسوكا في جنوب نيجيريا.

وجدت أن الهواء بارد لأن المطر كان ينزل رذاذاً والهواء بارد لوجود سحاب وقد وقف المطر قبل وقت قصير.

كنت أتأمل شوارع (اينوقو) التي مررنا بها فوجدتها على خلاف ما كنت أظنه، إذْ تخيلت قبل أن أراها أن تكون منطقة راقية خالية من القمائم، فإذا بي أجدها لا تختلف في شيء من ذلك عن مدينة (مادوغري) التي قدمنا منها هذا الصباح إلا فيما يتعلق بالجو الماطر والهواء الرطب البارد، وإلا في الخضرة الأكثر شمولاً.

ولم يكن الوقت يسمح بإجراء بحث جدي في أحوال المسلمين في هذه المنطقة ولكن الشيخ آدم بدأ الحديث بقوله: المسيحيون يأتون هنا لتفقد أحوال أهل دينهم، أما المسلمون فلا يأتي منهم أحد.

وهذا وجدته صحيحاً لأن الملحق الديني في (أبوجا) وهو مدير مكتب الدعوة فيها لم يزر هذه المنطقة مع أنها لا تبعد عن أبوجا إلا بأقل من ٤٠ دقيقة بالطائرة ولوزارة الشئون الإسلامية فيها دعاة، وقد أخبرته بعد ذلك بملاحظتي فذكر أنه سوف يزورها في أقرب فرصة تسنح.

وكان معنا الشيخ سليمان أوكانتو وهو من الإيبو أيضاً ذكر لنا أنه سكرتير الجمعية الإسلامية في منطقة الأيبو في نيجيريا الشرقية وطلب المساعدة لجمعيته ولكنني عندما باحثته عنها بعد ذلك ذكر أنها ليست في مدينة أينوقو، وإنما هي في مدينة أخرى اضطرب عندما سألته عن اسمها، وقال: لا يمكنكم زيارتكم لها والرجوع بسرعة.

ومعنا أيضاً الشيخ (هارون أوقبونيا آجا) وهو أيضاً تخرج من الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة ويعمل داعية إلى الله في منطقة (الإيبو) هذه متعاقداً مع وزارة الشئون الإسلامية في المملكة وهو من الإيبو أيضاً.

سرنا في طريق أخضر كل ما فيه يشعرك بأنه كان منطقة غابات، ملتفة فقطعت بعض أشجاره لتفسح الطريق لعمارته ولا تزال بقايا من الأشجار الكبيرة فيها.

ورأيت الزراعة هنا مزدهرة وإن لم تكن واسعة المساحات فذكروا أن الزراعة هنا هي الكسافا واليام..

ومع هذا الخصب الظاهر فكل شيء تراه من الآدميين وما يستخدمونه من المركبات ونحوها يشعرك بالبؤس وضعف الحال، حتى إن السيارات التي تسير على الطريق أو تكون واقفة حوله أكثرها صدئة وسيئة الطلاء، أو أصابته كسور أو صدمات لم تصلح.

أما الطريق فإنه واحد للسيارات المتقابلة، ولكنه جيد تبين بعد ذلك أن جودته إلى حين، إذْ فسد بعد ذلك بنحو خمسين كيلو، وكثرت فيه القطوع والحفر.

وما شبهت هذا الطريق إلا بطرق زوسيا الاتحادية في المدن والقرى البعيدة عن موسكو العاصمة مع الفارق بين الفريقين في المسافة واللون، فالتقصير وعدمه لا لون له، بل فعل يصدر عن أشخاص لا يبالون أو لا يخافون من أحدوليست لديهم إمكانات لتحسين الوضع.

حواجز من أجلي:

مررنا بحاجز لجنود عسكريين لا أدري أهم تابعون للأمن العام أو للجيش، وقد وضعوا على الطريق حواجز من جذوع الأشجار التي قطعوها- فيما يظهر- من أشجار قريبة لهذه المناسبة وعرضوها على جانبي الطريق متخالفين أحدهما يغلق الطريق مما يلي الآخر، فيضطر سائق السيارة أن يتوقف وهنا يفحصه الجنود بسيارته وقد يطلعون على أوراقه ثم يتركونه يمر.

رجال الأمن الذين رافقوا المؤلف ومرافقيه وبعض زعماء المنطقة في المركز الإسلامي في أنوفيا

وبعد قليل وصلنا حاجزاً آخر.

وقال القوم: كل هذا من أجلك ولمناسبة قدومكم والاحتفال في أنوفيا، وسوف تستمر هذه الحواجز حتى نصل إلى أنوفيا.

ثم قابلنا بعد أن قطعنا نحو ٤٠ كيلو من الطريق الذي يبلغ ١٧٤ كيلومتراً سيارات عسكرية ومعها سيارة مدنية أوقفوا سيارتنا وجاءنا مدير المركز الشيخ (ماما..) وقال: هذه سيارة حاكم الولاية أرسلها لتركب فيها فهي مكيفة ومعها هذه الحراسة المواكبة لها، إلى جانب الحواجز الأمنية الموجودة على الطريق كل ذلك ابتغاء الأمن لمناسبة قدومك.

استمر الطريق الأخضر فكان أكثر الأشجار فيه ظهوراً نخيل الزيت التي تشبه نخيل التمر على البعد ولكنها أقل رشاقة فهي أشبه بالفَحَّال الذي هو الذكر من النخل، والزيت الذي يخرج منه يستعمل في الطعام ويدخل - أيضاً- في عدة صناعات منها زيوت الطائرات.

وهناك أيضاً أشجار وحشية وإن شئت الدقة قلت: برية، لأنها لم تغرس وإنما هي نامية من طبيعتها.

ورأيت على الطريق عشة صغيرة حقيرة بجانبها جندي شاهر سلاحه كأنما يراقب الطريق وهذه المنطقة هي من حيث المناظر الطبيعية من أجمل ما رأيت في نيجيريا.

فالأرض مفروشة ببساط أخضر وإذا وجد قطع في الأرض أوحفر ظهرت منه التربة ذهبية جميلة.

فقد اجتمع فيها الماء والخضرة والوجه اللامع.

بلدة ايزيلو:

وصل الطريق إلى بلدة غير كبيرة اسمها (إيزيلو) وتقع في ولاية (ايبوني) وتلاحظ أننا انتقلنا من ولاية إلى أخرى من دون أن نرى تغييراً في المناظر أو علامة من علامات من حدود الولايات وربما كان ذلك لعدم انتباهي له.

ثم وصلنا إلى بلدة إزانفبو) على الطريق فرأيت فيه نساء يحملن بعض الأشياء على رووسهن، كما تفعل الإفريقيات الأخريات، ذكروا أن حاكم (ايقوني) السابق كان من هذه المدينة.

وقد تعددت حواجز الأمن على الطريق فكانوا يوقفون سيارتنا لدقيقة أو نحوها وأحياناً لا يوقفونها أبداً، وكان معنا في الموكب سبع سيارات فكانوا يأذنون لها بالمرور من دون إيقاف.

ومررنا بقرية كان أهم السلع التي يبيعها أهلها بمعنى يعرضونها للبيع على الطريق هي الحطب المعد للوقود، ويكون في الغالب من أشجار كبيرة كسرت إلى قطع صغيرة متساوية وربطت بحبل.

وهذا شبيه بما كان موجوداً في طرقنا في القديم ونسي الآن إذْ كان الناس قبل وجود غاز الطبخ عندنا يوقدون النار بالحطب لطعامهم، فكان توجد في محطات طرق السيارات بين الحجاز ونجد مقادير من الحطب مربوطة بحبل، ومتروكة هكذايشتريها الناس أو يشترون منها ما يريدون.

ومررنا بعد (ايزانقبو) بمدرسة ثانوية لحكومة الولاية فذكروا أن الذي يدرس في هذه المدرسة الحكومية لابد له من أن يدفع نقوداً حتى يستطيع ذلك.

ولاحظت أن الزراعة في المنطقة ضيقة رغم الإمكانات المتوفرة لذلك من المياه والأراضي المستوية واليد العاملة، بل رأيت بعض الأراضي معطلة بجانب أراض زراعية جيدة.

ثم وصلنا إلى حاجز لرجال الأمن أو الجيش ليس من جذوع الأشجار الكبيرة المعترضة، وإنما هو من أربعة (براميل) كبيرة ثقيلة لأنها مملوءة بمادة لا أعرفها، ربما كانت من التراب أو الحصا وهي موضوعة على غير نظام في الطريق فيضطر قادة السيارات أن يتمهلوا عندها فيوقفهم رجال الأمن.

بلدة أباكا ليكي:

وصلنا بلدة (ابا كاليكي) وقد اشتد المطر عندها وأظلم الجو.

ومعظم منازلها كالبلدتين السابقتين منازلها ليست على الطريق وإنما داخلة عنه، وفيها قسم على الطريق الذي نسير عليه.

ومع ذلك استمر سيرنا فيها بعض الوقت، ورأيت أكواماً من القمامة على حاشية شارعها بعضها يحرق وبعضها متروك مثلما عليه الحال في مدينة (مادوغري).

هذا وقد تكاثف السحاب وتلبد في الجو وذكروا أن موسم المطر هنا يمتد لثمانية أشهر.

وقال أحد المرافقين بهذه المناسبة: إن الناس فقراء ولا يستطيعون أن يستفيدوا من الإمكانات الموجودة في الزراعة إلا استفادة محلية.

بلدة آبوميفي:

وصلنا إلى بلدة غير كبيرة اسمها (ابوميفي) راينا المشاة على الطريق عندها أي قبلها وبعدها كثر فيهم بالغون وفيهم صبيان.

وكثرت نخيل الزيت ومن الغريب أنني لم أر أشجار موز مهمة ولا أشجار نارجيل، مع أن مثل هذه المنطقة الرطبة غير البعيدة من خط الاستواء هي التي تصلح لهذه الأشجار.

ثم مررنا بنهر (أبوها) وهو أول نهر نراه هنا وعليه جسر فيه جنود حراسة تحدثوا مع الذين معنا ولم نقف عندهم.

وقد كثرت القطوع في الطريق بعده بمعنى وجود ما يشبه الحفر المستطيلة الضيقة فيه.

مدينة أتيكو:

مررنا بمدينة اسمها (اتيكو) يؤلف المسلمون فيها أقلية قليلة لا بتعدى ٥% ومع ذلك فيها لهم مسجدان.

مبنى الرابطة:

والمراد بها رابطة العالم الإسلامي وهو مبنى جيد ذكروا أن المسلمين المحليين جمعوا نقوداً من التبرعات فيما بينهم وبنوه واسموه (مبنى رابطة العالم الإسلامي).

وسألت نفسي عن قول الرابطة بمثل هذه التبرعات؟ أو لنقل عن حاجتها للتبرع من الإخوة المسلمين المحليين وهي غنية تستطيع أن تشتري ما تشاء هنا وفي غير هذه المنطقة من نيجيريا.

ورأينا طائفة عند مبنى الرابطة هذا فيهم رجال ونساء قد اصطفوا ذكر الإخوة المرافقون أنهم وقفوا هكذا ترحيباً وفرحاً بمقدمنا.

وذكر المسئولون عن مبنى الرابطة هذا أنه يحتاج إلى بعض التعمير لكي يكون مركزاً متكاملاً فيه مسجد وقاعة للطلاب، وأنه الآن مؤجر على فرع لأحد البنوك.

وذكروا أن فيه مسجداً لم يكتمل بناؤه.

ثم مررنا بأرض واسعة ذكروا أنها (أرض رابطة العالم الإسلامي) عليها لافتة توضح ذلك ذكر المرافقون أن فيها مزرعة وملعباً رياضياً يستعمل الآن.

هذه أنوفيا:

في الساعة الثانية والنصف كنا نصل هدفنا وهو مدينة (أنوفيا) التي فيها المركز العظيم لرابطة العالم الإسلامي.

جانب من الفصول الدراسية في المركز الإسلامي في أنوفيا

فوجئت بأن صفاً من الجنود أُقدر عددهم بعشرين قد انقسموا إلى قسمين كل قسم صف في ناحية من المدخل عند البوابة الخارجية للمركز.

وكل هؤلاء الجنود جاءوا إلى المركز للمحافظة على النظام وعلى سلامة الضيوف الأجانب كما يسموننا يريدون وفد الرابطة.

وهذا مظهر من مظاهر الاهتمام بسلامة وفد الرابطة والعناية بذلك في هذه المنطقة المضطربة من جنوب نيجريا.

قصدوا بنا رأساً إلى مكتب واسع في الإدارة حجزوا مدخله عن أن يدخل معه إلا عدد محدود من كبار القوم والعاملين في الحقل الإسلامي.

بادر الأخ الشيخ (ماما عثمان محمد) نائب رئيس المركز، بل هو رئيس المركز بالنيابة لأنه لا يوجد الآن مدير غيره قال في كلمته:

رجال الأمن الذين جاءوا لاستقبال المؤلف يستمعون إلى كلمته

مرحباً بكم في بيتكم ومركزكم.

فألقيت كلمة شكرته فيها وشكرت مساعديه والعاملين في المركز وشكرت حاكم الولاية التي يقع فيها المركز على عنايته البالغة بتوفير الأمن لنا، ومن ذلك ما رأيناه من الحواجز الأمنية في الطريق، وكذلك اعطاؤه لنا سيارته مصحوبة بسيارتي حراسة مسلحة، ثم شكرت شعب المنطقة قائلاً: إن هذا الشعب الكريم قد وفر الحماية للمركز الإسلامي وما حوله رغم كون المسلمين أقلية في المنطقة.

وقلت: إن الإخوة المسلمين أخبرونا بالموقف النبيل الذي يقفه حاكم المنطقة وشعبها مع الإخوة المسلمين هنا بخاصة العاملين في المركز الإسلامي.

وقلت: إننا سوف نبلغ حكومتنا بجهود حاكم المنطقة العظيمة التي بذلها في هذا الصدد.

المؤلف يلقي كلمته داخل المركز الإسلامي في أنوفيا حوله جمهور من الأساتذة والطلاب

وبعد ذلك ألقى أحد دعاة الرابطة كلمة شكر وشكوى مريرة من تأخر رواتب الدعاة، حتى إن بعضها مضت عليه سنة أو نحوها لم تصرف لهم، وقال أحدهم: لقد تبلغت أمراً من المحكمة بالخروج من بيتي الذي اسكن فيه أنا وأولادي لكوني لم أدفع إيجاره، وقال: كنت اقترضت ودفعت الأجرة ثم اقترضت حتى لا أجد من يقرضني.

كانت كلمته بالعربية مثل كلمتي والجميع من دعاة وإداريين يفهمون ذلك.

ثم ألقى شخص آخر كلمة أخرى بهذا المعنى عقب عليها مدير مكتب الرابطة في نيجيريا الدكتور فضل خلود بقوله: لقد أحضر فلان- يقصدني- معه ميزانية المركز فصفقوا لذلك وكبر بعضهم.

وهذا الذي ذكره صحيح فقد أحضرت معي كامل ميزانية المركز المتأخرة في الرابطة التي تصل إلى مائة وثلاثين ألف دولار، ولكن رواتب الدعاة لم أحضرها مع حرصي على ذلك بسبب أجراء شكلي، إذْ ذكر المسئولون في الإدارة المالية في الرابطة أنه لابد من أن تسجل عليَّ تلك المبالغ الكبيرة سلفة لا تزال إلا إذا اثبت أنني دفعت رواتب الدعاة إليهم جميعهم، وقالوا هذا هو النظام المعمول به في الرابطة.

فقلت لهم: إنني أقبل أن أتسلمها وأعطيهم تسلماً رسمياً بذلك على أن أدفعها لمدير مكتب الرابطة في أبوجا مجتمعة يصرفها للدعاة ثم يوافي الرابطة بالإيصالات اللازمة لأن صرف رواتب الدعاة وهم متفرقون في أنحاء نيجيريا أمر فيه صعوبة، بل هو مستحيل لمثلي، إذْ لا يمكن لي أن أتجول في أنحاء نيجيريا المضطربة حاملاً معي رواتب الدعاة، ولا يمكن أن يتسع وقتي ووقت

الذي معي في الوفد وهو الأستاذ محمد بن أحمد الحساني مدير المكاتب والمراكز في الخارج لذلك.

المؤلف يستمع إلى كلمة أحد الزعماء الكبار في بلدة أنوفيا

ورايت الأمين العام للرابطة يساند الإدارة في وجوب أن أدفع رواتب الدعاة لهم في أماكنهم فرفضت ذلك، وبقي الدعاة بعوزهم وحاجتهم، مع وجود رواتبهم مجمدة في مالية الرابطة في مكة.

جولة في المركز الإسلامي:

لم أكن اتصور أن المركز الإسلامي في (أنوفيا) بهذه السعة والفخامة.

إذْ قمنا بمرافقة الآخرين وعلى رأسهم الشيخ (ماما عثمان ماندو) بجولة على أقسام المركز القصد منها إطلاعي على كل ما في المركز، ومع ذلك الشكوى من بعض القصور فيه، إذْ اطلعوني على سيارات قديمة اشتريت قبل

ثلاثين سنة، وتكرر إصلاحها والإنفاق عليها حتى أصبح الإصلاح فيها لا يجدي، وطلبوا إبدالها بجديدة وهي ثلاث حافلتان وسيارة ركوب واسعة، ومن ذلك أن أروني مولداً كهربائياً كان يوفر الكهرباء للمركز في الليل، وكان يرفع الماء من بئر كبيرة هناك للمركز ولبعض جيرانه، وذكروا أن هذا المولد متعطل لأنه مضت عليه خمس عشرة سنة ولم يمكنهم إصلاحه.

فقلت: إنه ضروري للمركز ويمكنكم أن تشتروا بديلاً له تصرفون ثمنه من مصروفات المركز وتكتبون للرابطة لترسل لكم ثمنه وتذكرون أن ذلك كان بناء على أمري.

ساحة في المركز الإسلامي في أنوفيا

ثم اطلعنا على بعض فصول الدراسة للبنين والبنات ثم رأينا مسجد المركز واسعاً قد صفوا فيه صفوفاً من الطلبة ألقى أحدهم كلمة بالعربية كان

إلقاؤه جيداً، ولكنه قال جملة مؤثرة وهي أنهم لا يستطيعون أن يطالعوا دروسهم بعد غروب الشمس لأنه لا يوجد كهرباء في المركز فرددت عليه بكلمة وعدتهم وعداً حسناً بالنظر بالنسبة إلى إيجاد مولد كهربائي جديد.

ثم وقفنا على تجمع للطالبات فألقيت عليهن تحية عجلى، ومعي عدد من موظفي المركز وغيرهم.

حفلة الأهالي:

بعد ذلك ذهبنا إلى قاعة واسعة نظموا فيها احتفالاً أسموه (احتفال الأهالي في بلدة أنوفيا) التي يقع فيها المركز.

فالقى رئيس القرية كلمة بالإنكليزية رددت عليه بكلمة مناسبة وهذه ترجمة لكلمته:

القائل إف. أوكباني، الرئيس العام لاتحاد مدينة إنوهيا إتيم، منطقة أفيكو الشمالية، ولاية إيبوني، نيجيريا.

المرسل إليه معالي الشيخ محمد بن ناصر العبودي الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي، مع أنه ألقى كلامه مشافهة أمامي.

الموضوع: كلمة الترحيب التي ألقاها إف. أوكياني الرئيس العام لاتحاد مدينة أنوهيا إتيم بمناسبة زيارة وفد الرابطة للمركز الإسلامي بمدينة إنوهيا إتيم في ١٥ مايو ٢٠٠٦.

المؤلف يلقي كلمة أخرى أمام الجموع

الترجمة:

يسرني أن أرحب بالزائرين الكريمين (معالي الشيخ محمد بن ناصر العبودي وسعادة الأستاذ محمد أحمد الحساني) لجماعة إنوهيا إتيم الإسلامية في منطقة أفيكو، بولاية إيوني بنيجيريا التي يطلق عليها سلة السمك.

عندما استرجع التاريخ نتذكر أن تاريخ إنشاء المركز الإسلامي يعود إلى ثمان وأربعين سنة (٤٨) عندما وجه القائد الأسطوري الشيخ استراهيم أوكياني انويقي (طيب الله ثراه) أفراد فريق الدعاة المسلمين النشطين الذي كان يترأسه بالانتشار السريع مثل الجنود عارضين على الناس نور الإسلام الأبلج، وبما أن أهل أفيكو- نساء ورجالاً- يعشقون الموسيقى فلقد عمد أفراد فريق الدعاة الذي كان يقدم الدعوة الإسلامية للناس عبر قصائد إسلامية موسيقية مراعاة لحالهم وميل أنفسهم للموسيقى التي جبلت عليها، وكان النشاط الدعوي عملاً كبيراً إذْ

لم تمض أشهر قلائل حتى هجر أكثر من ٩٠% من أهل البلاد دياناتهم السابقة ودخلوا في الإسلام زرافات ووحداناً، وأحرقت كل الأماكن التي كانت تعبد فيها الأصنام ودمرت، بيد أن الأهم من ذلك هو أن المكان الذي يلقن فيه الناس مبادئ الدين والذي يحظى بتوفير كبير وما اشتمل عليه من أصنام هدمت هدماً وأحرق تماماً أيضاً، ونتيجة لذلك اعتبرت الجماعات المختلفة في الحكومة المحلية في أفيكوا تدنيس دور العبادة تجديفاً بآلتهم وسباً لها وتحقيراً لها، وقاموا بمحاولات لشن هجوم على جماعتنا التي وافقت على تدنيس دور تلقين دين الأصنام، لكن رغم تلك التهديدات ظل أفراد جماعتنا صامدين ووقفوا بحزم وقوة إلى جانب ابنهم الداعية المسلم (الشيخ استراهيم أوكياني انويقي) ومادعا إليه من دين جديد حق، وللتعبير عن دعمهم الصادق لابنهم فلقد تبرعوا له بقطع الأرض التي يقف عليها حالياً مبنى المركز الذي يضم المسجد والمكاتب.

الجولة في المركز الإسلامي في أنوفيا

العلاقة بين الجماعة والمركز الإسلامي:

كانت العلاقة بين الجماعة والمركز الإسلامي طيبة ولم تزل كذلك إذْ تعتبر الجماعة المركز إحدى القرى المكونة لها، ولذلك كانت هنالك علاقة سلمية وتكافلية بين مجموعة المركز وأفراد الجماعة، وذلك من أجل تحيقيق المنفعة المشتركة للجانبين، وفضلاً عن ذلك فلقد أفاد أبناؤنا من نظام التعليم المجاني وأسلوب الإدارة الذي اتبعه مدير المركز الشيخ عثمان ماما، الذي حببه لقلوب أفراد الجماعة بالمنطقة التزامه بخط الجماعة العام التي تنوي قريباً أن تمنحه لقب (شيخ المنطقة) لأنها تعتبره أحد أبنائها المتميزين.

شكر رابطة العالم الإسلامي (الرابطة):

نود أن ننتهز هذه الفرصة الثمينة لنشكر الرابطة على ما قدمته من إسهامات لرفع المستوى التعليمي والديني لأبنائنا، إذ نظام التعليم المجاني الذي اتبعته الرابطة في المركز شجع أبناء الفقراء والأغنياء على السواء على تلقي التعليم الجيد، وكان أداء خريجي كلية المركز فخراً للجماعة إذْ أنهم حققوا مراكز متقدمة في الاختبارات التنافسية العامة وفازوا بالجوائز والميداليات، وأصبح بعضهم أطباء ومهندسين وأئمة مساجد وضباط في الجيش والشرطة، وتم كل ذلك بفضل الله ثم بفضل الصبغة الدينية للمنهج.

مطالب الجماعة:

ضيوفنا الأفاضل: إن المدرسة الثانوية الإسلامية قد نمت فعلاً ولهذا نطلب من الرابطة والمملكة العربية السعودية توسيع المدرسة ورفع مستواها لتصبح كلية تمنح الطلاب درجة الدبلوم.

إلى جانب مدير مركز الرابطة ماما عثمان ماندو مع المؤلف يتفقدان سير العمل في المركز الإسلامي

وبحكم مسؤوليتي الاجتماعية التي تشترك معي فيها الرابطة تجاه الجماعة نطلب أيضاً من الرابطة والمملكة العربية السعودية بلد الكرم والسخاء أن تنشئ مشروع تنقية مياه إقليمي في إنوهية فيتم من أجل إيقاف تفشي الأمراض التي تحملها المياه، علماً بأن ذلك سيكون عملاً تذكارياً لهذه الزيارة التاريخية التي وقعت في مايو ٢٠٠٦.

نشكركم شكراً عظيماً للزيارة، ونأمل أن تتكرر سنوياً، كما نبتهل إلي الله أن تعودوا سالمين إلى بلادكم.

انتهى.

ثم ألقى شخص أخر من الأهالي كلمة بلغة الأيبو ألقيتُ بعد ذلك كلمة مبسوطة ترجمها إلى لغة الأيبو الشيخ (داود انقوي) وقد عجبت من حروف تلك

اللغة ومن مخارج الكلمات فيها والشيخ داود فصيح بالعربية لأنه ترجم الكلمة التي ألقيت بلغة الأيبو إلى العربية ترجمة صحيحة، بل فصيحة وكان تعلم العربية في ليبيا.

ثم انتقلنا إلى مكان آخر في احتفال أخر رأسه الجنود والضباط الذين حضروا إلى المركز الإسلامي لمناسبة زيارتنا لضبط الأمن وتكلم أحدهم بكلمة مختصرة شكرته على ما جاء فيها ثم عاودنا بعد ذلك التجول في هذا المركز الواسع فصعدنا إلى الطابق الثاني حيث دخلنا أحد الفصول الدراسية الذي كان يعمل أي أن الأستاذ فيه يدرس تلاميذه.

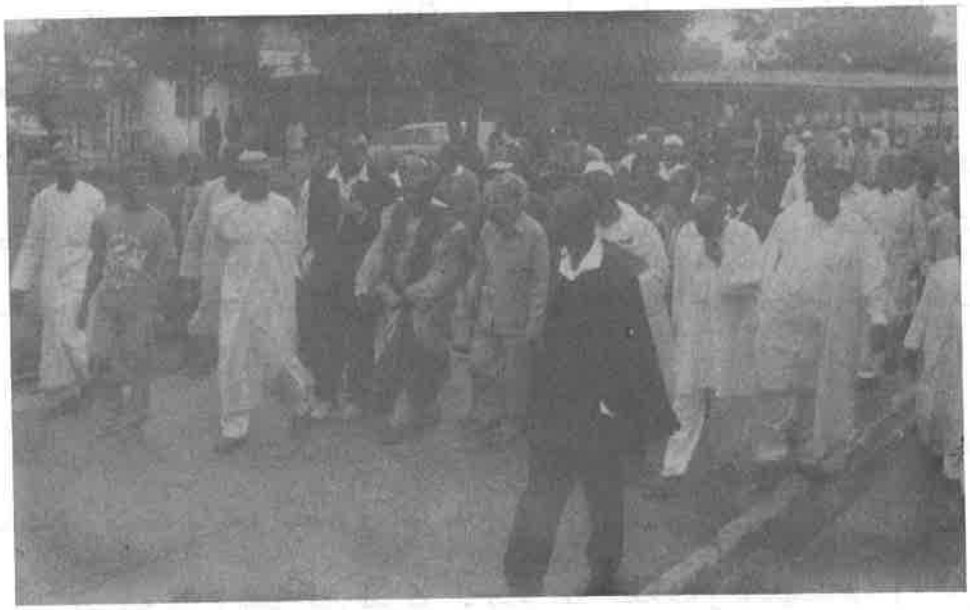

المؤلف في جولة في المركز الإسلامي
مع زعماء المنظمة والمدرسين والطلاب

ووجدت الفصول واسعة على الطريقة العصرية الجيدة التي تتوفر فيها التهوية والنور وفي الطابق الثاني أقسام الطالبات وهي كثيرة الغرف.

مأدبة الغداء:

عدنا إلى القاعة التي كنا فيها أول الأمر وسماها بعضهم قاعة الإدارة فجلسنا فيها قليلاً مع علية القوم ومنهم رئيس القرية وهو مسلم ومدير الأمن العام فيها وهو غير مسلم.

ثم جاءوا بالطعام وافر الكم جيد الطبخ والإعداد عماده الأرز ولحم الغنم اللذيذ وفيه المرق والخضرات والدجاج، وبعد ذلك الفاكهة المستوردة ما عدا الموز فهو محلي.

وكان الشراب من عصير الفاكهة ومن ماء معدني صحي معبأ في قوارير اطمأننت على نظافته في (أبوجا) بعد أن عرفت ذلك ممن يعرفون حقيقته.

وبعد الغداء عدنا إلى الجولة في المركز الإسلامي لاستكمال رؤيته وهو جدير بذلك لسعته وتباعد أقسامه وأهم ما يتعب في هذه الجولة أن أرضه ليست مستوية في طبيعتها لأنها في سفح تلة غير عالية أو قل إنها في ذيل مكان مرتفع قليل الارتفاع.

ولم أرهم يبالون بتسهيل السير مع الممرات فبعضها فيه درج مرتفع أو منخفض وبعضها غير متساوي الارتفاع.

هذا مع كثرة الذين في المركز إذْ يبلغ عدد الطلاب والطالبات فيه (٨٢٠) ومررنا بمجموعة من الطلاب فألقى أحدهم كلمة بموجب ترتيب سبق من الإدارة تضمنت كلمته الترحيب ومعه طلبات للطلبة أهمها أنهم يريدون أن تتاح للخريجين منهم في هذا المركز إكمال دراساتهم في المملكة العربية السعودية وغيرها من البلدان الإسلامية، فقلت لهم: إن عدد المتخرجين كثير ولكن يمكن

النظر في تشجيع المتفوقين من الطلبة بإتاحة الفرصة لإكمال دراساتهم في البلدان العربية، ويمكن لإدارة المركز وهي موجودة معنا الآن أن تكتب للرابطة بذلك على ضوء ما قلناه.

منارة مسجد المركز الإسلامي في أنوفيا تقابلها فصول الدراسة

ولاحظت أنه احتشد في المركز عدد من ممثلي دور الصحافة والتلفزة، فكانوا يلتقطون الصور بكثرة لا أرى داعياً لها.

الإسراع بالعودة:

بينما كنت منسجماً في مشاهدة هذا المركز الواسع معجباً به أسر أحدهم إليَّ قائلاً: إن الوقت يمضي ولابد من العودة قبل حلول الظلام، لأن السير في الليل غير آمن.

وهكذا ودعت أهل المعهد وأهل البلدة الذين أبدوا عواطف جياشة تجاه وفدنا وبدأنا العودة مغادرين المركز في نحو الخامسة والربع عصراً.

وبعد أن سرنا قليلاً أخبرونا أن أخاً مسلماً جديداً هو وجيه من الوجهاء صار اسمه بعد إسلامه (أبو بكر) واسمه الكامل الآن (أبو بكر زايدو غاروي) وهو الآن عضو في البرلمان دخلنا قصره الذي يقع على تلة مشرفة على مناطق غاية في الخضرة والجمال، والقصر نفسه يقع وسط حديقة منسقة وذكر الأخوة أنه أسلم قبل ست سنين.

بعض ملحقات المركز الإسلامي في أنوفيا

وقد أبديت خشيتي من التأخر في الطريق فأجابوا: إنه أراد أن تدخلوا بيته وتدعو له بما تيسر وفعلنا ذلك واعتذرنا عن شرب مشروبات أحضرها وودعناه مستأنفين السير نسابق الشمس أن تغيب ولكنها سبقتنا فغابت قبل أن نصل إلى اينوقو بنحو خمسين كيلومتراً إلا أن الحراسة كانت على حالها فأنا في سيارة الحاكم في المقعد الأمامي بجانب السائق وخلفي في المقعد الخلفي أحد الإخوة العاملين في المركز ممن يعرفون العربية وبجانبه ضابط شاهر سلاحه مصوباً بندقه إلى جهة الأمام التي يفترض أن يأتي منها من قد يهاجم السيارة هذا مع وجود سيارة حراسة أمام سيارتنا التي هي سيارة الحاكم وأخرى خلفها.

العودة إلى اينوقو:

وصلنا مدينة اينوقو في الثامنة إلا الثلث بخير وسلامة ولله الحمد.

ووجدنا السيارات في هذه الساحة وشوارعها كثيرة وعجبت من استطاعتهم السير بالسيارات مع عدم عنايتهم بخفض أنوار السيارة المقابلة، وكذلك من استطاعة السائقين رؤية الأفراد الذين قد يعترضون طريقهم، وبعضهم ملابسهم ملونة والطريق أسود فكيف يميزونهم؟

قصدنا فندق كان القوم حجزوا لنا فيه غرفتين إحداهما لي، والأخرى للدكتور فضل خلود والشيخ (ماما عثمان محمد) واسمه (برونا هوتيل)، ويقع في ضاحية المدينة.

أما رفيقي في الرحلة الأستاذ محمد الحساني، فإنه بقي في العاصمة أبوجا، ولم يرافقنا في هذه الرحلة إلى بلاد الإيبو.

وجدنا الفندق واسعاً من فنادق الدرجة الأولى، إلا أن وجه النقص فيه أنه ليس فيه مصعد لأنه ثلاث طبقات أو طبقتان فوق الأولى.

وقد اتفقنا مع بعض الإخوة أهل المنطقة الذين كانوا معنا في (أنوفيا) على أن يأتو إلينا غداً في الساعة السابعة من صباح الغد، حتى نتمكن من إنجاز ما نريد إنجازه في (اينوقو) ونركب الطائرة عائدين إلى (أبوجا) في العاشرة إلا الربع كما هو المقرر.

صعدنا مع الدرج إلى غرفنا في الطابق الثاني.

وأخلدنا إلى النوم بعد الصلاة بسرعة.

يوم الثلاثاء:....

كان صباح مدينة (اينوقو) ماطراً أخضر فعندما أزحت ستارة النافذة عن غرفتي بعد أن أسفر الصبح تجلى منظر الحي الذي فيه الفندق من ضاحية المدينة فهو حي أخضر، بل ذو خضرة مطبقة أكثرها طبيعية ما عدا بعض التنسيق في حديقة الفندق، وهو هادئ في هذا الوقت المبكر حتى العصافير والطيور الصغيرة لم أر منها شيئاً، وقد كنت ظننتني مخطئاً في ملاحظة قلة الطيور في نيجيريا فأخبرني أحدهم بأن ذلك صحيح لأن أهل الجنوب يصطادون أكثر الطيور ويأكلونها.

وكنت استيقظت في الخامسة مع آذان الفجر فصليت وصنعت الشاي في غرفتي لي وللأخوين المرافقين فضل و(ماما) أي محمد وأكلنا من تمرات من السكرية كانت باقية معنا، وفي السابعة إلا ربعاً كنا ننزل إلى مكتب الاستقبال في الفندق ونجلس في انتظار مجيء الإخوة أهل (أينوقو) الذين كانوا معنا بالأمس وقد دفعنا أجرته ١١٢ دولاراً للغرفة الواحدة وجاءوا في الموعد المحدد وهو السابعة فخرجنا من الفندق والمطر على أشده، وقد أخفت مياه المطر ما كان في الشوارع من حفر أو تقطيعات في الأزقة فصار السير عليها صعباً.

مسجد تدريب ضباط السجون:

ما زلنا نسير والمطر على أشده ومعنا ثلاث سيارات وهدفنا المنشود هو مسجد تدريب ضباط السجون.

كان زجاج السيارة التي نركبها وهي سيارة الشيخ آدم أوبكوم فيه شروخ عدة والمطر يهطل لذلك كانت المرئيات منه مشوشة، وكان أخبرني بأن هذه السيارة هي سيارة زوجته، وذكر أنها مدرسة وأنها تخرجت من الجامعة

فاشترت لها سيارة أخرى وأعطتني هذه مع العلم بأنه داعية متعاقد مع وزارة الشئون الإسلامية في بلادنا- كما سبق- وله راتب مجز.

ولذلك كان من الصعب أن أصور شيئاً كالشوارع والأبنية من خلال زجاج السيارة وإذا احتاج الأمر إلى النزول في الشارع كان المطر مانعاً من التصوير إلا تحت مظلة أو نحوها ولا يوجد ذلك معنا.

سرنا في شوارع (أنيوقو) التي اختلف المرافقون من أهلها في تحديد عدد سكانها فبعضهم ذكر أنهم مليون وبعضهم قال هم أكثر، وتبين أنه قصد سكان الولاية التي عاصمتها (اينوقو) وهي عاصمة ولاية اينوقو.

والبيوت أكثرها من طابق واحد، ورأيت بعض صغار الباعة أصحاب البسطات وهم خلاف أصحاب الدكاكين قد وضعوا بضائعهم تحت المظلات إتقاءً للمطر.

وإلى جانب عدم العناية الظاهر في اسواق المدينة وازقتها، فإن الزفت في شوارعها سيء أكثره متكسر لم يصلح، وبعضها ليس فيها أي زفت، وعجبت ممن يزفتون الشوارع ويخسرون عليها بذلك ثم يتركون ذلك الزفت من دون إصلاح أو عناية.

وتتسم شوارع المدينة بالضيق على وجه العموم وعدم التنسيق عند تخطيطها، إذْ ترى شارعاً غير مستقيم وآخرِ لا يلبث أن يختلط بشارع آخر من دون نظام، وإنما ذلك من أصل بناء البيوت عليها.

ورثيت لسياراتهم ولأربابها الذين يسوقونها لصعوبة ذلك وأثره السيء على سياراتهم وعلى راحتهم أنفسهم.

وصلنا إلى مركز تدريب ضباط السجون في الشرق النيجيري فدخلنا إليه مع بوابة جيدة وسرنا داخله مع خط أسفلتي جيد أيضاً، ووجدنا المركز واسعاً فيه عدة أبنية متفرقة، بل يبلغ من سعته أننا لم نر حدوده إلا بعد أن أرانا الإخوة المرافقون بعضها.

ومن الدليل على سعته أن في داخله محطة لوقوف الحافلات تحمل منها الركاب وتنزلهم فيها.

ذكر الإخوة أن الحكومة النيجيرية حكومة علمانية لا تساعد أحداً من أرباب الأديان على ما يتعلق بأديانهم، وإذا احتاج الأمر إلى مساعدة منها فإنها لابد أن تساعد الجميع من مثل المساعدة التي قدمتها للجامع الوطني في (أبوجا) على اعتبار أن العاصمة (أبوجا) كانت في طور التأسيس، ولابد لها من جامع كبير مناسب فأعطت المسلمين وهم أهل الجمعية أو الجمعيات التي أشرفت على بناء المسجد عشرة ملايين دولار إسهاماً منها في بناء هذا المسجد الذي سبق وصفه وأعطت أيضاً مبلغاً قريباً من ذلك للنصارى يساعدهم في بناء كنيسة كبيرة لهم تمثل النصارى من أهل البلاد.

ولهذا السبب انتدبت جمعية إسلامية بناء هذا المسجد في هذا المركز المهم في شرق نيجيريا مع أنه حكومي ومن المتبادر إلى الذهن أن الحكومة هي التي يجب أن توفر أمكنة العبادة فيها.

فعملت تلك الجمعية الخاصة بعد أن حصلت على الأرض من الحكومة داخل المركز وبنت المسجد وصار المسلمون من موظفين ومتدربين وغيرهم يصلون فيه.

ولكن المسجد لا يزال يحتاج إلى منارة ونوافذ وفراش، وقد بني بالأسمنت المسلح ماعدا سقفه فإنه بالزنك.

وقد أعطيناهم تبرعاً للمساعدة على إكماله ثلاثة آلاف دولار.

وفي داخل هذا المركز مدرسة جميلة المنظر تظهر العناية عليها، وربما كان ذلك يرجع إلى أن الدراسة فيها برسوم مع أنني لا أعلم ذلك.

مركز رابطة العالم الإسلامي:

هذا مركز منسوب إلى رابطة العالم الإسلامي في مدينة (اينوقو) من دون أن تنفق عليه الرابطة شيئاً مع أنه يساوي بالقيمة المالية الآن مئات الألوف من الدولارات.

ذهبنا لزيارته مع الشيخ الداعية إلى الله (إدريس بن عمر الحسن) داعية الرابطة أي الذي تعاقدت معه الرابطة للدعوة إلى الله في (اينوقو) فقد اجتهد وجمع تبرعات اشترى منها أرض المركز ثم جمع التبرعات من المسلمين المخلصين وسوره وبنى فيه أبنية من أهمها مسجد جامع تصلى فيه الصلوات الخمس والجمعة يصلي فيه أهل الحي لأنه ليس فيه مسجد آخر.

كما بنى فيه عدة غرف منها غرفة إدارة فيها مكتب متواضع جلسنا فيه فترة بحثنا فيها مع الشيخ إدريس ومع غيره الأوضاع الإسلامية وألفنا لجنة من أربعة مشايخ دعاة، اثنان منهم دعاة الرابطة وهما الشيخ (ماما عثمان محمد) والثاني الشيخ إدريس عمر الحسن واثنان من دعاة وزارة الشئون الإسلامية في المملكة، هما الشيخ آدم... والشيخ هارون... أجا وذلك للإشراف على كيفية انفاق المساعدات التي خصصناها للمساجد في هذه المدينة من باب التوثيق،

وإلا فإن الإعانات التي قدمناها هي قليلة ومن ذلك مبلغ ألفي دولار لمنارة مسجد الرابطة لأنه ليست له منارة.

كما خصصنا أربعة آلاف دولار لبقية المساجد في مدينة (اينوقو) وهي ستة تصرف على نظر اللجنة الرباعية من المشايخ الدعاة على أن يوافونا بأسماء المساجد التي صرفت عليها وطريقة صرفها.

وقد فعلنا ذلك لضيق وقتنا عن زيارات المساجد المذكورة.

ثم انطلقنا من مركز الرابطة في اينوقو إلى المطار للسفر إلى (أبوجا) فسرنا مع شارع جيد ذي اتجاهين يفصل بين اتجاهيه جزيرة خالية من الزهور، ولما أبديت لهم اعجابي بهذا الشارع ذكروا أنه صار كذلك لأنه يذهب إلى رئاسة الولاية، وقد مررنا فيه بمستديرة في وسطها تمثال أسد، ومن هذا الشارع انتقلنا إلى طريق المطار وقد تكررت فيه القلقلة، وهي شدة تحريك راكب السيارة لخشونة الطريق وكثرة الحفر والأماكن غير المستوية فيه.

ولاحظت أن الأمطار في الجنوب الذي نحن فيه الآن مؤذية لنا مثلما أن الغبار في الشمال مؤذٍ أيضاً.

وقد خرج معنا إلى المطار جمع من الإخوة المسلمين أكثرهم لا أعرفه ومنهم شخص قدمه المرافقون وبخاصة الدعاة بأنه (الحاجي عبدالله بن باكو) زعيم المسلمين في ولاية (ايقوني) وعاصمتها مدينة (أباكاليكي) التي مررنا بها في الذهاب إلى أنوفيا وذكرتها هناك.

وودعنا الإخوة الذين خرجوا معنا إلى المطار إلا ثالثة منهم وهما الداعيان اللذان يتبعان وزارة الشئون الإسلامية وثالث معهما فقالوا: نريد أن

نجلس معك مجلساً خاصاً، ولما كان لا يوجد مكان خاص في المطار إلاَّ (صالون) الشرف قلت: نجلس فيه.

دخلنا إليه وسألتهم عما يريدون فإذا بهم ليس عندهم إلا أن يقولوا: إننا نريد مساعدات للمسلمين في بلاد الإيبو، مع العلم بأنهم كلهم ماعدا واحداً يتسلمون رواتب من وزارة الشئون الإسلامية في بلادنا.

وقد انتحيت ناحية من غرفة كبار الزوار التي نحن فيها اكتب وإذا بالدكتور فضل خلود يتكلم بحدة وغضب لم أعهدهما منه، وهو من النوع الذي لا يغضب ولما بحثت الأمر قال: هؤلاء امتنعوا أن يعطوارسم الجلوس في (الصالون) من النقود التي أعطيتهم إياها.

وكانت موظفة الغرفة قد طلبت الرسم وما طلبناه من شاي أو قهوة فذكروا أنهم ليس معهم شيء من النقود، فقال لهم: إذا لم يكن معكم نقود لماذا دخلتم الغرفة؟

فقالوا: أنتم دعوتمونا، ولم نكن دعوناهم، بل لو كان لي من الأمر شيء من النفوذ، لم أسمح لهم بالدخول إليها، لأنني أريد أن أخلو بنفسي للكتابة، فأعطيتهم مائة ريال سعودية وقلت: أدفعوا منها لأنه ليس معي دولارات ولا نيرات نيجيرية، فدفعوا عن أنفسهم وامتنعوا عن أن يدفعوا عن الدكتور فضل وعني، وهذا سبب غضبه.

والمبلغ المطلوب على كل شخص هو ثلاثة دولارات وربع، فقلت: ادفع عنا أنت وعنهم وكنت أعطيتهم قبل ذلك أربعمائة دولار لكل واحد مائتا دولار ثمناً للوقود لسياراتهم لكونهم ذهبوا إلى (أنوفيا) وذلك قبل أن تصل الينا سيارة الحاكم.

وعجبت من تكالبهم على هذه التفاهات، بخلاف كثير من الدعاة هنا الذين يترفعون عن الطمع الزهيد.

وكانوا قالوا لي: إننا جميعاً من الايبو، وهنا سألتهم عن معنى (ايبو) بلغتهم فأجابوا إن معناه: الذين يعرفون الخالق، فقلت لهم: (يدل ذلك على أنهم مؤمنون؟ قبل دخولهم أو ادخالهم في المسيحية) فقالوا: اخذنا ذلك عن آبائهم قبل المسيحية وكانوا، وتبين يزعمون أن أوثانهم واسطة بينهم وبين الله.

فقلت: هذا هو معنى قول كفار قرش: (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى).

ثم دخلنا إلى الطائرة وهي من طراز (MD-81) نصف مقاعدها أو أكثر قليلاً مشغول والبقية خالية.

ملخص عملنا في الجنوب:

المؤلف مع كبار القوم في المركز الإسلامي في أنوفيا

كنت أسجل كل ما يحدث في الرحلة ولكن في الجنوب كان الوقت قصيراً وكنت محاطاً بأناس كثر، كما كنت اتكلم أحياناً واستمع إلى كلمات الآخرين لكي أرد عليها- ولذلك قلت في نفسي أن الأفضل أن يسجل غيري ما يدور في هذه الزيارة القصيرة إلى جنوب نيجيريا إلى جانب ما أسجله فطلبت من المرافق الدكتور فضل خلود مدير مكتب الرابطة في (أبوجا) أن يسجل ذلك لئلا يفوتني شيء مهم، مع العلم بأنه لن يسجل من الرحلة إلا ما كان ذا أهمية خاصة علمية أو دعوية، أو حتى خبرية، بخلاف ما سجلته فإنه مخلوط من ذلك، ومما يصح أن يسمى أدب الرحلات.

وقد اطلعت على ما كتبه، وحذفت منه ما كان مكرراً مما ذكرته.

وهذا نص ما سجله:

يوم الاثنين ١٤٢٧/٤/١٧هـ:

زيارة ولايتي اينوقو وايبوني والمركز الإسلامي في أنوفيا:

قام وفد الرابطة برئاسة الشيخ محمد بن ناصر العبودي بزيارة للمركز الإسلامي في أنوفيا ولاية ايبوني.

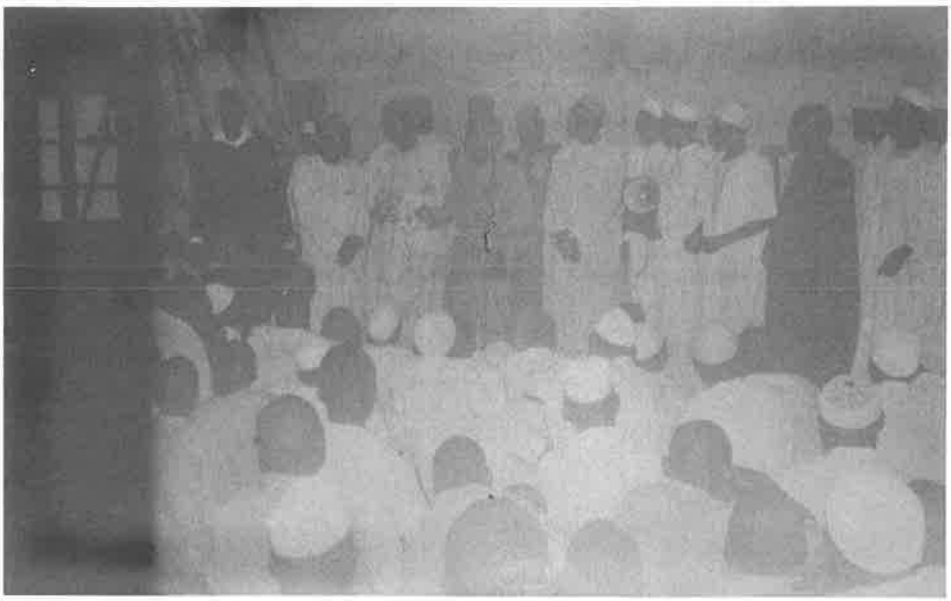

المؤلف يتحدث داخل مسجد المركز الإسلامي في أنوفيا

وقد وصل الوفد إلى مطار اينوقو يوم ١٤٢٧/٤/١٧هـ الموافق ٢٠٠٦/٥/١٥م قادماً من أبوجا وحطت الطائرة في المطار حوالي الساعة العاشرة صباحاً، وكان في استقبال الوفد من رجال الأمن بقيادة رئيس الأمن العام في الولاية وذلك بتكليف من حاكم ولاية ايبوني الذي كان مسافراً خارج الولاية.

حيث استقلّ الشيخ محمد بن ناصر العبودي والوفد السيارة الفخمة الخاصة التي أرسلها حاكم الولاية تتقدمها سيارة بها رجال الأمن المسلحون

وتحرسها سيارة أخرى من الخلف بها رجال من الامن مسلحون أيضاً، وذلك لاضطراب الأمن في المنطقة.

وبدأت الرحلة من اينوقو حوالي الساعة الثانية عشرة إلا ربعاً ظهراً، وعلى طول الطريق إلى المركز الإسلامي في أنوفيا التي تبعد (١٨٥) كيلاً انتشر رجال الأمن المسلحون في نقاط للتفتيش واستغرقت الرحلة ساعتين وربعاً ووصل الركب إلى أنوفيا مقر المركز الإسلامي حوالي الساعة الثانية ظهراً.

وكان في استقبال الوفد رجال الأمن عند مدخل المركز الإسلامي وعددهم عشرة ومعهم رئيس أمن المنطقة ومجموعة من الصحفيين ومدير المركز الإسلامي والأستاتذة فيه ودعاة الرابطة في المنطقة.

وجلس الوفد في القاعة الكبرى بالمركز الإسلامي وجلس أيضاً جميع المعلمين وبعض الصحفيين وألقى نائب مدير المركز الأستاذ ماما عثمان كلمة ترحيب بالوفد، ثم ألقى المعلمون في المركز كلمة ترحيب ثم كلمة الطلاب، التي ضمنوها شكواهم من أن مولدات الكهرباء في المركز كلها معطلة وأنهم إذا غابت الشمس يحرمون من القراءة ورجوا من وفد الرابطة أن يعينهم بتوفير مولد كهربائي كبير يمد المركز بالنور عند انقطاع التيار الكهربائي الذي هو مقطوع في أكثر الوقت، وقد وعدهم الوفد بالمساعدة والسعي في ذلك.

ثم بشر رئيس الوفد المعلمين بأنه أحضر معه مخصصاتهم ومخصصات المركز الإسلامي ومبلغ الصيانة، الأمر الذي أسعد الحاضرين طلاباً وأساتذة.

تفقد فصول الدراسة في مركز الرابطة بأنوفيا- نيجيريا

ثم ألقى الشيخ محمد بن ناصر العبودي كلمة ضافية شكر فيها إدارة المركز وتعاونهم في إنجاح مهمة الرابطة ورسالتها السامية، وأوصاهم بالصبر والاحتساب، ثم شكر حاكم الولاية على حسن الاستقبال وتوفير الأمن وشكر رئيس الأمن على حسن تدبيره لشؤون الأمن والعناية بوفد الرابطة وشكر أعيان القرية المسلمين وغير المسلمين الذين حضروا لاستقباله وحث الجميع على التعايش في سلم وأمان، لأن دين الإسلام هو دين الامان والسلام للجميع.

ثم ألقى رئيس بلدة أنوفيا كلمة شكر فيها وفد رابطة العالم الإسلامي على استمرار هذا المركز العظيم في عمله وعلى إرسال وفد الرابطة إلى هذا المركز الآن.

كما ذكر رئيس البلدة أنه بفضل الله ثم بفضل هذا المركز صارت نسبة المسلمين في بلدة أنوفيا ٩٠% تسعون في المائة، وطلب أن تزيد الرابطة بئراً ثانياً للماء النظيف وخزاناً لحفظ المياه حتى يكفي ماء الشرب لطلاب المركز وسكان البيوت المجاورة، وإنه يفكر منذ الآن في منح وسام السلم والعلم والخدمات من السلطة المحلية لمركز الرابطة تقديراً لجهود الرابطة العلمية والصحية في البلدة.

المؤلف في المركز الإسلامي في أنوفيا على
يساره الشيخ ماما عثمان مدير المركز

ثم قام وفد الرابطة بجولة واسعة على المركز العظيم وأقسامه المتعددة، ومنشآته التي تسر، إلا أن أكثرها على وجه العموم تحتاج إلى ترميم وإصلاح.

وحضر حفلاً للأهالي أقاموه في المركز ترحيباً بوفد الرابطة وإظهاراً لسرورهم بمقدمه وأعربوا فيه عن شكرهم للرابطة وطلبوا المزيد من العناية بالمركز.

وبعد ذلك تناول الوفد طعام الغداء في المركز الإسلامي وكان رئيس وفد الرابطة قد دفع مبلغ ألف دولار أمريكي تبرعاً منه لإقامة وليمة ضخمة حيث اشتريت سبعة خرفان ودجاج ولحوم كثيرة وطبخ طعام كثير شارك الجميع في تناوله من الطلاب والمعلمين والضيوف ورجال الأمن وسلاطين القرى المجاورة مسلمين وغير مسلمين.

وقبيل المغرب بدأت رحلة العودة إلى اينوقو بصحبة رجال الأمن المسلحين، وواصل الوفد رحلته إلى أينوقو فزار في الصباح الباكر من الغد مسجد التدريب في سجن المدينة ودفع مساعدة لاتمامه، ثم زار المركز الإسلامي في اينوقو المسمى (مركز رابطة العالم الإسلامي) وهو ملك للرابطة من تبرعات جمعها أهل المنطقة بقيادة الداعية إلى الله الشيخ إدريس بن عمر الحسن داعية الرابطة والتقى بالعديد من الجمعيات الإسلامية ودعاة المملكة الذين يتبعون وزارة الشؤون الإسلامية والذين يتبعون رابطة العالم الإسلامي كما خصص لكل جمعية مبلغاً من المال لإصلاح شأنها، وشكل الوفد لجنة رباعية للإشراف على إنفاق أموال المساجد والمدارس على الوجه الأكمل اثنان من دعاة الرابطة هما الشيخ ماما عثمان والشيخ إدريس الحسن، واثنان من دعاة وزارة الشؤون الإسلامية في المملكة هما آدم عبدالله اديسو والشيخ هارون أجا، وفي العاشرة صباحاً توجه الوفد للمطار عائداً إلى (أبوجا).

المؤلف إلى جانبه مدير المركز في جولة داخل المركز

العودة إلى أبوجا:

قامت الطائرة التي ركبنا معها إلى أبوجا في الحادية عشرة والربع ضحى، وأعلنوا أن الطيران إلى أبوجا سيستغرق ٤٥ دقيقة.

وعندما ارتفعت الطائرة ألقيت على (اينوقو) ومنطقتها نظرة أخيرة فإذا بها غارقة في جنان خضر، فقلت في نفسي: أين هي من (مادوغري) عروس الشمال كما يسميها بعضهم؟ ومع ذلك تذكرت أن بلديتها ليست أفضل عملاً من بلدية (مادوغري) وذلك أمر مفهوم السبب وهو أن السكان هنا- أيضاً- لا يسهمون معهم في إيرادات البلدية لقلة دخولهم وما تجنيه البلدية من رسوم عليها.

وعندما وصلت الطائرة إلى جواء (أبوجا) العاصمة تبين الفرق بينها وبين منطقة (اينوقو) رغم كون (أبوجا) خضراء، فإنها أقل من (اينوقو) خضرة بكثير.

والمهم أن الريف خارج (أبوجا) معمور أكثر من عمارة ريف (اينوقو) رغم ما يوحي به منظره الأخضر من سهولة الزراعة أو على الأقل تربية الماشية فيه.

في مطار أبوجا:

هبطت الطائرة في مطار أبوجا في الثانية عشرة تماماً وتبين الفرق بين المدينتين حتى في تبليط ساحات المطار فأبوجا أفضل وهي إلى ذلك تختلف عن (اينوقو) في أمر مفهوم السبب هو السعة فأبوجا أفسح مطاراً، ولكن تبليط المدرج تستوي فيه في البلدان المتقدمة مطارات البلدان الكبيرة والصغيرة.

وفي مطار أبوجا طائرات كثيرة مختلفة الأحجام، وكأننا عندما وصلنا أبوجا بعد (مادوغري) و(اينوقو) قد دخلنا إلى القرن العشرين من القرن التاسع عشر.

وجدنا في مطار أبوجا سيارة حاكم ولاية (النيجر) المهندس عبدالقادر كوري تنتظرنا، والسبب في ذلك أن لنا موعداً للقائه ظهر اليوم كما أخبرنا به الدكتور فضل خلود، ولم يكن في مكتب الرابطة كهرباء ولا ماء.

وسيارته من طراز مرسيدس الغالي الحديث مكيفة الهواء فخمة المنظر.

وقصدنا مكتب الرابطة في أبوجا حيث كنا أودعنا أمتعتنا الثقيلة فيه فأخذناها معنا وذهبنا إلى فندق (شيراتون أبوجا) الذي كنا فيه وسكنا في غرفتين كالعادة.

فغيرنا ملابسنا إلى الملابس العربية وصلينا الظهر والعصر جمعاً ثم ذهبنا بسيارة الحاكم إلى قصره في (أبوجا) وذلك بناء على موعد سابق كان أخبرنا به الدكتور فضل خلود.

دخلنا إلى قصره الضخم الذي تتألف مقدمته أو الجزء الذي يدخل منه الداخل أول الأمر من عدة قاعات يفتح بعضها على بعض وبعضها مغلق عن غيره، وفيها المقاعد الوثيرة الحديثة.

استقبلنا أحد رجاله في قاعة من هذه القاعات فيها جهاز ضخم للتلفزة يشير إلى أنه سيذيع الجلسة الحاسمة التي سيعقدها برلمان نيجيريا للبت في طلب رئيس الجمهورية الرئيس آباسونقا الذي كان قد طلب من البرلمان أن يوافق على تعديل مادة في الدستور تتيح للرئيس إذا عدلت أن يرشح نفسه مرة ثالثة لرئاسة البلاد، وكان قد أمضى فترتين في الرئاسة.

وبعد ذلك بدأت الجلسة وظهر الأعضاء وهم يتكلمون بحماس كل منهم يبدي وجهة نظره في الموضوع وظهر أن الذين يعارضون تعديل الدستور أكثر، هذا ما ظهر من كلامهم في التلفاز، وإلا فإننا لم نسمعهم كلهم- بطبيعة الحال- لاسيما أن معظمهم كان قد أبدى وجهة نظره وتكلم في جلسات سابقة، هذه الجلسة هي ختامها، وهي الجلسة الحاسمة في الموضوع.

ولاحظنا أن النظام والانسجام في التصرفات في الكلام هو السائد في برلمانهم هذا، وقلت في نفسي: لو كانت مثل هذه الجلسة حدثت في بعض البلدان الشرقية غير السوداء لكانت فيها انفلاتات وربما شتائم ومضاربات.

وحتى إذا نظرنا إلى تصرفات رئيس الجمهورية (آباسونقو) نجدها ديمقراطية سليمة، فهو طرح الأمر على البرلمان، ولو كان في بعض البلدان

العربية لكان حل البرلمان أو ضمن شراء أصوات النواب، أو لحل المجلس، ولم ير حاجة لوجوده وتصرف وحده وهذا ما حدث من بعض رؤساء الجمهوريات في بلادنا العربية.

ثم جاءت اللحظة الحاسمة وهي بيان نتيجة المناقشات والتصويت ففاز فيها المعارضون لتعديل الدستور الذين لا يريدون لرئيس الجمهورية أن يرشح نفسه لولاية ثالثة.

فنهض النواب المعارضون الذين فازوا بالتصويت يرقصون في البرلمان ويعانق بعضهم بعضا على هذا النصر المؤزر الذي أحرزوه.

ثم بلغنا بعد ذلك تصريح لرئيس الجمهورية يفيد بأنه سوف يحترم النتيجة التي تحققت في البرلمان، ولا يرشح نفسه للرئاسة مرة ثالثة.

هذا ونحن ما نزال ننتظر الحاكم في قصره وقد طال علينا الوقت.

ولم يكن عند الدكتور فضل خلود تفسير لما حدث، واستأذنت من أحد رجاله ونهضت واقفاً للانصراف جازماً بأن في الأمر سوء فهم، ولكنه قال: إنه كلمهم بالهاتف أنه قادم، ثم قدم وسلم سلام المحتفي المحب، وأخذنا في قاعة ثانية من قاعات قصره الفخم ذات مقاعد وثيرة.

وقال: أسف لتأخري عليكم، لأنني كنت مشتركاً في الجلسة، وقال في الحضور مع حكام الولايات النيجيرية لأننا نعتبر هذه اللحظات هي لحظات تاريخية حاسمة، لها ما بعدها في التاريخ السياسي في نيجيريا، لكن الأمور جاءت على ما نريد ولله الحمد.

وتبين أنه من أشد معارضي تعديل الدستور.

وقلت له: إن المقصود هو السلام عليكم وقد حصل فنستأذن الآن وسوف نكون على اتصال بوساطة الدكتور فضل خلود فوافق على ذلك، وقال: سوف أزوركم في غرفتكم في فندق شيراتون في الثامنة من صباح غد، وسوف تزورون ولاية النيجر بعد ذلك إن شاء الله.

فشكرناه وانصرفنا.

وهذه خلاصة ما دار بينا وبينه من أحاديث.

في بداية اللقاء تحدثت عن سروري بلقاء سعادة حاكم ولاية النيجر وأبلغته بتقدير رابطة العالم الإسلامي لما قام به من جهد ولما قدمه من دعم مادي ومعنوي أدى إلى حصول الرابطة على منحة أرض كبيرة في العاصمة أبوجا، ولم يكتف بذلك بل بذل من ماله لاستكمال تسوير الأرض وحفظها وصيانتها وأن إخوانه في الرابطة خاصة وفي المملكة العربية السعودية عامة سيحفظون له عمله الطيب الذي سيصب في خدمة أهداف مكتب الرابطة في نيجيريا وهو المكتب الذي فتح لخدمة المسلمين في هذه الدولة، ضمن جهود الرابطة لخدمة المسلمين في العالم.

وقد رد حاكم ولاية النيجير على كلمتي بالإعراب عن تشرفه بلقاء الوفد والاجتماع إليه والاستماع منه، وأنه يعتبر اللقاء فألاً حسناً على نيجيريا وأهلها لأنه تزامن مع خطوة وطنية اتخذها البرلمان النيجيري بعدم تعديل دستور الانتخابات ثم تحدث حاكم الولاية عن مكانة المملكة العربية السعودية في قلوب المسلمين بحكم احتضانها للحرمين الشريفين والمشاعر المقدسة وأن الله قد مَنَّ عليها بالوحدة الإسلامية التي تحققت على يد المؤسس الملك عبدالعزيز آل سعود،

وأن للدولة السعودية أيادي بيضاء على المسلمين في العالم، كما أشار إلى مكانة الرابطة في قلوب المسلمين في نيجيريا باعتبارها من أكبر وأعظم المنظمات الإسلامية في العالم فإن نشاطها وأهدافها تجمع المسلمين وتدعوهم إلى كلمة سواء وتمنى أن تواصل الرابطة دورها التعليمي والثقافي في مجال إعداد المعلمين والدعاة الذين يستطيعون تقديم الصورة الصحيحة للإسلام، لأن العديد من الخلافات والمشاحنات قد تنشب بين المسلمين بسبب مسائل فرعية وفرعية جداً، لأنهم لم يجدوا من يبين لهم سماحة الإسلام ورحابة صدره وتمتعه بالقدرة على تجاوز الخلافات البسيطة إلى أفق رحب واسع من التعاون على البر والتقوى وبناء الإنسان المسلم المتحضر بطريقة سليمة.

وقد عقبت على حديث حاكم ولاية النيجر الأستاذ عبدالقادر كوري فعبرت عن إغتباطنا بما سمعناه من سعادته من أراء تؤكد أن الحاكم مسلم صالح واسع الأفق ذو فكر إسلامي واضح وأصيل، وأن دعوته إلى التعاون وتجاوز الخلافات حول الفروع دعوة سليمة هدفها (الخير والبر).

وأشرت إلى إقدام الحاكم على تطبيق الشريعة الإسلامية في ولايته فوصفت ما قام به بأنه حرص على سيادة قيم ومبادئ الإسلام الدين السمح الخاتم وأن وفد الرابطة سوف ينقل ما سمعه وما شاهده إلى الشعب السعودي وقيادته الحكيمة التي سوف تسر بما قام به رجل صالح مثل حاكم ولاية النيجر، كما أشرت إلى إمكانية أن يتفضل سعادة الحاكم بالكتابة إلى الحكومة السعودية بطلب إقامة مركز إسلامي على الأرض الممنوحة للرابطة في أبوجا يحمل اسم خادم الحرمين الشريفين لتقوم الرابطة من جانبها بدعم ومتابعة الطلب حتى يتحقق

المشروع الحلم، فأبدى سعادته واعتزازه بالقيام بمثل هذه الخطوة والتعاون مع الرابطة في سبيل ضمان إقامة مثل هذا المشروع الإسلامي الكبير.

ثم عدنا إلى فندق شيراتون فوجدنا بعض الإخوة الكرام من أهل نيجيريا الذين كانت بيني وبينهم صداقة ومحبة منهم تلميذي في الجامعة الإسلامية الذي صار بعد ذلك شيخاً من كبار الشيوخ (عبدالرشيد هدية الله) مدير مدرسة ابن باز في غرب نيجيريا والشيخ العاقب عبدالسلام سكرتير الملحق الديني في نيجيريا، كنت عرفته في الزيارة السابقة وسافرت معه إلى مادة (إبادن) ثانية مدن نيجيريا في عدد السكان العاصمة آنذاك (لاجوس) وسميته (المعاقب) بزيادة ميم وفتح القاف، والشيخ يعقوب عبدالباقي محمد وكيل مدرسة إصلاح المسلمين في ابرو- ولاية أوش.

يوم الأربعاء : ١٤٢٧/٤/١٩هـ:

الحاكم يزورنا في الفندق:

كان موعد زيارة الحاكم التي ذكرها لنا أمس في الثامنة من صباح اليوم وقد حضر في الموعد المحدد إلى غرفتي وذكر أنه لا يرغب أن تكون زيارته في غرفة كبار الزوار.

تحدث إلينا قليلاً مكرراً ترحيبه وأخبرنا أنه أمر باتخاذ الترتيبات لزيارتنا لولاية النيجر التي كانت قررت الحكم بالشريعة الإسلامية، وهي من بين ١٥ ولاية في نيجيريا قررت الحكم بالشريعة الإسلامية وسائر الولايات الباقية وعددها إحدى وعشرون ولاية لا تزال تحكم بالقوانين الوضعية، كما كانت في السابق.

والعجيب الغريب أن الولايات التي تحكم بالشريعة الإسلامية صارت مضرب الأمثال في الأمن والعدل بين الناس وحماية حقوق الأقليات غير المسلمة فيها.

ويذكر أنها كلها ذوات أكثرية مسلمة، لأن الحكم بالشريعة يتم بناء على ما يقرره برلمان الولاية الذي لابد أن تكون أكثريته من المسلمين.

كان من هدفنا أن نزور تلك الولاية تلبية لدعوة حاكمها المسلم بل المجاهد عبدالقادر كوري ومن أجل أن نرى آثار الحكم بالشريعة الإسلامية فيها، وتشجيع أهلها على ذلك وندعو لهم بالمزيد منه.

لم يتلبث الحاكم لدينا طويلاً، وإنما التقط معنا صوراً تذكارية.

وأهديت له نسخاً من كتابي الذي ألفته عن الزيارة الأولى إلى نيجيريا قبل ٢٦ سنة ويقع في مجلدين، وكذلك أهديت له تمراً من نخلات لي في بريدة، ولما أخبرته أنها من بيتي فرح لذلك فرحاً عظيماً كما أهديت له نسخة من أشرطة تسجيل القرآن الكريم كاملة.

إلى ولاية النيجر

من أبوجا إلى منى:

و(منى) بلفظ مشعر منى من دون أي اختلاف في اللفظ هو اسم عاصمة ولاية النيجر، ولقد سألت أهل البلاد وأحفيت السؤال عن السبب في تسميتها بهذا الاسم فلم أجد منهم من يعرف سبب ذلك، ولا أصله، وبعضهم قال: إن هذه التسمية للمدينة قديمة لا يعرف مصدرها.

في التاسعة إلا الربع غادرنا (أبوجا) قاصدين ولاية النيجر على سيارتين لحاكم ولاية النيجر، إحداهما ركبت فيها أنا وزميلي في الرحلة الأستاذ محمد بن أحمد الحساني والدكتور فضل خلود، وهي السيارة المرسيدس الجديدة الغالية وهي مكيفة الهواء- بطبيعة الحال- والثانية فيها سكرتير الحاكم واسمه (إدريس عثمان) وهي للحاكم أيضاً أرسلها معنا من باب التكريم والعناية وهي جيدة كأنما هي جديدة.

ومررنا بالجامع الوطني العظيم بل إننا لم نقصد المرور به لأنه مجاور لفندقنا- شيراتون- وإنماوقفنا عنده فالتقطت له بعض الصور ولم نتلبث عنده لأننا سبق أن صلينا فيه الجمعة، كما ذكرت أن عقدنا اجتماعاً فيه مع الجمعيات الإسلامية في نيجيريا، وتقدم ذكره.

ثم سرنا في شوارع (أبوجا) الجيدة، التي لا يصدم نظر من فيها شيء، ولم نكد نغادر ضواحي مدينة (أبوجا) حتى رأينا حادث سير لسيارتين، بل ثلاث سيارات، مما ذكرني بما كنت شاهدته من حوادث بين مدينتي (لاجوس) العاصمة السابقة وبين المدينة التي تليها في عدد السكان وهي مدينة (إبادن) وقد ذكرت ذلك مفصلاً في كتاب: (قصة سفر في نيجيريا) وهو مطبوع.

ولم أر في ضواحي (أبوجا) أكواخاً ولا عششاً- جمع عشة وهي المنزل الذي يقام من الأعواد أو فروع الأشجار الدقيقة أو القش مما ذكرني بما كنت رأيته قبل ذلك في كوتونو عاصمة دولة (بنين) إذْ لم نر فيها ولا في الطريق ما بين العاصمة والمدينة الكبيرة (بورتو نوفو) أي منازل من هذا النوع لأن الحكومة حاربت الأكواخ والعشش في هذه المنطقة.

أرض السواد:

وصف العرب أرض العراق بأنها أرض السواد، وقصدوا من ذلك شدة اخضرارها التي تخرج من حد الخضرة إلى حد السواد.

وحتى بالنسبة إلى الخضرة في ألوان الآدميين والدواب كانوا يعبرون عن السواد بالخضرة كما نسب من أن أبي جهل من قوله:

وأنـــا الأخضـــر مـــن يجهلنـــي؟

أخضـــر الجلـــدة مـــن نســـل العـــرب

مع أن الشاعر معروف بالسواد أو السمرة الشديدة، ولذلك عُدَّ من أغربة العرب والأغربة: جمع غراب كناية عن سواده.

وكانت العامة من أهل نجد تسمي الأسمر سمرة شديدة بالخضر أي الأخضر.

وهذه البلاد النيجيرية يصح وصفها بالسواد لكثافة أعشابها واخضرار النبات فيها، ويستحق أهلها أن يوصفوا بالخضرة لهذا اللون الرمادي الذي يجلل أجسادهم، وأول ما يلاحظه المرء الذي يخترق هذه العاصمة النيجيرية (أبوجا) سعتها وكثرة السيارات فيها مع سعة الشوارع ووجود جسور عديدة فيها تساعد

على انسياب حركة السيارات فيها، وكثيُر من السيارات التي فيها هي من سيارات الركوب الجديدة والجيدة، مع عدد قليل من الشاحنات.

على الحدود:

وصلنا الحدود ما بين ولاية النيجر وبين منطقة العاصمة أبوجا التي هي كالولاية ولكنهم لا يسمونها ولاية أسوة بما فعله عدد من الدول الذي أسسوا عاصمتهم على مساحة من الأرض خارجة عن الولايات مثل واشنطن دي سي في أمريكا، ودلهي في الهند وبرازيليا في البرازيل.

وجدنا عند الحدود هذه جيشاً من باعة الصحف ومن المتطفلين، ولم استطع التقاط صورة للحدود لكثرة الناس فيها، وليس في الحدود هذه ما يميزها إلا لافتة مكتوبة بالإنكليزية تقول: إن هذه هي الحدود بين العاصمة وبين ولاية النيجر.

وسرنا تاركين الحدود ونحن في غاية الانشراح لكوننا دخلنا تحت حكم صاحبنا وصديقنا المهندس المسلم الحق عبدالقادر كوري، بل لكوننا دخلنا تحت حكم إسلامي يحكم بالشريعة الغراء.

ومما يذكر أن تعداد ولاية النيجر هذه هو سبعة ملايين من السكان فهي أكثر سكاناً من الأردن ولبنان مجتمعتين، وربما أكثر منهما، وإذا ضمت لها أيضاً دولتا قطر والبحرين.

كان أول ما وصلناه في داخل أرض ولاية النيجر قرية اسمها (كمبا) ومررنا بمسجد أي منارة صغيرة على الطريق، وعلى البعد منارتان صغيرتان لمسجد ذكر الإخوة لنا أن كل محطة محروقات صاحبها مسلم يكون فيها مسجد، قلت: هذا هو المعمول به عندنا الآن، وهو أمر من الحكومة يلزم به أصحاب المحطات.

ورأينا من مظاهر الحرص على النظام وعلى المصلحة العامة جنوداً يحضون السائقين على التمهل وعدم السرعة في الطريق، إذا رأوا من لم يتجاوب مع ذلك عاقبوه.

وأذكر أنني سئلت بعد انتهاء زيارتي الأولى لنيجيريا قبل ٢٦ سنة عن أخطر ما رايته فيها؟ فقلت: هو السرعة الجنونية في الطرق العامة خارج المدن، وبخاصة ما بين مدينتي لاجوس وابادن.

وذلك رغم كثرة الحوادث التي هي السبب الرئيسي لهذه السرعة المميتة على الطريق.

وبدأت ترى من الطريق أشجار العمبة (المانجو) الضخمة التي أثقلتها ثمارها فهذا أوان إثمارها.

ورأينا من العناية الزائدة بالأمن في هذه الولاية المسلمة، ولاية النيجر جنوداً يوقفون السيارات ويفتشونها بحثاً عن السرقات التي قد تكون حدثت من أهل سيارات من خارج الولاية.

وعلى ذكر السيارة أقول: إنني رأيت هنا ما كنت رأيته في ضواحي بعض المدن والقرى من الأوعية المليئة بوقود السيارات (البنزين) يبيعونه على أهل السيارات وخاصة من اكتشف أن البنزين عنده قليل، ولم يشتره من المحطات.

والطريق جيدة بين جزيئها جزيرة واسعة فيها خضرة طبيعية من أعشاب الربيع.

وذلك أن هذا الطريق يعتبر تجارياً، أو كما يسمونه دولياً ويريدون به أنه يذهب إلى خارج هذه الولاية ولا أدري أعندهم ما عند البلدان الأخرى في

الطرق الاتحادية بمعنى أن الحكومة الاتحادية المسماة بالفيدرالية هي التي تعتني بها أي التي تصونها.

ويذهب هذا الطريق الجيد إلى مدن الشمال وأولها مدينة (كادونا) التي زرتها في السفرة الماضية وتكلمت عليها وبخاصة أنها بلد الزعيم المسلم الشهير أحمدو بيللو رئيس وزراء شمال نيجريا سابقاً، وقبره هناك في كادونا، وتعتبر إحدى المدن الرئيسية في الشمال النيجيري المسلم مثلها في ذلك مثل (كانو) و(صوكتو).

ثم عطفنا من الطريق العام الرئيسي هذا سالكين طريقاً محلياً مزفتاً ، بل جيد الزفت، إلا أنه واحد للسيارات المتقابلة يفصل بينهما خط من الصباغ.

قرية ديكوا:

وصلنا قرية ديكوا وهي صغيرة، ولكن فيها سوق مهم عندهم يسمى (سوق الخميس).

بلدة ماجي:

لم نكد نفارق قرية (ديكوا) حتى وصلنا بلدة اسمها (ماجي) بيوتها من طابق واحد، وبعض دكاكينها على الطريق.

وقد تكاثفت الأشجار عندها وظهرت خصوبة الأرض، ومع ذلك رأيت فيهاما يذكر المرء بأنه لا يزال في بلد متخلف إذْ رأيت سيارة نقل صغيرة (وانيت) مليئة بالركاب الذين لم يكفهم سطحها وإنما ركبوا صفاً متراصاً في مؤخرتها خارجين عن حوضها وهي تسير، مما لا يسمح به في البلدان المتقدمة ومنها بلادنا التي لا تسمح باستعمال الشاحنات الصغيرة بمثابة سيارات الأجرة.

وعلى الطريق السلعة التقليدية الموجودة في كثير من البلدان الإفريقية وهي حزم الحطب المعدة للبيع يشتريها الناس للوقود.

ورأيت بعض النساء في هذه البلدة التي هي مدينة صغيرة في غاية التستر حيث يلبسن الرداء الطويل الذي يوضع على الرأس وينزل منه حتى يصل وسط الجسم، فيغطي الصدر والظهر، ولا يرى من المرأة مكشوفاً إلا وجهها وكفيها وأحياناً قدميها.

وبعدها مباشرة مررنا بجنود آخرين يوقفون السيارات ويتحققون منها لشئين أولهما تفتيشها بحثاً عن السرقات التي قد تكون تحملها والثاني من أجل عدم مرور سيارات هي نفسها مسروقة من هنا وقد تباع أو تفكك في ولايات أخرى، ويبلغ عن سرقتها من ولايات أخرى.

أخلف الله ظنهم:

ذكرت وأنا أرى جنود هذه الولاية المسلمة يحرصون على أمن الناس سواء أكانوا من أهل الولاية نفسها أو من الولايات الأخرى الذين جاءوا إليها، ما كنت قرأته قبل نحو عشرين سنة في كتاب نشره أحد المتعصبين من المنصرين، وأحدث اضطراباً وحزناً لكثير من الإخوة المسلمين الذين اعتادوا على أن يصدقوا كل ما يقوله الأوروبيون عن العلاقة بين الشعوب أو يصدقوا أكثره، إذْ زعم أولئك المنصرون أنهم نجحوا في تنصير طوائف من المسلمين في نيجيريا وأنه لا ينقضي ذلك القرن العشرين إلا وتصبح نيجيريا كلها نصرانية، أو قالوا إلا وتصبح أغلبيتها نصرانية.

أما أنا ولواقع ما أعرفه عن انتشار الإسلام في العالم، و الإقبال عليه وانصراف بعض النصارى عن النصرانية فإنني لم أقابل ذلك الكلام إلا بالسخرية، وقلت: هذا كذب جاهل، وليس كلام مفتر بل هو كذب حاقد مقصود.

وقد أخلف الله ظنهم، وخيَّب فألهم، إذْ انعكس الأمر عليهم، وعندما حل القرن الحادي والعشرون، ومعه الموعد الي حددوه كان العكس هو الصحيح، لقد ازداد عدد المسلمين باعتراف المحايدين، وكثرةالمسلمين الأصلاء، وليس ذلك فحسب وإنما تحسن وضع المسلمين فازدادوا تمسكاً بدينهم، ومن أظهر ذلك هذا العدد المتزايد من الولايات النيجرية التي ألغت الأخذ بالقوانين الوضعية فيها واتخذت الشريعة الإسلامية قانوناً لها، ومنها هذه الولاية التي نسير الآن فوق أرضها، وسوف نحل في عاصمتها (منى) بعد قليل، حتى بلغ عدد الولايات النيجيرية التي أخذت بالشريعة الإسلامية خمس عشرة ولاية من مجموع ولاياتها الذي يبلغ ستة وثلاثين.

وقال ذلك النصراني الكذاب المتعصب: إنه لن يحل القرن الحادي والعشرون إلاَّ وتكون إندونيسيا أيضاً قد أصبحت دولة نصرانية، وضرب شاهداً على ذلك في ارتداد جماعة من أهلها عن الإسلام ودخولهم في النصرانية في جزيرة بورنيو.

وهذا اقلقنا بالفعل، وسألت إخواننا المهتمين بالدعوة الإسلامية عنه ومنهم صديقنا الشيخ محمد ناصر رئيس وزراء إندونيسيا السابق رحمه الله وصديقنا الدكتور محمد رشيدي أول مندوب لإندونيسيا في الأمم المتحدة، وكان يدير مكتب رابطة العالم الإسلامي في إندونيسيا وشغل قبل ذلك أكثر من منصب وزاري عن صحة هذا الأمر، فأكدوا لنا أن له أصلاً صحيحاً وهو أن الحكومة

الإندونيسية كانت نقلت جماعات من المواطنين الريفيين الذين هم من أبناء المسلمين ولكنهم لا يعرفون عن الإسلام شيئاً من أماكن مزدحمة كانوا فيها من جزيرة (بورينو) الكبيرة إلى أماكن خالية في الجزيرة، وأعطتهم أراضي لكي يزرعوها ويعيشوا في تلك الأماكن بصفة دائمة، ولكنها لم توفر لهم أية مرافق في تلك الناحية، إما بسبب الإدارة الحكومية البطيئة (الروتين) أو بسبب عدم قدرتها على ذلك أو لتهاونها فيه.

قالوا فانتهز المنصرون ذلك وفتحوا عندهم مدارس تنصيرية ومستشفيات أو قالوا مستوصفات وأنشأوا طرقاً في قراهم وأغروا أناساً منهم باعتناق المسيحية فاستجابوا لذلك عن غير اقتناع وإنما تحت تأثير ما ذكر.

قالوا: فلما عرف القائمون على الجمعيات الإسلامية وأهل الغيرة من المواطنين وكبار الوزراء بذلك بادروا إلى إرشادهم وتبصيرهم، وقدموا بعض المشروعات المهمة لهم فعاد أكثرهم إلى الإسلام.

ونعود نحن إلى الحديث عن سيرنا في هذا الطريق إلى (منى) فنقول: إننا شاهدنا مناطق واسعة خضراء خالية من العمارة والسكان، وتكررت رؤية الجنود الذين يوقفون السيارات ويفتشونها حذراً من أن تكون فيها أشياء مسروقة.

ورأيت في الطريق أيضاً عششاً- جمع عشة- على الطريق معظمها دكاكين بسيطة مفتوحة على الطريق بمعنى أنها لا حائط في الواحدة منها مما يلي الطريق.

قرية لمبت:

هذه قرية صغيرة اسمها (لمبت) وصلنا إليها أكثر بيوتها مقامة من الخشب والقش على هيئة عشش، وفيها مسجد جيد المظهر مبني على الطريق له منارتان، فيها نخل من نخيل الزيت لم نره إلا هنا منذ أن غادرنا (أبوجا).

ومررنا بعدها بمسجد آخر على الطريق أبيض الطلاء بمنارته التي هي بيضاء.

قرية غاو بنجيدا:

تبين أن هذا المسجد الذي رأينا منارته بيضاء على البعد واقع في قرية لم نرها على البعد لكون المسجد هو أكثر أبنيتها ظهوراً اسمها (غاو بنجيدا) رأينا فيها أناساً كثيراً على الطريق الذي يشقها أوهي أقيمت، وبعض منازلها عليه ومن هؤلاء مجموعة من الشبان الأقوياء الأجسام، كنا رأينا جماعات منهم في سائر أنحاء نيجيريا، مما يدل على أن الناس الآن يحصلون على مقادير كافية من الغذاء أو هذه هي حال أكثرهم.

ثم دخلنا أرضاً معشبة بعد مطر كان نزل عليها منذ أيام.

هذا وقد تراكم سحاب ثقيل على الأفق فخشينا من المطر الذي قد يكدر علينا الجولة في هذه الولاية، ولكن الله سلم.

ومع هذه المناظر الجميلة التي تدل على الخصب والنماء رأينا فلاحات بائسات يسرن بجانب الطريق وهن من أهل الريف هنا.

ومررنا بأغنام من الضأن كبيرة الأحجام من أغنام الهوسا تكون في حجم الغنم السودانية التي ترد إلينا من السودان أو أكبر من ذلك.

وهذا خلاف ما رأيناه أمس من معزى صغيرة في (اينوقو) قصيرة الأرجل حتى لا ترتفع عن الأرض أكثر مما ترتفع أجسام القطط إلا بقليل وهي بأحجامها الصغيرة وقوائمها القصيرة وبطونها الكبيرة أعجوبة العجائب.

وقبل الوصول إلى مدينة (منى) العاصمة بـ٣٩ كيلومتراً مررنا بمجموعة من المنازل مبنية من الطين ومسقفة بالصفيح الذي جعلوه ذا اردان واسعة حتى يحموا جدران البيت من المطر، أما لون التربة فإنه لا يرى من كثرة الأعشاب والخضرة التي تجللها إلا أننا مررنا بحفرة حديثة فرأينا لون التربة ذهبياً جميلاً.

الغريب أنني لم أر هنا أشجار موز ولا نارجيل، مع أن مثل هذه الأرض هي أرضه وإنما رأيت أشجاراً مزدهرة من العمبة (المانجو).

وقبل الوصول إلى مدينة (منى) مررنا بمطارها على البعد ورأينا منه خزاناً ضخماً للوقود ذكروا أن حجاج هذه الولاية يقلعون من هذا المطار إلى جدة ويستعمل الآن للرحلات الجوية الداخلية.

هذه منى:

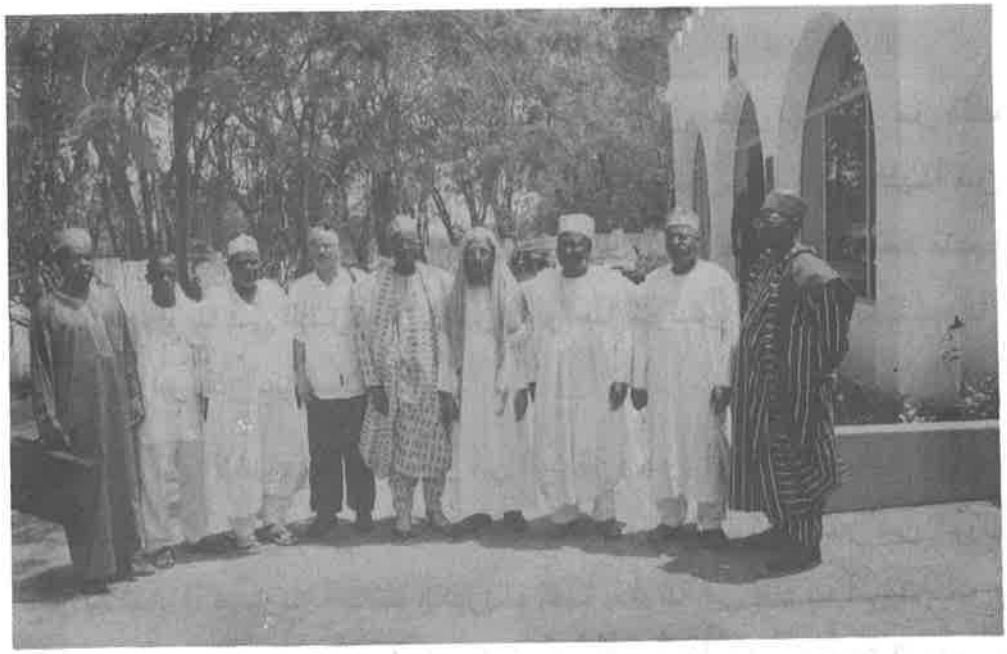

صورة تذكارية أمام مقر حاكم ولاية النيجر في مدينة مني، عاصمة الولاية

دخلنا إلى مدينة (منى) مع شارع مزدوج بمعنى أنه قسمان، أحدهما للسيارات الداخلة إلى المدينة والثاني للخارجة منها بينهما جزيرة فيها أعشاب طبيعية لم تزرع ولاحظت أن القمصان الشبيهة بالعربية التي يلبسها المسلمون في نيجيريا أكثر من اللباس الإفرنجي على الرجال فيها.

وكان دخولنا إلى المدينة مع ضاحية معشبة خضراء توشحها أشجار العمبة (المانجو) الضخمة التي تكاثرت بعد الدخول إلى منطقة المدينة.

ورايتهم زرعوا في الجزيرة بين اتجاهي الشارع أشجاراً قصيرة مقصوصة لا أعرفها، ثم دخلنا المدينة مع بوابات سقفها كالقوس في كل اتجاه من اتجاه الشارع بجانبها قوسان صغيران.

ثم وصلنا إلى ميدان مجمَّل أي معتنى به.

مدينة الرؤساء:

قلت في نفسي: إن هذه المدينة المهمة جديرة بأن يعتنى بها أكثر من ذلك لأنها عاصمة ولاية إسلامية، ولكونها قبل ذلك، أخرجت عدداً عديداً من الشخصيات الكبيرة واللامعة يكفي أن نذكر منهم رجلين صار كل واحد منهما رئيساً لنيجيريا في الفترة من الفترات وهما الرئيس (إبراهيم بابا نجيدا) والرئيس (أبو بكر عبدالسلام).

كان من الأشياء اللافتة للنظر في المدينة وجود أسلاك كهربائية هوائية أي ذات أسلاك مقامة على أعمدة الخشب وهو أمر قد تجاوزته كثير من الدول مثل بلادنا، إذْ صارت أسلاك الكهرباء كلها مدفونة في أنابيب في الأرض، وليس معنى هذا كون الكهرباء في الحديث منثورة الأحياء متباعدة النواحي،

وليست مكومة ذات بيوت متلاصقة وهذا أمر جيد كما هو معروف، وفيها أشجار (المانقو) الضخمة ذات الظل الظليل وكلها تعيش من دون سقي فلا تسقي أبداً إلا من تدي السماء كما عبر عن ذلك بعض الكتاب.

ومع العناية الظاهرة بالمدينة فإنني رأيت قمامة كبيرة لم تبعد من مكانها.

وبينما كنا نسير في الشارع الجيد اعترض طريقنا بقر حسن المنظر كبير الحجم معها راعيها.

ورأيت عنزاً تبحث عما تأكله على كومة من القمامة كما تفعل البقر في المدن الهندية، وقد ذكرت ذلك في الكتب التي ألفتها عن الرحلات في الهند، وبخاصة في ولايتي بيهار، و(مدهي برديش)، ومعنى اسمها الولاية الوسطى.

وفد الرابطة في زيارة مركز أبي تراب الإسلامي في منى عاصمة ولاية النيجر

ودخلنا شارعاً تزين حيطانه زهور الجهنمية الوردية وهذه أول مرة أرى فيها شارعاً فيه زهور فيما رأيته من مدن نيجريا في هذه الرحلة الحاضرة، ولكن الشارع لم يسلم من وجود أوعية الوقود- البراميل من اللدائن- وغير بعيدة كومة من القمامة.

وعندما رأيت القمامة في هذه المدينة الجميلة المعتنى بها ذكرت ما كنت أسمع في مكة المكرمة، قبل نحو خمسين عاماً أي قبل التطور الاقتصادي المذهل في بلادنا، وقبل استقلال معظم الدول الإفريقية أن رجال التكارنة وهم إخواننا من الأفارقة الذين يهاجرون إلى مكة المكرمة يريدون وجه الله، فيتركون أموالهم وديارهم ويشتغل رجالهم سقائين للماء أو عمَّالاً في البناء ونحوه وتشتغل نساؤهم في تنظيف البيوت التي لا يجوز أن يدخلها الرجال الأجانب من القمامة، وقلت في نفسي، ألا يمكن أن نطالبهم الآن بأن ينظفوا مدنهم من هذه القمامات؟

ومررنا مع شارع اسمه (إوكادار زر) فسروا ذلك لنا بأن معناه شارع الدراجات النارية.

وقد رأيت الدراجات النارية في هذا الشارع كثيرة والشارع أخضر ذو أشجار عالية وارفة الظلال مثله في ذلك مثل هذه الناحية من المدينة.

استراحة الحاكم:

وقفنا عند مبنى جيد وسط ما يشبه الحديقة الخضراء ذكروا أنه استراحة الحاكم ويريدون به حاكم ولاية النيجر هذه الذي هو صديقنا المهندس عبدالقادر كوري.

وقد وصلناها في الحادية عشرة.

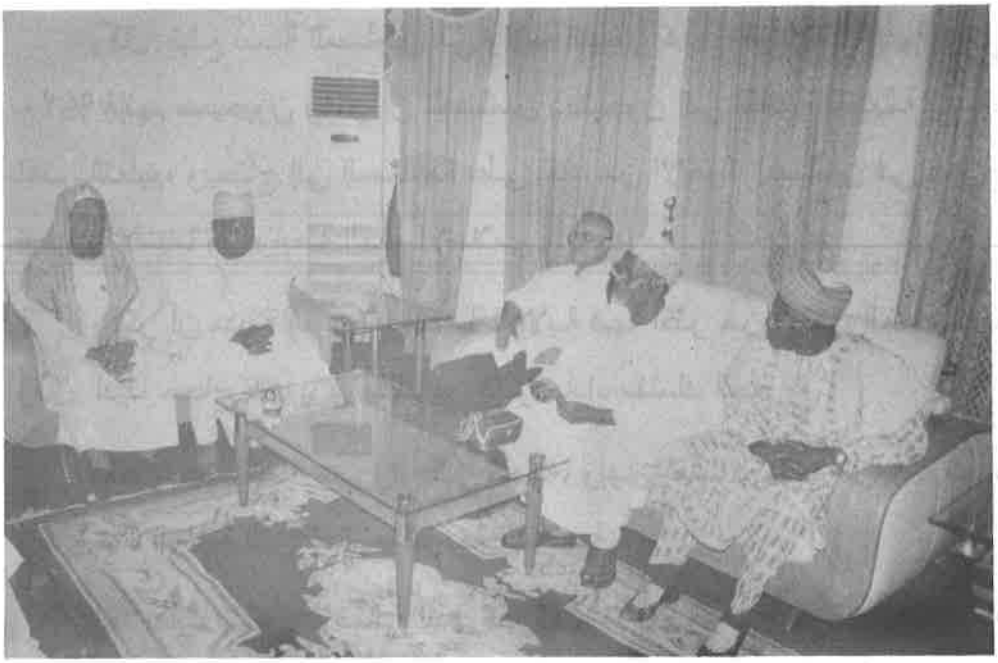

وفد الرابطة في مكتب حاكم ولاية النيجر في مدينة منى عاصمة الولاية

وجدنا في استقبالنا في استراحة الحاكم عدداً من الشخصيات هم:

إبراهيم أحمد رئيس المراسم بقصر حاكم الولاية.

والقاضي عمر كرو رئيس المحكمة العليا.

والشيخ يوسف سليمان رئيس مؤسسة أبي تراب التعليمية.

أجلسونا على مقاعد وثيرة في استراحة الحاكم فرحب بنا نائب الحاكم حيث ألقى كلمة تضمنت الترحيب باسم المسلمين في هذه الولاية، وذكر أن الإسلام ينتشر ولله الحمد إلا أن بعض المسلمين لا يفهمون الإسلام فهماً صحيحاً، لذلك رأى حكام الولاية المهندس عبدالقادر كوري إنشاء مشروع تعليمي.

وقال: تبلغ نسبة المسلمين في ولاية النيجر هذه ٨٠% أما البقية وهي ٢٠% فإنهم مسيحيون وذكر أن المسلمين يحتاجون إلى التقنية الحديثة ولذلك اهتم بالتعليم، ويحتاج إلى المساعدة على ذلك من الإخوة المسلمين في خارج نيجيريا لاسيما من رابطة العالم الإسلامي.

وذكر أن مدينة (منى) عاصمة الولاية فيها أكثر من مائتي ألف مسلم، وقال: لدينا حجاج كثر يريد بذلك من قاموا بأداء مناسك الحج.

فألقيت فيهم كلمة هي رد على كلمته، وبيان لمشاعر وفد الرابطة تجاه زيارة هذه الولاية التي تحكم بالشريعة المحمدية.

وقد بدأت بشكر الله تعالى الذي قدر هذا الاجتماع ثم شكر حاكم الولاية المهندس عبدالقادر كوري على دعوته لزيارة الولاية ثم لكم أنتم أيها الإخوة الذين تعاضدونه وتساعدونه على أن تكون هذه الولاية التي اختارت الشريعة الإسلامية نظاماً أن تظهر بالمظهر اللائق، وأن تأخذ بمدارج الرقي، وأن تضمن المساواة في الحقوق لجميع أبنائها وحتى للمواطنين من غير أهلها الذين يزورونها أو يحلون بربوعها.

ثم بينت مهمة رابطة العالم الإسلامي وأنها الدعوة إلى الله وتوثيق العلاقات مع الأخوة المسلمين في جميع أنحاء العالم.

وقلت لهم: إن الأخوة الإسلامية أقوى من أخوة النسب لأن أخوة النسب أرضية سببها الجسد والجسد من تراب وإلى التراب يعود، أما الأخوة في الإسلام فإنها سماوية لأن الله سبحانه وتعالى قد عقدها بين المسلمين فقال: (إنما المؤمنون إخوة).

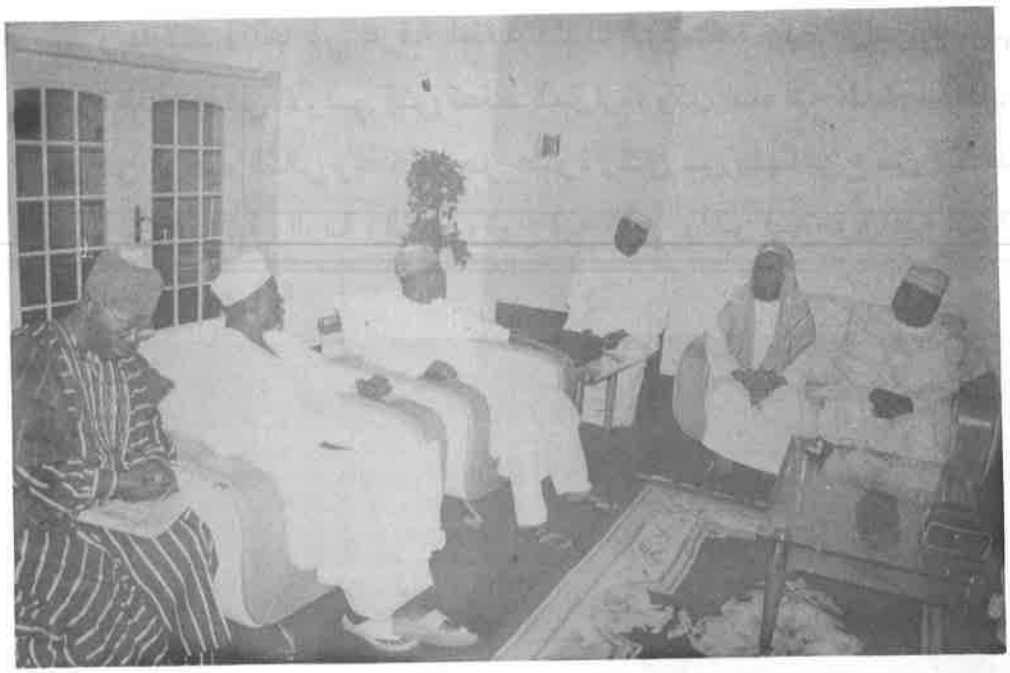

نائب حاكم النيجر يرحب بوفد الرابطة في مقر حاكم الولاية

ثم ضربت لهم مثلاً على ذلك بحالة بلال بن رباح وهو إفريقي كيف كان من السابقين الأولين من أفاضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه آمن بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وأطاعه وبالمقابل يوجد أبولهب الذي هو عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ونسبه في الذروة من قريش ولكنه عصى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبه وآذاه، فأنزل الله في حقه سورة تتلى إلى يوم القيامة، وهي قوله تعالى (**تبت يدا أبي لهب وتب**) الخ السورة، ولم ينفعه قربه في النسب من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولم يذكر الله سبحانه وتعالى في القرآن أي شخص ممن عادى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاسم إلا أبا لهب، وهذا لحكمة بالغة هي- والله أعلم- لكي يعلم الناس أن القرابة من النبي أو من الولي أو الرجل الصالح لا تنفع عند الله إذا لم يكن لصاحبها عمل صالح.

وبعد ذلك انتقلنا إلى غرفة الطعام فألفينا فيها مائدة عليها أواني الطعام الكثيرة المتعددة في الأواني التي تحفظ الحرارة، وكل إناء فيه طعام مخالف للذي في الوعاء الثاني وعددها نحو عشرة وكان من بينها نوع من اسقاط الذبيحة من الكرشة والرئة والكبدة ونوع فيه الأرز وأخر فيه مرق فيه شطة وآخر ليس فيه حرارة.

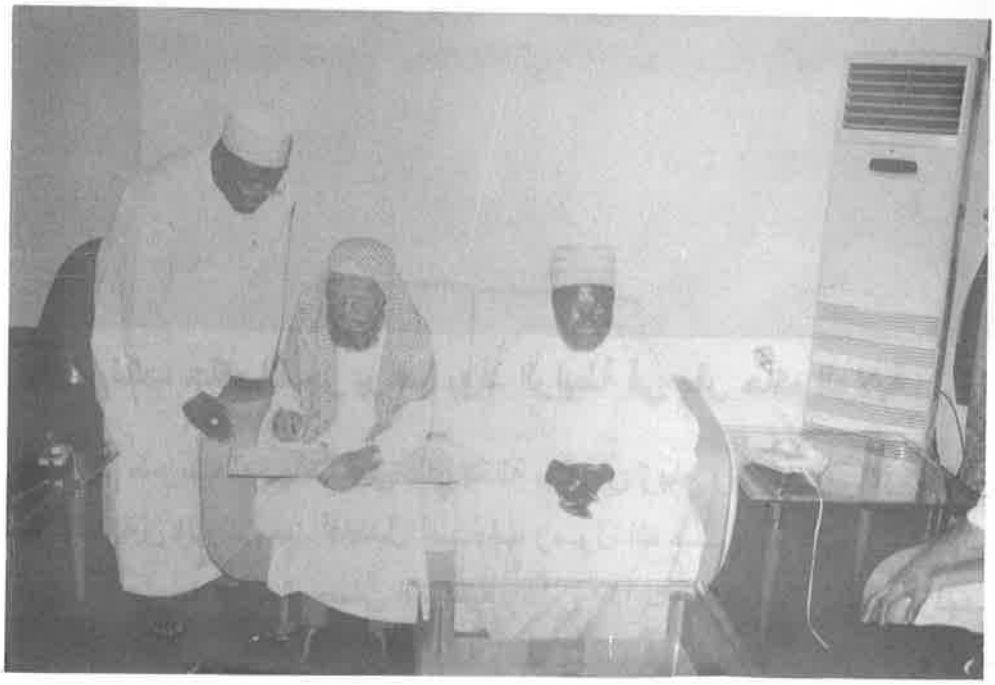

المؤلف يكتب كلمة في سجل الزيارات لقصر حاكم ولاية النيجر

مجمع أبي تراب التعليمي:

غادرنا استراحة الحاكم التي أظنها جزءاً من قصره، وذهبنا بالسيارات إلى ضاحية قريبة حيث وجدنا مجمعاً تعليمياً اسمه (مجمع أبي تراب) وأبو تراب: هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه كما هو معروف.

وكان أول ما زرناه مدرسة تضم قسماً متوسطاً وقد رأيناها كلها حديثة جيدة، بل مدارس عصرية على أحدث طراز ومن ذلك أننا رأينا في غرفة الحاسب الآلي فيها ٦٢٧ جهاز (كمبيوتر) ذكروا أنها تبرع محسن كبير من أهل مكة اسمه (عبداللطيف سيف الدين) ويضم هذا المجمع مدرسة ابتدائية وحضانة.

وعندما وصلنا فصل الحضانة أنشدت فرقة منهم هذا النشيد باللغة العربية:

مرحباً بكم يا ضيوفنا أهلاً وسهلاً يا ضيوفنا

بوجودكم فرحة لنا

وأما بالسنة الأولى الابتدائية فإننا عندما دخلنا عليهم وسلمنا عليهم قالوا بلسان شخص وبصوت منغم: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، يا معلم.

وواضح أنهم كانوا يقولون هذا للمعلم كل يوم، وبلغة واضحة ومن هؤلاء الأولاد الصغار.

انتقلنا سيراً على الأقدام وسط أرض المجمع التعليمي الواسعة التي تقع في موقع حسن من إحدى ضواحي المدينة.

والملاحظ أن الأرض خضراء يجللها عشب أخضر بسبب مطر كان وقع عليها قبل أيام، إلاَّ أنهم نظفوا ما قرب من الفصول من العشب والخضرة كأنما يرون أن العشب الأخضر، بل وخضرة الأرض مما يجعلها تبدو غير نظيفة، وذلك لكثرة العشب والخضرة عندهم.

ثم دخلنا فصلين في غاية النظافة والترتيب من حيث المقاعد والسبورات ونظافة ملابس الطلاب وما ظهر من أجسامهم.

مدخل مقر المحكمة العليا الإسلامية في ولاية النيجر

مسجد أبي تراب:

انتقلنا بعد ذلك إلى مسجد يعملون في بنائه اسمه (مسجد أبي تراب) على اسم هذا المجمع لأنه في داخله بل هو يتوسط أرضه المسورة الواسعة، وغير بعيد من أرض المدرسة الثانوية فيه، وقد بدؤا ببنائه بداية طيبة وانتهوا من صب وبناء كل شيء فيه حتى قارب التسقيف فنفد ما عندهم له من النفقة ووقفوا وسألتهم عما إذا كانوا طلبوا من الرابطة في السابق أن ترسل لهم معونة على إتمامه فنفوا ذلك، وذكروا أنهم لم يعرفوا أن ذلك قد تأتي منه مساعدة على بناء المسجد.

وقد بنوه بالأسمنت المسلح القوي وحيطانه من الآجر الأحمر الجيد، فقدمنا إليهم مساعدة رمزية حاضرة اسهاماً في نفقات البناء هي خمسة آلاف

دولار أمريكي، وقلنا لهم: إنه ينبغي لهم أن يتقدموا بطلب نأخذه معنا للمساعدة ونرجو أن ينتج عنه إرسال مساعدة مجزية لبناء المسجد، لأنه سيكون عن طريق لجنة المساعدات في رابطة العالم الإسلامي.

قاعات المعامل:

ثم ذهبنا معهم إلى رؤية قاعات المعامل واسموها القاعات الأكاديمية ومعها قاعة واسعة مبنية على أحدث طراز حتى إن لها سقفاً مستعاراً مكلفاً ذكروا أنها ستكون للحاسب الآلي يتعلم فيها الطلاب ويمارسون تجاربهم فيها وكذلك أرونا قاعة أخرى تحتاج إلى تكميل وقد انتهوا من تسقيفها، ولا تحتاج إلا إلى قليل من التجهيز ذكروا أنها ستكون للمعامل الكيمائية ولمعامل تعليم اللغة، ويحتاجون إلى المساعدة على إكمال هذه المنشآت الكبيرة المهمة.

وأرض المجمع كلها خضراء معشبة، وكل الأبنية فيها حديث بل على أحدث طراز وذكروا بثقة أنّ من المقرر أن تكون أبنية هذاا لمجمع مكتملة كلها بعد خمس سنين من الآن.

قدمنا لهم أيضاً مساعدة رمزية قليلة للمدرسة هي ثلاثة آلاف دولار، ودعونا لهم حسب طلبهم دعاء مطولاً بأن ييسر الله أمرهم وأن يقر عيونهم وعيون المسلمين جميعاً بإتمام هذا المشروع التعليمي الإسلامي على الوجه الذي يريدونه وأحسن من ذلك، وكانوا يؤمنون على الدعاء بقلوب حاضرة.

إدارة الشريعة:

وفد رابطة العالم الإسلامي في إدارة المحاكم الشرعية في ولاية النيجر

ذهبنا معهم مع شوارع جيدة في هذا القسم الجيد حتى وصلنا مبنى حديثاً مجهزاً تجهيزاً عصرياً ومن ذلك مكتب مؤثث بأثاث عصري ثمين ذكروا أن هذا هو لإدارة الشريعة وشرح لنا المسؤول عن هذه الإدارة مرافقنا الشيخ موسى عيسى وقال: أنشئت هذه الإدارة قبل ست سنين وعملها يتعلق بالحج والعمرة والزكاة والحدود الشرعية، بل إنه كل ما يحتاج إلى إيضاح في التطبيق في الشريعة الإسلامية، لاسيما على المسائل العصرية وما يتعلق بممارسة تطبيق الشريعة، وكذلك ما يتعلق بالتعزير وحد شارب الخمر.

قال: وأهم ذلك أن نبين للناس والمراد بهم المسلمون من أهل البلاد القواعد الأساسية للأمور الشرعية، قال: وعندنا كتاب بالإنكليزية يوضح هذه الأمور وما يتعلق بها.

قال: وهناك مشروع تدريب عدد من الأشخاص على الدعوة الإسلامية والتعريف بالإسلام.

وعندما ودعناهم وجدناهم صفوا عدداً من الرجال في حدود ١٤ أو ١٦ رجلاً عليهم لباس خاص شبيه بملابس الشرطة، وليس به وقدموهم لنا قائلين: هؤلاء رجال الحسبة في الإسلام نكلفهم بتنفيذ كل ما يقتضيه نظام الحسبة في الإسلام.

رجال الحسبة في ولاية النيجر يرحبون بالمؤلف

وألقيت كلمة في رجال الحسبة هؤلاء ووصيتهم بالعدل بين الناس وبتحري الصدق في القول والإخلاص في العمل حتى يرى غير المسلمين ما لدى المسلمين من التعاون على الخير في الإسلام وطريقتهم في مراعاة المصالح العامة.

كلية الآفاق الجديدة:

انتقلنا بعد ذلك من مجمع أبي تراب التعليمي إلى مجمع تعليمي آخر متقدم عليه لأنه أقدم منه عهداً، بل هو مجمع مستكمل كان أصله مدرسة اسمها مدرسة الآفاق الجديدة تفرعت عنها (كلية الآفاق الجديدة) وأنشئت فيها مدارس ابتدائية وثانوية للبنين والبنات.

وهذا المجمع المهم صاحبه صديقنا وزميلنا في المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي الشيخ أحمد ليمو عضو المجلس.

ويقع في مساحة كبيرة مسورة لا يمكن التجول فيه إلا على السيارة، وهذا ما حصل فعلاً إذْ أركبنا الشيخ أحمد ليمو سيارة له فخرجنا من مكان إلى مكان.

يصافح الشيخ أحمد ليمو الأستاذ محمد الحساني عضو وفد الرابطة

كان الشيخ يرتدي الملابس العربية كملابسنا إذْ عليه قميص عربي وعلى رأسه غترة سعودية بيضاء، ولونه السمرة، وهو يتوثب نشاطاً، ويتدفق حيوية وحماساً لهذا المشروع التعليمي الراقي.

ومشروعه معروف بل مشهور، ولذلك تعترف الحكومة بالشهادات التي تصدر منه، وتقبل من يتمون مرحلة دراسية فيه في الالتحاق بالمرحلة التي تليها في إدارة التعليم الحكومية.

دخلنا فصلاً هو الأولى الثانوية للبنات، والتقطت فيه صورة مع الشيخ أحمد ليمو ثم دخلنا معهم إلى غرفة الحاسب الآلي (الكمبيوتر).

وكل غرف الدراسة واسعة مستكملة فيها المقاعد الدراسية الكافية، وفيها الطلبة أو الطالبات الذين تبدو العناية الكاملة على مظاهرهم في اللباس وغيره.

وتتوافر في هذا المجمع التعليمي الراقي الحدائق والملاعب الرياضية.

توزيع المساعدات:

فصل من طالبات الابتدائية الإسلامية في مؤسسة الشيخ أحمد ليمو

بعد الانتهاء من الجولة في مجمع (مدرسة الآفاق الجديدة) الذي يشغل أكثر من مكان ومن مدرسة وكلية جمعنا الجميع من المرافقين الذين كانوا معنا من أهل مدينة (منى) هذه، وهم أهل مجمع أبي تراب وأهل إدارة الشريعة في غرفة واسعة من مجمع الآفاق الجديدة بل هي قاعة اجتماعات واسعة ووزعنا المساعدات الرمزية العاجلة التي أعطيناها الجميع فأعطينا مجمع أبي تراب خمسة آلاف دولار لمسجد أبي تراب، وثلاثة آلاف لمدرسة أبي تراب الثانوية.

وأعطينا الشيخ أحمد ليمو ثلاثة آلاف دولار لكلية الآفاق الجديدة، وألفي دولار لمسجد الآفاق الجديدة الذي لا يزال تحت التاسيس.

وأعطينا غيرهم شيئاً قريباً من ذلك.

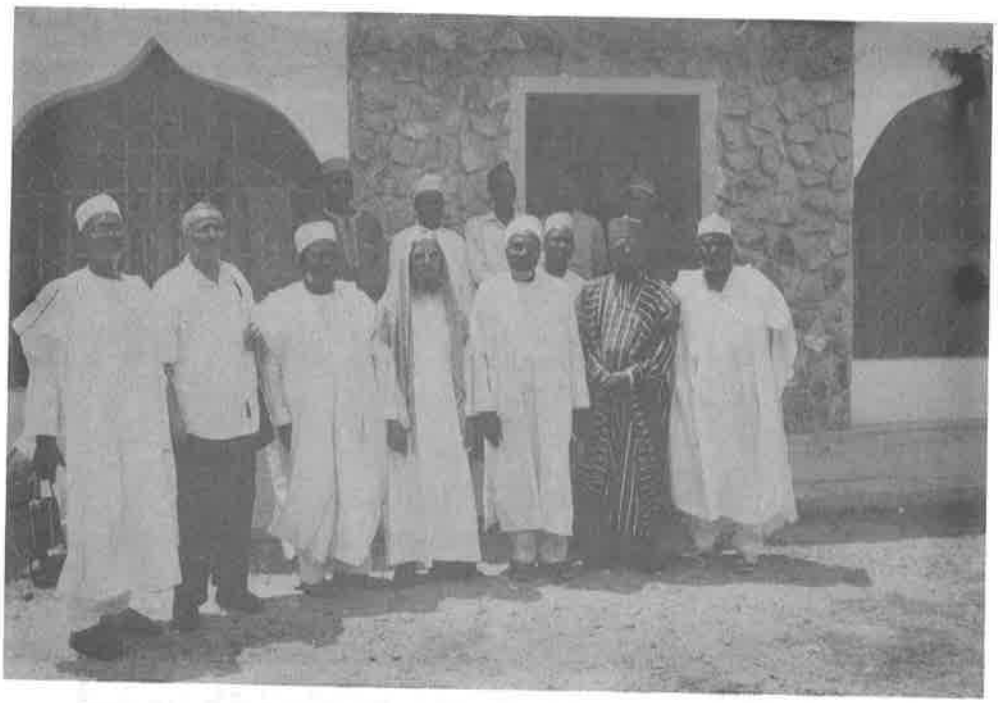

صورة تذكارية عند مؤسسة الشيخ أحمد ليمو في مني- ولاية النيجر

مسجد تونقا الجديد:

انطلقنا لرؤية مسجد جديد تحت النباء فاخترقنا مدينة (منى) الجيدة فمررنا بمسجد ذي قبة ذهبية وقبله مسجد آخر ذو قبة خضراء كلاهما على شارع رئيسي ورأينا- أيضاً- على البعد مسجدين كبيرين غيرهما.

فوصلنا إلى مسجد عظيم فخم يسمى (مسجد نيوتونقا) أي مسجد حي تونقا الجديد، فوجدنا بنيانه قوياً، بل هو أكثر من ذلك بحيث يظن من يراه على البعد كأنه قلعة من القلاع، وذلك لقوة بنائه وسعة أركانه.

ومن العجب الغريب أن يكون بهذه المثابة من القوة والسعة مع أن النفقة عليه هي من التبرعات التي تجمع قليلاً قليلاً.

ولعظمة وسعة مساحته وأهم من ذلك قوة بنيانه وما يحتاج ذلك إليه من نفقة كانوا بدؤا العمل به منذ خمس سنوات ولا يزالون بعيدين عن إكماله.

وتقوم على بنائه جمعية المسلمين في منى ألقيت فيهم كلمة في المسجد عبرت فيه عن شعوري وشعور زميلي في الرحلة الأستاذ محمد بن أحمد الحساني، وقلت فيها: إن هذا العمل في هذا البيت من بيوت الله هو دليل على عميق إيمان الإخوة الذين قاموا عليه، ومدى اتكالهم على الله في أن ينتهي هذا المسجد العظيم على ما أرادوه له من السعة والقوة والفخامة وهو لا يستكثر على أهل ولاية النيجر التي اتخذت الشريعة الإسلامية طريقاً للحكم ومنهجاً للإدارة فيها.

وإننا نسأل الله تعالى أن يقر عيوننا وعيونهم بإتمامه على ما أرادوا وأردنا معهم له أن يكون.

المسجد الذي يحتاج إلى إكمال في مدينة مني في ولاية النيجر

ثم دعوت لهم بدعوات أرجو أن تستجاب، وقلت لهم: إن الإنسان إذا لم يعمل عملاً صالحاً فإنه يكون كالحيوان الذي يأكل ويشرب ويموت.

أما الذي يعمل عملاً صالحاً كالعمل في إنشاء هذا المسجد فإنه ذو الحظ العظيم الذي وفقه الله للعمل الصالح وتلك منة كبيرة لرب العالمين عليه.

ثم أعلنا لهم تقديم تبرع رمزي عاجل، بل حاضر هو أربعة آلاف دولار أمريكية.

وبعد أن التقطنا معهم صورة تذكارية ودعناهم في طريقنا للعودة إلى أبوجا.

صاحب الفضيلة الشيخ أحمد ليمو، على يمين المؤلف في إدارة المؤسسة

العودة إلى أبوجا:

في الرابعة والربع عصراً بدأنا العودة إلى مدينة (أبوجا) ولم نتوقف في الطريق لتصوير أو لغيره لأننا كنا فعلنا مثل ذلك في القدوم إلى مدينة (منى) ولذلك وصلنا إلى أبوجا في السادسة إلا الربع فكانت المسافة استغرقت ساعة ونصفاً على سيارة الحاكم الجديدة من طراز (مرسيدس).

وزيارة رئيس القضاة ونائب رئيس الاتحاد الإسلامي في نيجيريا:

في الثامنة مساء ذهبنا إلى مقر الاتحاد الإسلامي الواقع في ملحق بالجامع الوطني الكبير لزيارة الشخصين (محمد بشير سمبو) رئيس القضاة ويسمونه هنا (قاضي القضاة) وهو لفظ يكرهه بعض العلماء مع أنه لم يرد النهي عنه في الحديث، وإنما ورد النهي عن التلقيب بملك الملوك، وعلل الحديث ذلك بأنه لا مالك إلا الله، ولكن العلماء الذين كرهوا لقب (قاضي القضاة) قاسوه على ملك الأملاك، أو ملك الملوك، وهذا قياس غير مطابق تماماً إذْ المراد من قاضي القضاة، هو كبير القضاة، ولذلك جعلها بعضها بلفظ (أقضى القضاة) أي أقدر القضاة على القضاء وأعرفُهم به.

ونحن مع الذين لا يستعملون هذا الاصطلاح (قاضي القضاة) لأن في الألفاظ الأخرى المباحة كرئيس القضاة ما يغني عن ذلك.

أما الشيخ محمد بشير سمبو فإنهم يسمونه أصلاً رئيس محكمة الاستئناف العليا وله عندهم على هذا الاعتبار مقام كبير.

والشيخ الثاني هو الشيخ إبراهيم مكوشي وهو نائب رئيس اتحاد مسلمي نيجيريا الذي يضم المسلمين في نيجيريا كلهم، ورئيس الاتحاد هو (أمير المؤمنين) المقيم في مدينة (صوكوتو) التي زرتها في المرة الأولى لزيارة نيجيريا وجلست مع أمير المؤمنين، وقد توفي ذلك الرجل رحمه الله ويوجد الآن شخص آخر يسمى مثله (أمير المؤمنين) وهذا المنصب شرفي، ولكن له اعتباره لدى مسلمي نيجيريا فأمير المؤمنين أعلى المسلمين رتبة عندهم، وهو رمز لوحدتهم، كما أنه رمز لدولتهم الإسلامية النقية التي أقامها الشيخ (عثمان

دان فـودي) فـي شـمال نيجيريـا، وأسـتمرت مزدهـرة حتـى قضـى عليهـا المستعمرون الإنكليز.

والقصـد مـن زيـارة هـذين الشـيخين الكبيـرين هـو التباحـث فـي الشـئون الإسلامية، وفي التعاون ما بين رابطة العالم الإسلامي وبين الاتحاد الإسلامي وغيره من المؤسسات بل من القيادات الإسلامية في نيجيريا.

والشيخ إبراهيم مكرشي هو المشرف على الجامع الوطني الضخم الذي صلينا فيه الجمعة الماضية وعلى ما يتعلق به.

كان الاجتماع في غرفة الإدارة للمركز الإسلامي الذي من بين ما يتبعه هذا الجامع الوطني العظيم.

بدأت الجلسة بمذاكرة مفيدة أخبرتهم بذكرياتي عن زيارة أمير المؤمنين في (صوكوتو) وبلقائي المطول مع وزيره الشيخ أبو بكر جنيد وهو شخص ذكي بل يتقد ذكاءً إلى ذلك هو نشيط الذهن، حاضر البديهة، أول ما قال لي عندما عرف أنني أعمل في كتابة كتاب عن زيارتي لنيجيريا- الزيارة الاولى- قال لي: لا تكتب كذب بكذب!!!

وقد فزعت من قوله ذلك حتى أوضح مقصوده بأن رجلاً من البلدان العربية جاء إليهم وحصل على معلوما ت بحجة أنه سوف يكتب كتاباً، وقد كتب كتابه بالفعل وذكر فيه شيئاً غير صحيح، وهو أن الشيخ (عثمان دان فودي) قد تأثر بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب عند ما حج يعني الشيخ عثمان، مع أن الشيخ عثمان لم يحج أصلاً، وإنما نوى الحج وسار في طريق الحج حتى اعترضه أمر وهو في مدينة (أغاديس) تلك المدينة الصحراوية التي زرتها وذكرت زيارتي لها في كتاب (أيام في النيجر).

فرجع الشيخ عثمان من تلك المدينة.

وكنت عرفت شيئاً من ذلك وقررت في كتابي الأول في نيجيريا الذي طبع بعد ذلك في مجلدين تحت عنوان: (قصة سفر في نيجيريا) بأن الشيخ عثمان دان فودي لم يتأثر بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب لأنه قام بإنشاء دولته قبل أن تتوسع دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في نجد، بل قبل أن تعرف خارج نجد.

هذا وكان الشيخ أبو بكر الجنيد وزير أمير المؤمنين دعاني إلى بيته في (صوكوتو) وأهدى إليَّ بعض مؤلفاته بالعربية، وقد نوهت بذلك في الكتاب المذكور.

وقد تطرق الحديث معهما إلى أمور مهمة أخرى، وأهديت لكل واحد منهما في نهاية اللقاء نسخة من كتابي (قصة سفر في نيجيريا) وتسجيلاً للقرآن الكريم على أشرطة ومقداراً من تمر السكرية من بيتي في بريدة.

يوم الخميس: ١٤٢٧/٤/٢٠هـ:

الاطلاع على المزيد من المساجد والمدارس:

والمقصد من ذلك ليس مجرد الإطلاع الذي لا يستفيد منه في العادة إلا نحن وإنما المراد معرفة ما تحتاجه المساجد والمدارس الإسلامية، وما يمكن أن نقدمه لهافي الحاضر وفي المستقبل، فهذا هو ديدننا وهو ركن من عملنا الذي جئنا في الأساس من أجله إلى نيجيريا.

كان أول ما رأيناه هذا الصباح مسجداً اسمه عندهم غريب وهو (مسجد الموظفين) وقد فسروا ذلك بأنه أنشي من أجل أن يصلي فيه الموظفون العاملون في مكتب حاكم العاصمة (أبوجا) وما يتعلق بأعماله.

ذهبنا إلى الحي الحادي عشر في أبوجا حيث مقر الإدارة الحكومية.

وقد تجدد إعجابي بهذه العاصمة الإفريقية الفتية التي تستطيع أن تنافس بعض العواصم العربية في حسن التخطيط وابتغاء الجمال في المظهر العام.

وحتى الطريق إلى الحي الحادي عشر هو جميل أيضاً مثل الأبنية فيه.

دخلنا مقر حاكم العاصمة والمراد الإدارة الواسعة فيه، وليس مكتب الحاكم مثلاً، فنحن لم نأت إلى مقره من أجل مقابلته، وإنما من أجل الإطلاع على المسجد الذي يصلي فيه الموظفون حيث قيل لنا: إنه يحتاج إلى منارة وتوسعة، والتوسعة بالنسبة إلى مسيس الحاجة إليها هي أهم من المنارة.

دخلنا إلى مقر حاكم العاصمة وهو دائرة كبيرة قد وقفت في باحات داخلها سيارات الموظفين العاملين فيها فرأيناهم كثرة كاثرة لافتة للنظر، وأكثر السيارات التي فيها هي سيارات فخمة ونظيفة.

ألفينا مسجد موظفي حاكم العاصمة صغيراً لا يمكن أن يتسع للموظفين الكثر الذين رأينا سياراتهم، وإن كان بعضهم- من دون شك- ليسوا من المسلمين فالمسلمون هم الأكثرية في البلاد.

وزاد عجبنا أكثر من صغر مقر المسجد حين أخبرونا أنه تصلى فيه الجمعة، وذلك أن يوم الجمعة هو يوم عمل عندهم، فيسمح للموظفين بأداء صلاة الجمعة في هذا المسجد الصغير، ولما أبديت لهم عجبي من صغره وكثرة الموظفين في المكان ذكروا أن معظم المصلين يفرشون لهم فرشاً فيصلون خارج المسجد لصغره.

وجدنا في المسجد أخاً مسلماً اسمه (عبدالله نور) حصلنا على بعض المعلومات عن المسجد منه ثم جاء إمام المسجد بناء على رغبتنا وهو الشيخ (يعقوب صالحو) فسألناه عن أهم ما يحتاجه المسجد وهو التوسعة لأنه ضيق جداً لا يتسع إلا لجزء من المسلمين، فقلت له: إنني لا أرى فرصة لتوسعته إلا بهدم بعض المباني التي فيها الموظفون وهي أكثر من طابق.

فقال: هذا صحيح، ولذلك لا يمكن توسعته إلا بإضافة طابق ثانٍ وربما فوقه طابق ثالث أيضاً.

فقلت له إنني أرى المسجد وهو طابق واحد أرضي لا يقوى على حمل طابق ثانٍ فوقه، فقال: هذا صحيح، ونتيجة للدراسة التي أجريت لتوسعته وجد أن أحسن طريقة لذلك هي إنشاء عمد من الأسمنت على قواعد قوية تحمل الطابق الثاني والثالث منه ويصعد إليهما من درج خارج المسجد.

وهذا ممكن بطبيعة الحال وإن كان يحتاج إلى خبرة مهندسين انشائيين مجربين.

وبعد أن التقطنا صورة تذكارية مع الأخ الإمام يعقوب صالحو أعلناً له ولمن حضر بعد ذلك وهم ثلاثة أشخاص فيهم رئيس جمعية المسجد محمد البشير محمد الذي حضر بناء على طلبنا، فأعطيناهم ألفي دولار إسهاماً في العمل على إنشاء طابق ثانٍ للمسجد حتى يستوعب عدداً أكبر من المصلين وبخاصة في صلاة الجمعة.

وقد أخبرونا أن في منطقة حاكم العاصمة مسجداً آخر صغيراً تصلى فيه الصلوات الخمس دون صلاة الجمعة التي لا تصلى إلاَّ في المسجد الذي ذكرته.

مسجد الحي الحادي عشر:

تركنا مقر حاكم العاصمة أبوجا والمسجدين الصغيرين فيه ولكننا لن نترك الإخوة القراء يتركونها حتى يعرفوا من باب العلم ومن باب الفرح أن حاكم العاصمة التي هي مدينة أبوجا في الوقت الحاضر هو أخ مسلم اسمه (مالم أحمد الرفاعي) ومالم في الأصل تعني (عالماً) وإماماً في الصلاة لأن أصلها معلم، ولكنها صارت أخيراً اسماً لا يدل بالضرورة على ذلك.

وكان حاكم العاصمة قبله صديقنا المهندس عبدالقادر كوري الذي هو الآن حاكم ولاية النيجر وقد ذكرنا اجتماعنا به في بيته وزيارته لنا في الفندق فيما سبق.

وجدنا مسجد الحي الحادي عشر قريباً جداً من مقر حاكم العاصمة، ووجدناه مسجداً كبيراً مكتملاً كان مما أثار إعجابي فيه أننا وصلنا إليه في الساعة الحادية عشرة والنصف قبل أذان الظهر فوجدنا فيه مجموعات من الناس منهم من كانوا مستريحين فيه وفيهم من هم يصلون يتنفلون أو يقرؤن القرآن.

وهو على سعته نظيف.

بقينا فيه قليلاً ننتظر حضور إمام المسجد أو أحد كبار الجمعية المشرفة عليه فحضر الأخ الشيخ سليمان إدريس، إمام الخمس فيه وهي الصلاة اليومية وهو خلاف إمام الجمعة فيه فهو شيخ آخر رأيت الأخ الإمام سليمان إدريس تقاسيم وجهه تميل إلى تقاسيم الوجوه العربية رغم سمرته المعتادة وقد أخبرني أنه من مدينة زاريا وهي مدينة مسلمة في شمال نيجيريا.

وانضم إلينا عدد ممن بكروا للصلاة قبل الأذان فسألتهم جميعاً عن عدد المصلين صلاة الجمعة فأخبروني أن العدد يصل إلى خمسة آلاف، فأعدت الكلام عليهم لأتحقق من رقم خمسة آلاف مصلٍ فكان جوابهم واحداً بأن هذا العدد يصلي الجمعة في هذا المسجد كل أسبوع.

صحيح أن المسجد واسع وله باحات مكشوفة، ولكنه أيضاً يقع فيما يشبه الميدان فذكروا أن الناس يفرشون فيه ويصلون الجمعة.

وقد حضر المؤذن واسمه محمد الخامس، والمراد من ذلك أنه ولد لأبوين قبله أربعة أطفال كل واحد منهم اسمه محمد الأول .. الخ.

وهذه عادة عندهم أن يسموا أطفالهم باسم يبدأ بمحمد، وأذكر بهذه المناسبة أن الغربيين كانوا يسمون حاكم نيجيريا السابق (ساني اباشا) والصحيح ثاني أباشا فساني: هي ثاني واباشا اسم أسرته، واسمه الكامل الصحيح (محمد ثاني أباشا).

وأذكر أنني كنت مرة في مدينة (ليبرفيل) عاصمة القابون فدعانا أحد وجهاء مالي إلى بيته لتناول الغداء، فحضر عدة أطفال له لأنه متزوج من ثلاث زوجات وعندما سألته عن أسماء بعضهم أجاب: محمد.

فقلت له: كيف يكون لك أكثر من ابن كلهم يسمى محمداً، وكيف تميزهم؟ قال: أميزهم بنسبتهم إلى أمهاتهم، فهذا محمد فاطمة، أي أن أمه فاطمة وذاك محمد خديجة، لأن أمه خديجة، وهكذا.

ثم حضر سكرتير جمعية المسجد الأخ عبدالحميد محمد بناء على طلبنا.

وقد انتقلنا إلى مكتب جيد ملحق بالمسجد فيه مقر جمعية المسجد فأعطيناهم مساعدة عاجلة على النفقات المتكررة للمسجد كالكهرباء، والماء وهي ثلاثة آلاف دولار لأن هذا المسجد كبير وفيه عدد من العاملين والموظفين وهو حريّ بأن يسمى (جامعاً) وليس هو مجرد مسجد تصلى فيه الصلوات الخمس.

ومن غير المألوف ما حدث الآن وهو أننا أعطيناهم النقود بعد الأذان ولما أقيمت الصلاة في الواحدة إلا الثلث كنا فرغنا من ذلك، ولم نكن على وضوء لندخل معهم في الصلاة ويمكننا تأخيرها إلى العصر لكوننا مسافرين، وأمامنا برنامج مزدحم، ولا نضمن أن نجد متسعاً في أماكن الوضوء التي تكون مزدحمة الآن لكثرة المصلين فخرجنا من الغرفة الملحقة بالمسجد ولها باب من الخارج إلى السيارة فوجدنا أن سائقنا قد أغلق السيارة وذهب لأداء الصلاة عندما أقيمت فبقينا نحن عندها واقفين لأن القوم قد قضوا أكثر من نصف الصلاة.

ولما عاد إلينا السائق شجعناه على ذهابه للصلاة مع الجماعة ودعونا له بالتوفيق وإن كان أوقعنا في موقف محرج، إذْ رأنا بعض الإخوة المصلين واقفين لم نشاركهم الصلاة مع الجماعة.

وقد رأيت عشرات الدراجات النارية التي حضر أهلها عليها للصلاة في المسجد وقد أوقفوها بنظام وبصفوف متناسقة عند المسجد.

مسجد شيخو شجاري:

انطلقنا من جامع الحي الحادي عشر قاصدين مسجداً آخر في أبوجا اسمه (مسجد شيخو شجاري) وشيخو شجاري الذي أضيف إليه هو أحد رؤساء نجيريا السابقين، وهو الذي تبرع بأرض المسجد وهي كبيرة بنوا فيها المسجد ومدرسة مزدهرة اسمها (مدرسة نور البيان) ذكروا أنها إسلامية عصرية بمعنى أنها تدرس المنهج الحكومي إلى جانب منهج إسلامي وفيها تربية إسلامية جيدة.

وصلنا إلى المسجد في الواحدة والنصف فوجدناه حافلاً بالناس بعضهم نائمون أو هم مستلقون للراحة، وبعضهم يقرؤن القرآن قراءة منفردة أي ليسوا في حلقة لتعليم التلاوة مثلاً، وبعضهم جالسون فهو عامر بالناس بعد صلاة الظهر.

أخذونا إلى غرفة إمام المسجد الملحقة بالمسجد لها باب يفتح إلى المسجد وباب يفتح إلى الخارج جلسنا في هذه الغرفة مع الإمام ومع (اثنين من العاملين في المسجد فوجدنا المسجد نظيف الأثاث والفراش، بل في غاية النظافة وحتى الطلاء كله جميل نظيف، وحضر مدير المدرسة وهي (مدرسة نور البيان) الملحقة بالمسجد وإن كان مبناها منفصلاً عن مبنى المسجد فهي عدة طبقات فأخبرنا والقوم يسمعون أن عدد الطلاب فيها يبلغ سبعمائة طالب وطالبة وأنها تدرس اللغتين العربية والإنكليزية.

طلبنا منهم أن نرى رئيس جمعية المسجد والمدرسة لنسأله عن بعض الأشياء المتعلقة بهما، ولكي نعطيه بحضورهم شيئاً من المعونة على نفقات

المسجد المتكررة فأجابوا: أنه ضابط في الشرطة، ولا يحضر في مثل هذه الساعة إلا إذا طلب منه ذلك، فأخبرناهم أننا سنذهب من عندهم ونعود بعد نحو ساعة ونرجو أن نراه هنا في المسجد.

في السفارة السعودية:

لم نزر مبنى السفارة السعودية لأن مأدبة العشاء التي أقامها لنا السفير الشريف عبدالإله العبدلي كانت في منزله فذهبنا للسفارة لتوديعه لأننا سوف نغادر أبوجا غداً الجمعة قاصدين (كانو) ومنها نسافر فجر السبت إلى بيروت ثم جدة، وجدنا الإخوة في السفارة في استقبالنا إذْ أخبرهم أحد بأننا سنأتي للسفارة واستقبلنا أخونا السفير الشريف هاشاً باشاً، وبالغ في اكرامنا جزاه الله خيراً، ومن ذلك أنه عقد في قاعة ملحقة بمكتبه اجتماعاً لموظفي السفارة وعددهم لا بأس به تناولنا أثناءه القهوة والشاي وتكلمنا في زيارتنا لنيجيريا وما لاحظناه من الأوضاع الإسلامية فيها، واستفدنا منهم ما لا نعرفه من ذلك.

ولم يتركنا السفير حتى وافقنا على دعوته الليلة إلى مأدبة عشاء يقيمها لنا في السفارة تكون وداعية مثلما كانت مأدبة العشاء التي أقامها لنا افتتاحية من أول يوم وصولنا إلى (أبوجا).

ثم ودعناه وبقية موظفي السفارة على أمل اللقاء ليلاً.

عَوْدٌ إلى مسجد تشجاري:

عدنا إلى مسجد (تشجاري) كما كنا اتفقنا معهم فوجدنا رئيس جمعية المسجد الأخ الضابط (بابا كوني) بملابسه الرسمية وهو برتبة (قوما ندور) في الشرطة ويعمل الآن رئيساً لشرطة المرور في (أبوجا) وإذا كان لعمله دور في

تنظيم شرطة المرور فإن ذلك شرف له لأننا رأينا المرور في (أبوجا) منذ أن وصلناها منظماً سلساً لا توجد فيه فروق بينه وبين المرور في مدن العالم الثالث المتقدمة.

رحب بنا أخونا الضابط الكبير (بابا كوني) كما رحب الأخ المسلم بأخيه المسلم الذي يحبه، وحضر معه نائب إمام المسجد محمد عمر، واثنان من العاملين في جمعية المسجد، وقد اطمأننا لوجود هذا الأخ المسلم الكبير على رأس جمعية المسجد والمدرسة فأعطيناهم ثلاثة آلاف دولار للمدرسة وألف دولار للمسجد، وقلنا لهم: إنه يمكنهم أن يصرفوها كلها لأية جهة من الجهتين حسبما يرون من الحاجة إلى ذلك.

وقد بحثنا معهم في بعض الأمور المتعلقة بالمسجد وأخبرونا بكثرة المصلين ولله الحمد وبإقبال الناس من شباب وشيب على ارتياد المساجد لأداء الصلاة، وكنا شاهدنا بالمسجد أول ما وصلناه كثرة الناس فيه بعد الصلاة، ولا يزال بعضهم فيه حتى الآن وإن كان أكثرهم قد انصرف.

مكتب الملحق الديني:

الملحق الديني يتبع وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في بلادنا، وله مقر خاص خارج السفارة رغم كونه يعتبر ملحقاً بالسفارة من الناحية الواقعية، فأما من الناحية النظرية فهو منفصل عنها، لأنه لو كان تابعاً لها من ناحية رسمية لأعطى حكومة البلد الذي يقع فيه الملحق قانوناً بأن تطالب أن يكون لها ملحق ديني بسفارتها، وهذا لا يمكن قبوله، لأن أكثر البلدان أو كثيراً منها من التي فيها ملحق ديني للمملكة هي حكومات غير إسلامية، ولن تسمح المملكة أن يكون في سفاراتها في بلادنا مكتب للملحق الديني الذي يكون دينه غير دين الإسلام.

ذهبنا إلى المكتب الديني بطلب من مديره الأخ الشيخ محمد بن عبدالله البيشي الذي كان قد سافر من (أبوجا) إلى مدينة (كانو) على بعد خمسمائة كيلومتراً منها ليكون في استقبالنا هناك، ثم كان معنا في عدة أماكن هنا.

وطلب مني أن نزور مكتبه (مكتب الملحق الديني).

وجدنا المكتب في محل واسع أشبه ما يكون بالدارة (الفيلا) له باحة واسعة وفيه مكتبة صغيرة مجهزة، ووجدنا في الملحق عدداً من الموظفين، اجتمعوا للسلام ومنهم بعض الدعاة العاملين في (أبوجا) وما حولها بعضهم كانوا طلاباً في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، عندما كنت أعمل فيها، كلهم يعرفني قبل ذلك وأخبروني أنهم يتابعون برنامجي الذي ألقيه من (إذاعة القرآن الكريم) بإذاعة الرياض وإنه يصل إليهم واضحاً وهو برنامج بدأته قبل ست سنين ولا يزال.

كان ذهابنا للمكتب في الخامسة ولكن وجدنا الأخ المدير الشيخ البيشي قد أحضر القهوة والتمر ثم الشاي والبسكويت، وأهم من ذلك الحديث معه ومع الإخوة من الدعاة والمهتمين بالعمل الإسلامي التابعين له من نيجيريا عن الشئون الإسلامية في هذه البلاد.

أبديت لهم إعجابي بسعة المكان فذكروا أنه يملكه أمير (زاريا) ولذلك لم يزد في أجرته.

والأهم من ذلك أنه سمح بإنشاء مسجد في جانب من الفناء مما يلي الشارع.

والمسجد الآن يصلي فيه أهل الحي أيضاً فهو مفتوح في الأوقات الخمسة، لكونه لا يوجد بقربه مسجد آخر.

ذكر لنا الأخ البيشي أنه حصل على نفقة بناء المسجد من التبرعات، ولم تدفع له وزارة الشئون الإسلامية شيئاً لأنه يقع في ملك الغير، ولكن مالك العقار سمح به وأذن للملحق ببنائه وقد أفرد مبناه الملاصق للحائط الذي على الشارع تمهيداً لفصله وجعله مسجداً منفرداً عن المبنى عند الحاجة.

وليس ذلك فحسب، وإنما أذن مالك البيت الذي فيه فناء واسع كما قدمت بأن يوسع المسجد من فناء البيت إذا استطاع الملحق أن يجد من ينفق على ذلك، لأنه سيصبح أكبر ويستوعب عدداً أكبر من المصلين.

وذكر الأخ الملحق الديني أنه يجمع النقود الآن من التبرعات من أجل توسعة المسجد، وذلك تحت ملاحظة مالك البيت جزاه الله خيراً.

وقد دفعنا لهم ألفي دولار إسهاماً من رابطة العالم الإسلامي في توسعة المسجد الذي لا يملكه أحد، كما هو معروف، وإنما له جمعية تشرف عليه وتضبط نفقاته المتكررة وغيرها.

ثم التقطنا صورة مع إمامه الأخ الشيخ سليمان الأبي يوسف ومدير المكتب الأستاذ محمد البيشي وودعناهم منصرفين.

مسجد سنترال:

ذهبنا إلى مسجد سنترال مباشرة من مكتب الملحق الديني فوصلناه في السادسة والنصف قبل أذان المغرب بخمس دقائق ويسمونه (سنترال مسجد) وسنترال مركز أو مركزي كما هو معروف فهو إذاً (مسجد المركز) الذي يراد به مركز المدينة فيما يظهر، ولم يذكروا لي شيئاً عن ذلك رأينا فيه نائب الإمام، وهو الإمام الثاني (محمد بلو) وكبار جماعة المسجد، ومنهم أناس من جمعية

المسجد، وهذه المرة كنا توضأنا في مكتب الملحق الديني فصلينا السنة ركعتين بعد الأذان والعجيب الغريب أن المسجد كان فيه جملة صالحة من المصلين حضروا قبل الأذان، ولا يقولن قائل: إنهم كانوا فيه منذ العصر- على سبيل المثال- فقد كنا رأيناهم يتقاطرون عليه ونحن فيه قبيل الأذان.

وعندما أكمل المؤذن الأذان امتلأ المسجد نفسه مع أنه واسع إلا أنه مستطيل تبعاً لطبيعة أرضه وليس مربعاً فطوله هو من جهة الشرق التي هي جهة القبلة إلى جهة الغرب التي هي عكسها.

كان أذان المؤذن من مكبر للصوت أذاناً شجياً قصيحاً يمد المؤذن به صوته الجميل ويحسنه به.

ولم يلبث القوم بعد الأذان إلا ثلاث دقائق حتى أقيمت الصلاة ورأيت المسجد مليئاً بالمصلين، وقد فرشوا فرشاً في الشارع صلى عليها طائفة من الناس الذين ضاق عنهم المسجد.

دخل الإمام في الصلاة بسرعة ثم قرأ بعد الفاتحة سورة العلق كاملة (اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم الذين علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم).

وكانت قراءته متقنة شجية لذلك تمنيت لو استمر في القراءة وقرأ في الركعة الثانية سورة (زلزلت) وكان يقرأ بقراءة ورش، وهي غير قراءة حفص التي نقرأ بها في المملكة، ومما يدل على اتساع المسجد أن المؤذن كان يبلغ عنه بالمكبر مع أننا في صلاة المغرب، ولكن ذلك من أجل أن يسمعه من يصلون خارج المسجد لكثرة الجماعة.

كلمتي في المصلين:

بعد انقضاء الصلاة تكلم الإمام من مكبر الصوت وهو من الفلانيين الأذكياء، فأخبرهم بقدومنا وعرفهم بنا ورحب بنا وقال: نرجو من فلان يقصدني أن يلقي كلمة في إخوانه المصلين، فهو أولى من يتكلم الآن، فألقيت فيهم كلمة من المكبر عن الإسلام وأنه دين عالمي وليس دين العرب وحدهم أو العجم وحدهم، فليس خاصاً بأمة دون أمة، ولا شعب دون شعب، وأبلغتهم تحيات إخوانهم في رابطة العالم الإسلامي.

وأوضحت لهم قوة الإخوة الإسلامية التي تربط بين المسلمين، وأنه إذا كان بعض المسلمين لم يراعوا ذلك فهو من تقصيرهم ومن مخالفتهم لأمر الله، لأن الله تعالى أمر المسلمين أن يتعاونوا بينهم على البر والتقوى فقال تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى).

وقلت لهم إنكم تتعايشون مع إخوان لكم في الوطن من غير المسلمين فيجب أن تعاملوهم بما يأمر به الإسلام في معاملة الآخرين من الصدق في المعاملة والأمانة في البيع والشراء والأخذ والعطاء، وإذا كان لأحد منكم جار غير مسلم يجب عليه أن يعامله بما أمر به الإسلام من إكرام الجار وعدم إلحاق الأذى به.

وتذكروا أن هذه الأخلاق الإسلامية الرائعة عندما أخذ بها الفاتحون من السلف الصالح رأى الناس فيهم نماذج للإنسان المثالي فاسلموا لأنهم رأوا أثر الإسلام الحميد عليهم.

وأوصيتهم بالحرص على تربية أولادهم تربية إسلامية لأنهم أمانة في أعناقهم وهم مسئولون عنهم أمام الله وأمام الناس، بل وأمام التاريخ، فيجب أن تنشؤهم نشأة إسلامية كما أنشأكم آباؤكم وأفضل من ذلك إن استطعتم.

وبعد انتهاء الكلمة ذهبنا معهم إلى زيارة مقر (مدرسة العلوم الإسلامية) الواقع بجانب المسجد فعقدنا جلسة مع مسئولي جمعية المسجد والمدرسة في أحد الفصول الدراسية ذات المقاعد الخشبية الخشنة وأعطيناهم مساعدة مالية رمزية حاضرة للمسجد والمدرسة.

وفي المساء جاءني جماعة من أحد المساجد التي زرناها وقدمنا لها مساعدة رمزية عاجلة وأخبروني أنهم قرروا أن يسمى مسجدهم (مسجد محمد العبودي) على اسمي، فامتنعت من ذلك، وقلت لهم كما كنت قلت لأهل مسجد مارنقا في ولاية (بارانا) في البرازيل حينما أخبروني أنهم عقدوا اجتماعاً لجمعية المسجد قرروا فيه أن يسموا مسجدهم الذي هو المسجد الوحيد في المدينة وهو مسجد جامع باسمي فمانعت في ذلك وقلت لهم: إن الأولى أن تسموا المسجد باسم أكبر شخص شجعكم على بنائه وبذل أكبر مساعدة على ذلك ولكن أهل البرازيل لم يقتنعوا وطلبوا من رئيس اتحاد المؤسسات الإسلامية في البرازيل الأخ حسين محمد الزعبي أن يخبرني بأن قرارهم نافذ، وقد انتهى الأمر وبالفعل سموه بذلك الاسم الذي لا يزال يعرف به حتى الآن.

وتسمية المسجد ليست بذات أهمية في حد ذاتها ولم يكن الناس في بلادنا يهتمون بتسمية المساجد تسمية رسمية، وإنما كانوا يسمون المسجد باسم الحارة التي يقع فيها، أو باسم الإمام الذي يؤم الناس فيه إذا كان ذا قدر كبير عندهم.

ولكن الوضع اختلف الآن إذْ صارت توجد للمساجد سجلات وتبرعات وبعضها عليه أوقاف وله هبات، وإذا لم يسمَّ اشتبه بغيره من المساجد.

وهذا بالنسبة إلى البلد الذي يقع فيه أما بالنسبة إلينا في رابطة العالم الإسلامي، فإنه لابد لنا من أن يكون لكل مسجد اسم خاص به، من أجل معرفة ما إذا كان أهل البلد يريدون بناء مسجد حتى لا تصرف المساعدة له دون مسجد آخر أكثر حاجة إليها منه.

مأدبة السفير:

هذه مأدبة عشاء وداعية أقامها لنا السفير الحصيف الشريف عبدالإله بن مهنا العبدلي في مبنى السفارة حضرها جميع أعضاء السفارة وعدد قليل غيرهم وحضر من الذي معنا الدكتور فضل خلود مدير مكتب الرابطة والأستاذ (إدريس عثمان) سكرتير حاكم ولاية النيجر الذي كان الحاكم أمره بأن يكون في خدمتنا مع سيارتين له حتى نغادر أبوجا.

وقد شاء السفير جزاه الله خيراً أن تكون المأدبة تقليدية سعودية فكانت من السليق الذي يستعمل في الحجاز في مآدب العشاء خاصة، وهو نوع من الأرز شبيه بالأرز المصري يطبخ مع قليل من اللبن ويوضع عليه اللحم الكثير، وقد أمر السفير بوضع ذبيحة أو ذبيحتين عليه لأنه في أكثر من صحن.

وامتدت السهرة إلى الحادية عشرة وكان ابتداؤها من الثامنة.

يوم الجمعة

مغادرة أبوجا:

غادرنا فندق (شيراتون أبوجا) قاصدين المطار الذي يبعد ٤٨ كيلومتراً عن العاصمة وحضر إلى الفندق مبكراً الأستاذ إدريس عثمان سكرتير المهندس الكريم عبدالقادر كوري حاكم ولاية النيجر فدفع عنا حسب أمر الحاكم أجرة الفندق لمدة ليلتين هما اللتان بقينا فيهما بعد زيارتنا لولاية النيجر، وذلك رغم تمنعنا لأننا أغنياء ومعنا نقود أعددناها لذلك، ولكن مدير المكتب الدكتور فضل خلود قال: إنكم إذا أصررتم على رد ضيافته اعتبر أن هذا تقصير في حقه مع أن له حقاً كبيراً على الرابطة لو لم يكن منه إلا كونه تسبب في تملكها لأرضها الكبيرة التي تساوي الآن ثلاثة ملايين دولار.

وحملنا الأخ إدريس بسيارتين للحاكم فسرنا مع طريق المطار الأخضر الجيد المعهود ودخلنا قاعة الدرجة الأولى وهي واسعة أوسع بكثير من القاعة التي كنا فيها عند السفر إلى (مادوغري) مع أنها أي الصغيرة أهم عندهم لأن كبار موظفي الدولة من الوزراء وأعضاء البرلمان يجلسون فيها.

أما غرفة الدرجة الأولى هذه فإنها أوسع مساحة من تلك بكثير، وأفضل أثاثاً وتكرر فيها ما حدث في غيرها من غرف الدرجة الأولى وكبار الشخصيات في نيجريا، إذْ طلبوا منا أن يدفع كل شخص الف نيرة أي ما يساوي ٨ دولارات عن جلوسه فيها ومقابل الشاي والقهوة الذي يقدمونه فيها.

فبقينا فيها فترة كتبت فيها بعض الأوراق من هذا الكتاب.

من أبوجا إلى كانو:

نادوا علينا من مكبر الصوت في المطار بإنكليزية خشنة فهكذا وقعها في الأذن لاسيما إذا كان المتكلم بها رجلاً من رجالهم، وكنت عجبت من كونهم كذلك في نطقهم بالإنكليزية على حين أن الأفارقة من سكان المستعمرات الفرنسية كان نطقهم بالفرنسية سليماً فيما نسمعه منهم، أوعلى الأقل كان معتاداً.

وكان موعد قيام الطائرة إلى كانو في التاسعة إلا الربع ونحن الآن في الثامنة والنصف فخرجنا إلى الطائرة، وعرضوا علينا أمتعتنا كالعادة فعرفنا فائدة عملهم هذا وأثره في حفظ الأمتعة، وذلك أننا فقدنا وعاءً (جالوناً) من العسل كان أهداه لنا أهل (مادغري) لم نجده مع أمتعتنا تحت الطائرة فعاد الأخ الدكتور فضل خلود وهو سيرافقنا إلى مدينة كانو فوجد العسل عند مكتب الترحيل لم يرسلوه فأخذه وركبنا جميعاً إلى الطائرة كالمعتاد عندهم في التعرف على تذاكر الركاب من موظفين اثنين ثم قطع تذكرة الركاب من غلافها عند سلم الطائرة من موظفين اثنين آخرين.

ركبنا في الدرجة الأولى من الطائرة هذه المرة وكان الدكتور فضل خلود قد غفل قبل ذلك فقطع تذاكرنا على الدرجة السياحية.

فغادرت الطائرة مطار أبوجا في التاسعة إلاَّ خمس دقائق صباحاً، متأخرة ١٠ دقائق عن الموعد المحدد لقيامها في الاصل وهو التاسعة إلا الربع وهذا لا يعد تأخيراً في عرف شركات الطيران، وهذه الطائرة تابعة لشركة طيران داخلية أيضاً اسمها (بل نيو) بمعنى المنظر الجميل، وطائرتها من طراز بوينج ٧٣٧.

وهي- كما قدمت- شركة من عدة شركات داخلية جيدة ومنظمة الرحلات، ومع ذلك لا توجد لنيجيريا شركة خارجية واحدة، وهذا غريب لأنها دولة كبيرة

غنية بالموارد النفطية ويسافر منها جماعات كثيرة إلى الخارج، وأقرب الأدلة على ذلك أن الطائرة السعودية التي أتينا معها من جدة إلى كانو كانت مليئة بالركاب.

وتتألف الدرجة الأولى فيها من ثلاثة صفوف في كل صف أربعة مقاعد، ومع ذلك لم أر فيها غيرنا إلا ثلاثة ركاب من النيجيريين إضافة إلينا نحن الثلاثة وفي الدرجة الأولى مضيف ومضيفة.

وقد أحضرت المضيفة طعام الإفطار من البيض المخلوط والجبن مع عصير البرتقال والخبز المعتاد.

وكان كل شيء فيها من المناشف وأدوات الطعام نظيفاً والمضيفة التي قدمت الطعام نظيفة مجربة، وتمتعنا أول الأمر بتكرار رؤية منطقة (أبوجا) الخضراء من الطائرة إلى أن ران على الجو تحتنا سحاب ثقيل الظلّ حتى قاربنا الوصول إلى جواء كانو حيث تحول المنظر تحت الطائرة إلى منظر أراضي المراعي ذات الأشجار الكبيرة والأعشاب القليلة التي تشبه أعشاب الربيع لأننا الآن في أول فصل الأمطار.

وعاد منظر الوادي الجاف الواسع الذي فيه الرمل النقي بديلاً من الماء وهو غير بعيد من (كانو).

وقبل الوصول بخمس دقائق وزعت المضيفة على الركاب جرائد وصحفاً علينا- نحن ركاب الدرجة الأولى.

الهبوط في مطار كانو:

هبطت الطائرة في مطار كانو في التاسعة وخمس وثلاثين دقيقة بعد طيران لم يزد على ٤٠ دقيقة أحضروا إلى الطائرة حافلة عالية عن الأرض

بحيث أن الراكب الذي يحمل بيديه أمتعة يشق عليه الصعود بها إليها، ولا أدري الحكمة في ارتفاع هذه الحافلة واستعمالها هنا.

وقد أركبوا فيها جميع الركاب ووقف كثير منهم، وهذا طبيعي ولكن غير الطبيعي أن يركبوا ركاب الدرجة الأولى مع ركاب السياحية في هذه الحافلة المزدحمة.

وصلنا إلى قاعة الوصول في المطار وظللنا ننتظر وصول الأمتعة فرأيت ما أثار عجبي واستغرابي وهو وجود باعة متجولين في هذه القاعة، والمراد بهم من يحملون بضائعهم معهم يتجولون بها في القاعة ويعرضونها على القادمين.

والغريب أنه لو كانت المبيعات هذه أو غيرها في متجر سواء أكان صغيراً أم كبيراً لكان الأمر معتاداً ولما أثار استغرابنا، لأنه يوجد في كثير من مطارات العالم ومنها مطار مدينة جدة، بخلاف مطار الرياض الذي لا يوجد فيه شيء من ذلك، داخل قاعة الوصول، وبضائع هؤلاء الباعة المتجولون في القاعة متنوعة منها أحذية وعند اثنين منهم كتب أكثرها بالعربية ومصاحف كريمة، ومعهم أيضاً صور أي مناظر مصورة وساعات، وباعة الكتب قد وضعوها على عربة ورافعة لها عجلتان تدفع باليد ورأيت منها كتاب: (أسباب النزول) مترجماً إلى اللغة الإنكليزية وكل صفحة من الترجمة الإنكليزية تقابلها صفحة باللغة العربية.

ولاشك في أن هؤلاء الباعة المتجولين من المأذون لهم، لأنني لم أرهم يسمحون لمن هم في الخارج أن يدخلوا إليها إلا من كانوا من الموظفين العاملين فيها ورأيت عند باب الخروج منها ما هو موجود في كل المطارات النيجيرية التي نزلنا فيها في هذه الرحلة وهي أنهم يأخذون قسائم البطاقات التي

تكون على الأمتعة، وهو أمر كان معمولاً به في كل الطائرات في القديم، ولكن المطارات الحديثة ومنها مطارات بلادنا قد تجاوزتها.

خرجنا من قاعة تسلم الأمتعة مع باب عليه شرطي فرأيت فيه شيئاً غريباً بل لطيفاً وذلك أنهم رسموا خطاً مربعاً رابعة زواياه ذلك الباب الذي يخرج من قاعة الوصول وهو يكون أبيض في الأرض، ورأينا خلفه أناساً لا يتجاوزونه، وأكثرهم من أصحاب سيارات الأجرة ينادون الخارجين من قاعة الوصول يريدونهم أن يركبوا سياراتهم.

ركبنا مع أحدهم وهو فلاني لا يعرف العربية ولا الإنكليزية ولكن لغته الرئيسية هي الهوساوية الشائعة في شمال نيجيريا وهي معروفة في أكثر أنحائها على لسان المهاجرين والمقيمين فيها من الهوسا.

عود إلى الضيف الطاهر:

والمراد به فندق الضيف الطاهر الذي كنا نزلنا فيه عند القدوم من جدة إلى كانو، وقد كان الزحام في شوارع (كانو) بالغاً في هذه الساعة من الضحى وأكثر ما يؤذي فيه أدخنة السيارات مع الحر غير البالغ.

نزلنا في الفندق بعد طول اجراءات في شقة مؤلفة من غرفتين تفتحان إلى قاعة استقبال جيدة فيها مقاعد وثيرة وفي جانب منها مائدة طويلة للطعام وصنع القهوة والشاي.

لا جولة في كانو:

مدينة (كانو) معروفة لي حق المعرفة في الزيارة الأولى التي ذكرت تفاصيلها في كتاب (قصة سفر في نيجيريا) الذي طبع في مجلدين، وهي بلدة

مسلمة يصعب الإطلاع على المساجد فيها، إضافة إلى أنه لم يبق معنا مبلغ مالي يكفي لتقديمه إلى المساجد المحتاجة للمعونة ولا يمكن زيارة بعضها وإعطائهم نقوداً دون الآخرين.

لذلك رأينا أن ننفق باقي هذا اليوم في الفندق في تحرير التقرير الذي تولى مسئولية أكثره رفيقي في الرحلة الأستاذ محمد بن أحمد الحساني، وهو أديب وشاعر وفوق ذلك هو المدير العام للمكاتب والمراكز في الخارج التي تتبع الرابطة وعددها مع المراكز نحو الستين في أنحاء العالم ومنها مكتب الرابطة في مدينة أبوجا.

وقد ذهب الأستاذ الحساني إلى مكتب الخطوط السعودية في (كانو) للاطمئنان على حجزنا الذي هو من كانو إلى بيروت ومن بعد ذلك إلى جدة.

وقد فعل مدير الخطوط السعودية في كانو الأستاذ صالح قادري ذلك، فاطمئن إلى تغيير التذكرة التي كانت من كانو إلى جدة وغدت إلى- كانو- بيروت جدة، وزاد على ذلك بأن أبلغنا أنه أمر مساعده عبدالقادر عتيق أن يأتي إلينا بالسيارة في الساعة الرابعة من فجر غد، لأن الطائرة اللبنانية تقوم في السادسة قبيل طلوع الشمس.

كلمة في كانو:

ذكر الشيخ العالم النيجيري آدم عبدالله الألوري (كانو) في كتابه: (موجز تاريخ نيجيريا بالعربية) ولكن كتب اسمها (كنُّو) وهو اسم لها قديم، قال:

(كنو): أشهر بلاد هوسا القديمة والحديثة وأغناها وأوسعها وأرقاها ويرجع تاريخها إلى عهد بعيد مختلف فيه.

إذ من المؤرخين من يعيده إلى ما قبل المسيح ومنهم من يقف به على عتبة فجر الإسلام، وكذلك يختلفون في ابتداء دولها وملوكها هل يرجع ذلك إلى ٢٠٨ أو إلى ٣٣٠ أو إلى ٤٤٤ من الهجرة أو ١٠٠٠ ميلادية كما يختلفون في سكانها الأولين هل هم البرابرة الحدادون الذين نزلوا حول جبل دالا حيث يصنعون بها الحديد وآلات الحرب والزراعة؟ أم هم النوبة الذين نزلوا بها على قصد الاصطياد ثم لحق بهم الآخرون مزارعون ممن هاجروا من شمال إفريقيا عبر الصحراء الكبرى فتكونت بهم قرية متوسطة السكان.

ثم حدث أن وقعت مجاعة عظيمة في القرى المجاورة لكنو فانحاز الناس إليها لما فيها من الخصب والرخاء والبركة والسلام.

وكان أهل كنو هملاً من راع يسوسهم ولما آل عرش دورة إلى باو بن بايزيد أوفد إليهم كبير أبنائه المسمى بغودا مع جملة من العبيد والإماء فبدأت بها هيئة ملكية وتعاقبت أسرته في المملكة حتى بلغ عددهم ثمانية عشر ملكاً في مدة تقرب من أربعمائة سنة وانقرضوا في آخر سنة (٨٢٨) ثم قامت الأسرة الرنفاوية وبلغ عدد ملوكها تسعة وتقدر مدتهم بنحو مائة واربعين عاماً وأولهم محمد رُنْفا الذي يعد من أعظم ملوك كنو وكان عهده أزهى العصور الكنوية وهو الذي بنى القصور والحصون والأسوار وجدد بناء الجامع ووسع رحابه حتى صار يضم نحو خمسة آلاف مصلٍّ.

وفي عصره حضر الشيخ محمد المغيلي إلى كنو ومكث بها مدة تولى فيها القضاء والإمامة وتزوج بها وخلف ثلاثة أولاد وهم أحمد وعيسى والسيد الأبيض وكذلك حضر الشيخ عبدالرحمن الزناتي والجلال السيوطي وغيرهم من الأعلام.

وبالجملة كان عصره عصر النور والعلم والثقافة والمدنية والتجارة وفي زمن محمد كزولي الملك الثاني من أسرته استولى محمد أسكيا على كنو مع سائر بلاد هوسا ١٥١٣م وانقرضت الدولة الرنفاوية على رأس سنة ألف وعشرين من الهجرة وفي آخر أيامهم هاجم كنو قبيلة قرارفا وأوسعوا أهلها قتلاً وتدميراً حتى اضطر الكنويون إلى مغادرة بلادهم هاربين منها إلى دورة ولكن المهاجمين لم يلبثوا أن رجعوا إلى بلادهم فعاد الكنويون إلى موطنهم.

ثم قامت الأسرة الأوَلية وعدد ملوكها خمسة عشر ملكاً وعاشوا مائتي عام ثم قامت الأسرة الفلاتية وكان ابتداء ذلك سنة ١٢١٩هـ.

الإسلام في كنو:

لقد دخل الإسلام إلى كنو سنة ١٣٠٠م في عهد الملك عثمان زَمنقَاوَى الملك الحادي عشر من الأسرة الغوداوية على أيدي العلماء الونغاريين الغانويين الذين حضروا إلى كنو وبشروا بالإسلام للملك كنَجيج وفي عهد ابنه عمر الذي أحب الإسلام والعلماء وقربهم إليه وتعلم القرآن والحديث والفقه وعمل على نشر العلم وأغدق على أهله الرزق أو شجعهم على طلبه، والمتاجرة فيه[1].

انتهى.

---

(١) موجز تاريخ نيجيريا، ص٨١- ٨٢

إلى مطار كانو ثانية:

في الساعة الرابعة فجراً كان الأخ عبدالقادر عتيق يقف بسيارته عند الفندق فركبنا معه ونحن ثلاثة أنا والأستاذ الحساني سنسافر والثالث هو الدكتور فضل خلود سيودعنا في المطار ثم يعود إلى أبوجا من كانو.

كان الظلام لا يزال دامساً، وحتى لم يتبين ضوء الفجر، وكانت شوارع (كانو) الصاخبة المزدحمة بالناس في النهار ليس فيها أحد منهم الآن حتى السيارات في الشوارع نادرة، وكان الإخوة أخبرونا أنها تعتبر مدينة آمنة حتى في الليل، لكونها بلاد مسلمين يحرص حكامها على مكافحة السرقة والانتهاب والاعتداء على حقوق الآخرين.

وعندما رأينا الشوارع خالية الآن بهذا الشكل أوجست خيفة أبديتها للأخ عبدالقادر عتيق ولكنه قال: إن (كانو) آمنة.

ومع أننا لم نر في الشوارع التي سرنا معها أية سيارة تسير في هذه الساعة فإننا وجدنا جنوداً اعترضوا طريقنا وأوقفوا سيارتنا حتى تحققوا منها فتركونا نمر.

وقال الأخوان المرافقان: إن هؤلاء الجنود مكلفون بحفظ الأمن ومكافحة السرقات، ثم مررنا بعد ذلك بحاجزين اثنين من حواجز الشرطة لم يعترضوا طريقنا إلا ريثما عرفوا رقم سيارتنا.

ورأيت سيارات كثيرة واقفة في الشوارع وفيها حافلة واحدة، فعجبت من وجودها في الشارع في هذا الليل الذي بلغنا أنه من أخطر الأوقات بالنسبة

للسرقات سواء أكانت سيارات أم غيرها، فقال المرافقون: إن هذه السيارات عندها حراسة، ولم أر أنا ولا من هم معي أي حراس عندها.

ولكن عندما وصلنا إلى المطار وهو الدولي رأينا فيه سيارات كثيرة وحركة سفر نشطة، ووجدنا شخصاً لبنانياً من الشركة اللبنانية التي سنسافر معها فأخذ جوازاتنا وتذاكر سفرنا ثم أعادها إلينا بسرعة ونحن جالسون على مقاعد في قاعة الترحيل، وقومنا يسعون في أمر الترحيل، وقد أبطأوا مع أن المهم فيهم هو الأخ عبدالقادر عتيق المتمرن على هذا العمل لأنه عمله.

وقد أخبرونا أنهم يشددون في تفتيش أمتعة الركاب، إلا نحن لم يفتشوا لنا شيئاً بسبب جوازي (الدبلوماسي).

وقد أمروا كل واحد منا أن يملأ نسختين من استمارة المغادرة.

ثم دخلنا إلى منطقة المغادرة وفيها الجوازات والجمرك متقدمين على صف من المسافرين بسبب وجود الأخ عبدالقادر عتيق معنا.

وجدنا غرفة الدرجة الأولى أقل مما توصف بأنها غرفة معتادة فأثاثها نظيف ولكنه ليس فخماً وفيها مراحيض عند كل مرحاض ابريق يضع فيه من يستعمل المرحاض الماء من صنبور الحمام.

وهذه الأباريق من اللدائن الصلبة بحيث أن مقبض الابريق الواحد منها يظل واقفاً ولا ينثني.

توضأنا وصلينا الفجر في المطار مع وجود عدد قليل من الركاب في الغرفة.

من كانو إلى بيروت:

وجدنا أكثر ركاب الطائرة من اللبنانيين، ومن المعروف أن اللبنانيين في إفريقيا عامة وفي نيجيريا بصفة خاصة كثرة من التجار ورجال الأعمال التجارية.

وقد خلطونا مع ركاب الدرجة السياحية فلم يميزوا ركاب الدرجة الأولى بشيء إلا في هذه الغرفة التي لم يطلبوا رسماً على دخولها كما يكون في مطاراتهم الداخلية.

وأركبوا الجميع في حافلة خشنة مرتفعة عن الأرض.

وفي الطائرة تحققنا ما ذكر لنا من قبل وهو أنه لا توجد فيها درجة أولى، وأنما توجد درجة رجال الأعمال التي نسميها في بلادنا (درجة الأفق).

استقبلتنا في الطائرة مضيفتاها اللبنانيتان، فتعجبت منهن ورفعت عيني لأتأكد من كون الذي أراه الآن فيهن حقيقة، فقد شعرت كأنما هن من عالم آخر، عالم جميل كل الجمال، وكأنما هما غير اللبنانيات اللآتي نعرفهن من قبل.

والضدّ يظهر حسنه الضدُّ وبضدِّها تتبين الأشياء

ورأيت أكثر مقاعد درجة رجال الأعمال هذه مشغولة ولكن لا يزال فيها ثلاثة أو نحوها خالية، وكلهم من اللبنانيين إلا واحداً ذا مظهر أوروبي وواحد من وجهاء الأفارقة.

مع أن درجة رجال الأعمال هذه مؤلفة من أربعة صفوف.

وبادرت المضيفات اللبنانيات الركاب بإعطائهم الحلوى المغلفة، وهذا أمر قد تجاوزته شركات الطيران العالمية ومنها طائراتنا السعودية.

وأعلن مكبر الصوت من الطائرة أن الطيران إلى بيروت سيستغرق أربع ساعات، فهو إذاً أقل مما استغرقه سفرنا في المجئ من جدة إلى كانو.

ذكريات من مطار كانو:

كانت الطائرة تتهيأ للإقلاع وأنا في مقعد فيها مريح بجانب النافذة فوردت إلى ذهني ذكريات آخرى لي من مطار كانو هذا.

كان ذلك من عام ١٤٠١هـ، وكنا فرغنا عن عملنا في نيجيريا وهي آخر قطر من أقطار إفريقية الغربية التي زرناها في تلك الرحلة.

وقررت أن أسافر من كانو إلى القاهرة ثم جدة، وحجزت مع الخطوط المصرية التي تسافر من القاهرة إلى جدة.

وقبل السفر بليلة واحدة، بل هي الليلة التي يسفر صباحها عن يوم السفر أقام القنصل السعودي في كانو- آنذاك- الأستاذ مصطفى مصلي لنا مأدبة عشاء كبيرة في مقر القنصلية السعودية، دعا إليها جميع أعضاء السلك القنصلي العرب والمسلمين، كما دعا إليها كبار رجال الدولة والعلم في كانو، وكان من بين الذين دعاهم مدير مكتب الخطوط المصرية في كانو، فقال لي مدير الخطوط المصرية: أنا حا أركب سعادتك- يا شيخ محمد- بكرى يريد أنك ستسافر في طائرتنا المصرية غداً.

ومع كراهيتي لما جاء في هذه العبارة من جهتين أولهما استعمال لفظ (سعادة) هذا اللفظ الممجوج الذي يوصف به حتى الرجل غير السعيد والثاني قوله إنه سيركبني وأنا أركب بنفسي، ولا احتاج إلى من يركبني، وقد ركبت في الطائرات أكثر مما ركب فيها، فإنني سكتُّ على ذلك من باب المجاملة.

وفي الغد الذي من المقرر أن يكون يوم سفري إلى القاهرة مر عليَّ في فندق (حمدالله) الذي أسكنه في كانو القنصل السعودي الأستاذ مصطفى مصلي ومعه ثلاثة من موظفي القنصلية أحدهم نيجيري متعود على إنجاز معاملات السفر في المطار، وخرجوا معي إلى مطار كانو فدخلنا رأساً إلى قاعة كبار الزوار أنا والقنصل واثنان من الموظفين السعوديين، وأما الموظف النيجيري فإنه أخذ جوازي وتذكرة السفر وأنجزهما بمساعدة فراش في القنصلية السعودية ثم أحضرهما إلينا في القاعة.

كان موعد قيام الطائرة في الثانية عشرة والنصف ظهراً، وقد وصل الموعد ولا خبر عن الطائرة إذْ قال مدير مكتب الخطوط المصرية الذي قال لي البارحة إنه سيركبني إلى القاهرة: إن الطائرة ربما تتأخر، وأنهم لم يتلقوا منها خبراً أنها قامت من أكرا عاصمة غانا إلى كانو.

فطلبت من الأخ القنصل ومن معه أن يعودوا إلى مكاتبهم لأن كل شيء بالنسبة إليَّ قد انتهى، فمعي الجواز وبطاقة الصعود إلى الطائرة وأنا باقٍ في هذه القاعة أو الغرفة التي يخول لي جوازي الدبلوماسي وتذكرتي التي هي على الدرجة الأولى أن أقيم فيها حتى تأتي الطائرة.

وبعد ممانعات منهم ودعوني وذهبوا وبقيت في غرفة الشرف معي وجيه من وجهاء كانو كان مسافراً مثلي بالدرجة الأولى وهو سلطان كانو أو قالوا: أمير كانو، ولكن الطائرة المصرية تأخرت والرجل الذي معي من سكان كانو قال لي: إنه سيعود إلى بيته وإذا جاءهم خبر عن قدوم الطائرة عاد إلى المطار.

كنت جائعاً لأن قاعة الشرف ليس فيها طعام ولا خفيف ولا حتى شاي أو قهوة وإنما فيها شراب بارد كالكوكاكولا.

والأدهى من ذلك أنه ليس معي نقود نيجيرية إذْ أعطيتها لصغار الموظفين لأنها لا تساوي بالصرف الحر إلا ثلث قيمتها.

وذهب مدير مكتب الخطوط المصرية ثم عاد إلى الغرفة وهو غضبان جداً، وقال: هؤلاء النيجيريون اغضبوني، فقلت له: بل قل: إنك أغضبتهم أنت لأن طائرتكم قد تأخرت، ولم تخبرهم حتى بموعد قدومها، فقال: أنا ما أعرفش.

وكانت الساعة بلغت الثالثة ظهراً فقلت له: إنني احتاج إلى غداء فقال: الشركة تغدي الركاب الآن، وكأنما أراد أن يقول: لماذا لم تخبرني بأنك تحتاج إلى غداء.

ذهبت معه من غرفة كبار الزوار أو (صالون الشرف) إلى مطعم الفندق الذي فيه ركاب طائرتنا والعاملة فيها نيجيرية على غاية من الغضب فأشار إليها أن تعطيني غدائي، ثم انصرف.

وقد جاءت غاضبة بصحن فيه قطعة بيضاء لا أعرفها على هيئة البيضة، ولكنها أكبر منها أربع مرات أو خمس، وعليها مرق غارق في الدهن ورمت بهذا الصحن أمامي.

وذقته لأعرف ما هو ذلك الشيء فإذا به (كسافا) طعام الفقراء تحت خط الاستواء على مدار العالم، وقد عرفته وإن لم آكله من قبل، ورأيت الدسم الذي لا أعرف ما هو فغمست قطعة من الكسافا فيه فإذا به شديد الحرارة من الشطة أو الحار، ولا أستطيع أن أتناول من هذا الدسم ولا الحار الشديد الحرارة، ولم استطع أن آكل من الكسافا الذي بدا كأنه الطين الأبيض.

فقلت لها: إنني أريد أرزاً، وكنت رأيت في صحون بعض الركاب أرزاً، فقالت: ما عندنا رز.

قلت لها: وهؤلاء الذين اعطيتموهم فسحبت قدر الأرز وكان فارغاً وقالت: انظر ما فيه شيء.

كل ذلك بالإنكليزية.

فرجعت كاسف البال، خاوي البطن إلى ما أسموه صالون الشرف، وقد ألح عليَّ الصداع الذي سببه أنني لم أشرب شاياً ولا قهوة وكنت معتاداً على شرب الشاي فطلبت من موظفة (الصالون) أن تحضر لي شاياً، فقالت بفضاضة: ما عندنا منها شيء.

وتبين لي أنها غاضبة لكوني لم أعطها شيئاً من (البخشيش) ولكن السبب أنني ليس معي شيء من النقود وإلا فإن من عادتي أن أعطي أمثال هؤلاء.

في الساعة الثامنة مساءً انقطع مجيء مدير الخطوط المصرية إلينا كأنما كان يتوارى ليتفادى أسئلة الركاب التي لا يملك لها جواباً عن موعد وصول الطائرة، وجاء إليَّ ابن الراكب معي في الدرجة الأولى وهو سلطان كانو أو قالوا أمير كانو فذكر لي أن والده عدل عن السفر ويريد استرجاع تذكرته.

ولم يكد يخرج حتى جاءت موظفة الغرفة تأمرني بما يشبه الطرد من الغرفة، ذاكرة أن زمن عملها في الغرفة انتهى، وأنه لم تأت أخرى لتحل محلها ولابد لها من أن تغلقها وتسلم مفتاحها للموظف المسئول.

فقلت لها: إلى اين أذهب؟ فلم تبال، وإنما قالت: أنا لابد لي من إغلاق الغرفة فهل أغلقها عليك وأسلم مفتاحها لغيري فلا يسأل عنك؟

ففزعت من ذلك، وصسعدت إلى قاعة المغادرة العامة وهنا تبادر إلى ذهني أنني قد انتصرت على تلك المرأة التي أغلقت الغرفة بأنني هنا استطيع أن أشرب من مقصفها شاياً وأجد ما آكله.

فأسرعت أطلب الشاي ولكن عامل المقصف أخبرني أنه لا يوجد عندهم شاي وكان هذا من حسن حظي لأنني تذكرت أنني لا أحمل نقوداً نيجيرية.

جلست في قاعة المغادرة المملة وحتى ركاب الرحلات فيها قليل ولا أعرف شيئاً عن مجيء الطائرة المصرية إذْ اختفى مدير مكتبها في كانو، ولكن لا ضير فأنا الآن في مكان أعرف منه ذلك.

وفي الساعة الحادية عشرة والنصف ليلاً جاء مدير الخطوط المصرية إليَّ في قاعة المغادرة يقول لي: يا حاج محمد: الطيارة توصل بعد نصف ساعة، وقد أخرج ذلك مخرج الفرح بل الفخر.

فرحت بذلك حتى بعد هذا التعب وبعد نصف ساعة سمعت صوت الطائرة التي وصلت واقتربت جداً من مبنى المطار فرأيتها طائرتنا المصرية.

ولكن متى تقوم؟

لم أهتم بمعرفة ذلك، لأنني الراكب الوحيد في الدرجة الأولى معهم، ولا يمكن إلا أن يبحثوا عني حتى يجدوني إذْا احتاج الأمر إلى بحث مع أنني سألاحظ ذلك بنفسي، هذا ما كنت فكرت فيه، وغلبني النعاس فانتبهت إلى أن صفاً من الركاب يخرجون من القاعة إلى الطائرة لأن الموظفين يطلعون على تذاكرهم وجزمت بأن هذه هي طائرتنا فأسرعت إلى الصف ولكن الموظف

أفهمني أن هذه طائرة نيجيرية مسافرة إلى كذا- لمكان ذكره- وقال: الطائرة المصرية بعد ذلك.

فرجعت إلى كرسيي ووضعت حقيبتي اليدوية على فخذي منتظراً وغلبني النعاس وأنا لا أشعر فرأيت الصف الذي كنت وقفت فيه لا يزال موجوداً لأنني عندما كنت واقفاً فيه كان ورائي صف من الركاب.

ونعست ولم ينبهني من نعاسي وأنا جالس ولكن السهر البارحة قبل السفر وتعب هذا اليوم قد أذهبا نشاطي فسمعت صوت محرك طائرة ولم أر صفاً أمام بوابة الخروج فأسرعت انحدر ولا انصاع حتى لكلام الموظف الذي أراد إيقافي لينظر إلى تذكرتي لأن الطائرة المصرية كانت واقفة في مكان قريب جداً من الدرج الذي ينزل منه الركاب إليها.

فوجدت الطائرة المصرية قد أغلقت بابها وسحب منها سلمها ووجدت مدير الخطوط المصرية يقول بغضب أنت كنت فين يا حاج محمد؟

فقلت له صادقاً: في غرفة المغادرة، اسرع اخبرهم يضعون السلم لأصعد، فقال: ما أقدرش.

قلت له بغضب: ما المانع الطائرة موجودة والسلم موجود ونحن موجدون فكرر قوله: ما أقدرش.

فقلت له: يا أخي على الأقل حاول، قل لهم فإذا امتنعوا كان هذا لك عذراً فقال: ما أقدرش.

أركب سعادتي وتركني.

وخيل إليَّ وأنا في هذه الحالة النفسية المتعبة أنه كان يعني ما يقول فيما قال لي البارحة: أنا حا اركب سعادتك- في الطائرة- لأنه بالفعل اركب سعادتي فيها وتركني بدون سعادة.

ولكنه أيضاً تركني بدون حقيبتي لأن حقيبتي الكبيرة التي فيها كل ما احتاج من ملابس وحتى بعض الأوراق قد أركبها في الطائرة أي أرسلها إلى القاهرة.

ليلة ليلاء:

وهذه ليلة ليلاء في اعقاب يوم صعب.

وجدت هذا الرجل يهيأ نفسه إذْ قال لرجل معه: يا الله للسيارة، فأمسكت به قائلاً: أين تذهب وتتركني هكذا وأنت السبب؟ ألا يمكنك أن ترسل إليَّ أحدهم في قاعة المغادرة التي لم أغادر فيها كرسيي ولا إلى الحمام لأنني لم أشرب شيئاً ولم أطعم شيئاً، وماذا أفعل في هذا الليل البهيم ومعي حقيبتي اليدوية التي يها كل شيء غالٍ عندي ومنه مسودات كتابي لا صور لها كتبتها أثناء الرحلة.

إنني لن أتركك حتى توصلني إلى فندق آمن، وكانت الساعة ذات دقائق بعد الثانية بعد منتصف الليل.

فتراجع مع الرجل الذي معه، وقال: سوف اسكنك في فندق على حساب الشركة وانظر كيف اتدبر الأمر معهم.

ركبت معه ومع ذلك الرجل الذي معه على سيارته الفولكس فاجن الصغيرة فأنزلني في فندق من فنادق الدرجة الثانية في أول المدينة مما يلي المطار.

ولم يكن معي من الملابس إلا ما هو على ظهري فخلعت ملابسي كلها وأذرت فوطة من فوط الفندق، على وسطي كما كان الأدباء القدماء يعبرون.

ولم أكد أنام فأفطرت في الفندق فطوراً داخلاً في أجرة الغرفة.

وأسرعت في الثامنة أخرج للشارع وجاء سائق (تاكسي) فكرهت وجهه فتركته ثم وقف آخر سمح الوجه فركبت معه، وقلت له: اتعرف القنصلية السعودية؟

فقال: نعم.

فركبت معه وقطع مسافة من الطريق ظننت أننا قربنا فيها من القنصلية سألني: أين تقع القنصلية السعودية، فقلت له: إنني لا أعلم، فقال: وأنا لا أعرفها.

فقلت له: أتعرف مكاناً عاماً هنا؟

فقال: نعم، قلت إذهب بي إليه.

وطلبت من الذين فيه أن يصفوا لهذا السائق موقع القنصلية ففعلوا.

في القنصلية السعودية:

وجدت القنصل السعودي وهو صديقي الأستاذ مصطفى مصلي ففوجئ بوجودي وقال: ألم تسافر أمس؟

فقلت أرجو أن تأمر بإعطاء هذا السائق الأمين أجرته، فليس معي نقود نيجيرية ثم أخبرته بكل التفاصيل، فنادى الموظف المختص في القنصلية وهو نيجيري ماهر فأسرع هذا يأخذ جوازي وتذكرتي وقال: سأذهب إلى موظف كبير في خطوط نيجيريا فهو صديقي ويعرف مثل هذه الأمور.

ثم عاد بعد قليل، وقال: يقولون: إن أسرع طريقة أن تسافر ظهر اليوم مع النيجيرية إلى لندن ومن هناك إلى القاهرة فتأخذ حقيبتك وقد طلبوا اربعمائة وسبعين دولاراً فرق التذكرة من أجل المرور بلندن.

قال الموظف وقد حجزت لك مبدئياً بالدرجة الاولى عسى أن تدرك الطائرة النيجيرية التي تقوم في الثانية من كانو إلى لندن.

دفعت الفرق وصرف لي الموظف الدولارات بالنقود النيجريية التي احتاجها وهي تعادل ثلاثة أضعاف قيمتها بالصرف الرسمي.

ثم جاء الموظف النيجيري في الثانية عشرة وقد انهى كل شيء، وقال: لابد أن تخرج الآن إلى المطار وتهيأ القنصل الأخ مصطفى مصلي، وكنت عرفته قبل هذه السفارة أكثر من مرة لكي يخرج معي فمنعته من ذلك فأمر اثنين من موظفي القنصلية السعودية أحدهما اسمه فلان الذيابي، والموظف النيجيري النشط فخرجا معي إلى المطار.

فأدخلوني (صالون الشرف) المكروه عندي وانهوا كل شيء وجلسنا معاً فيه ننتظر.

أعلن مكبر الصوت بالإنكليزية شيئاً فهموه بسرعة ولم أفهمه منهم فقالوا بأسف بالغ: إن المكبر يقول: إن مطار كانو يعلن أن الطائرة التي كان من المقرر أن تقوم منه اليوم إلى لندن، وهي قادمة من لاجوس قد تجاوزت المطار ولم تنزل فيه وعلى الركاب الذين أنهوا اجراءات سفرهم معها أن يعودوا غداً للمطار ليسافروا على الرحلة التي ستقوم في الموعد نفسه من الغد.

العودة الثانية من المطار:

ولليوم الثاني عدت من المطار دون أن اتمكن من السفر ولكنها في هذا اليوم مختلفة فمعي موظفو القنصلية ومعي نقود كثيرة.

عدنا إلى فندق (حمد الله) في كانو الذي كنت فيه قبل يومين، ومعي أهل (القنصلية) وحجزوا لي في هذا الفندق وأخذوا رقم الغرفة، ولم يبق لي إلا دخول الغرفة وهذا ليس بمهم لآن المهم الحجز وتسليم مفتاح الغرفة للنزيل يحتاج إلى أن يحضر من أمين الصندوق في الفندق ايصالاً يتضمن أنه دفع أجرة الغرفة مقدماً مع مبلغ مماثل له بمثابة التأمين يستعيده النزيل عند مغادرة الفندق أو يستعيد ما بقي منه إذا كان تناول طعاماً أو شراباً من الفندق.

وودعني الرفاق على أمل العودة إليَّ غداً.

ودفعت لصندوق الفندق المبلغ بل المبلغين وطلبت مفتاح الغرفة ولما اعطيت الموظفة ذلك الإيصال من صندوق الفندق نادت الشخص الذي أجرى معاملة نزولي قائلة بضجر أكثر من مرة: يا عبدالسلام، يا عبدالسلام، ثم تكلمت معه بما لا أفهمه واعطوني مفتاح الغرفة بعد ذلك.

وذهبت على عجل إلى الغرفة لاستريح حتى ظهر الغد، وبالفعل متعت نفسي من النوم حتى صليت الظهر والعصر جمعاً ثم نمت حتى المغرب حيث ذهبت بعد ذلك بقليل إلى مطعم الفندق وتعشيت ودفعت ثمن ذلك نقداً حتى لا يحتاج الأمر إلى معاملة.

وفي اليوم التالي وكان مقرراً أن يأتي إليَّ موظفو القنصلية في الحادية عشرة والنصف حسب الاتفاق انتظرتهم في الغرفة التي كنت واثقاً أنهم يعرفونها لأنهم أخذوا رقمها من موظف الفندق فلم يحضروا فجلست منتظراً لهم في مكتب

الاستقبال في الفندق ولكنهم لم يحضروا فخفت أن تفوتني الطائرة، ومعي نقود نيجيرية كافية فاستأجرت سيارة أجرة وخرجت معها إلى المطار.

الرجوع ثالثة إلى مطار كانو:

وصلت المطار في الوقت المناسب وليس معي أمتعة وكل ما احتاجه هو أن أحصل على بطاقة الدخول إلى الطائرة التي ستسافر إلى لندن، ولكن مكتب الترحيل في المطار ليس كمكاتب الترحيل في بقية أنحاء العالم فالموظفون فيه يكلمون الناس من نافذة في الجدار مثل النافذة التي تكون أمام الصرافين في البنوك وأسفل مما يلي الأرض فتحة لها باب من حديد يدخل المسافر منه حقائبه أو أمتعته لوزنها، ثم تدخله الموظفة من الداخل.

وقفت انتظر الذين كانوا واقفين قبلي فانتهوا ولكن جاء أناس بعدي ومدوا أيديهم إلى الموظفة يدخلونها داخل هذه الفتحة في الجدار، وزاحموني وكانوا يأتون جماعات مع كل واحد بعض أصدقائه الذين يساعدون على إجراءات الترحيل، ولم أشعر إلا وأنا أبعد من هذه الكوة أو الفتحة التي في الجدار من ورائها موظفة الترحيل لفرط التزاحم.

فأبعدت مرغماً، وإذا بامرأة في منتصف العمر من موظفي الخطوط النيجيرية على صدرها علامة الشركة فشرحت لها أمري وأنني لم استطع الوصول إلى الموظفة مع أنه ليس معي أمتعة ولا احتاج إلاَّ إلى قطع التذكرة واعطائي بطاقة الصعود إلى الطائرة (البوردنغ باص) فأخذت مني تذكرتي ودخلت في الداخل الممنوع على غير العاملين وانهت لي ما طلبته محضرة بطاقة الدخول إلى الطائرة.

فتنفست الصعداء ودخلت إلى غرفة المغادرة وجلست فيها، وإذا بموظفي القنصلية السعودية الثلاثة يأتون إليَّ ويسألونني بدهشة قائلين: أين كنت؟

فأجبتهم: بل أنتم أين كنتم فأنا في فندقي الذي عرفتموه، فذكروا أنهم ذهبوا إلى فندق (حمد الله) واثقين فلم يجدوني في الغرفة التي كانوا أخذوا من موظف الفندق رقمها وانها غرفتي، ولما أكدوا عليهم ذلك أرسلوا معهم أحد الموظفين فطرقوا الغرفة فخرج عليها منها رجل أمريكي.

فسألوهم عن الغرفة التي أشغلها في المكتب فذكروا لهم أنه لا يوجد لي اسم في الفندق وأنني لست ساكناً عندهم.

قالوا: فعندئذ ظننا أنك خرجت من هذا الفندق لأمر من الأمور، وبحثنا عنك في فندق آخر ثم جئنا للمطار.

وقد تبين أن سبب الالتباس أن الموظف كان انزلني في غرفة سكنها رجل أمريكي واعطاهم رقمها بعد أن أنهى اجراءات دخولي إليها ظناً منه أنها خالية.

وأن زميلته اكتشفت ذلك بعد أن تركها موظفوا القنصلية فأسكنتني في غرفة أخرى بدون أن تخبرني ظناً منها أن الأمر لا أهمية له عندي، ولم تكن تعلم بما تكلم به زميلها لموظفي القنصلية.

بعد أن اطمأن الإخوة على وجودي في المطار، وإنهاء اجراءات السفر طلبوا مني أن أذهب إلى (صالون الشرف) فتعوذت بالله من ذلك، وقلت: (لا يلدغ المؤمن من صالونٍ مرتين)!!

من كانو إلى لندن ثم القاهرة:

قال الإخوة موظفو القنصلية: إننا لن نتركك حتى تركب في مكانك من الدرجة الأولى في الطائرة.

وبالفعل ظلوا معي حتى دخلوا معي إلى الطائرة قبل الركاب وجلسوا حتى انصرف الموظفون غير المسافرين معها.

وهكذا سافرت من (كانو) إلى لندن مع شركة الطيران النيجيرية في طائرة كبيرة معتادة.

ولما وصلنا لندن ولم يكن معي أمتعة كان همي أن أحجز في أول طائرة مسافرة إلى القاهرة فذكرت الموظفة في مكتب تحويل الرحلات أنه لا توجد طائرة قبل ظهر غد وهي طائرة للخطوط الجوية البريطانية (ايرويز) فذهبت إلى مكتبها في المطار، وقال لي الموظف فيه: إنَّ حظك جيد، لأن هذا المقعد الذي حجزناه لك هو آخر مقعد في الدرجة الأولى لدينا فطلبت منه أن يعطيني غرفة حتى ظهر الغد بنفقة شركتهم، فقال: هذا في العادة يكون على نفقة النيجيرية لأنك قدمت معهم، فقلت: هذا صحيح حسبما أفهمه ولكنني لم أعرف مكتبهم فوصفه لي فوجدته ولكنني لم أجد فيه أحداً وقال مكتب مجاور له: إنه لا يضمن وجودهم اليوم.

فعدت إلى موظف الخطوط البريطانية فأخبرتهم بذلك فقال وهو يتأفف! هذه عادتهم ثم أعطاني أمراً على فندق قريب من المطار يتضمن السكن والطعام وأجرة الحافلة إليه.

وقال تحضر غداً هنا في الواحدة ظهراً لأن الطائرة تقلع في الثانية غداً.

وقد استرحت في ذلك الفندق، وبخاصة من طعامهم الوافر النوع النظيف وركبت معهم من ظهر غد إلى القاهرة.

وحال وصولي إلى القاهرة ذهبت للمطار فوجدت حقيبتي عندهم، وقال الموظف: إننا في العادة نعيد مثل هذه الحقيبة إذا مضى على وصولها أيام، ولم يسأل عنها أحد إلى مصدرها وهذه مصدرها (كانو).

فأخذت الحقيبة لم تمس وسافرت من القاهرة إلى جدة.

العودة إلى الحديث عن الطائرة اللبنانية:

احتجت إلى قفزة زمنية إلى الوراء طولها ٢٦ سنة لكي أتحدث عما أنا فيه الآن وهي الطائرة اللبنانية التي ركبتها من مطار كانو.

من كانو إلى بيروت:

أقلعت طائرة الخطوط اللبنانية التي ركبنا معها في السادسة والربع مع طلوع الشمس من مطار كانو إلى بيروت.

وحالما استوت في الجو بادرت المضيفات اللبنانيات بتقديم طعام الإفطار الذي أكثر ما فيه الجبن اللبناني إذْ قدمو منه عدة أنواع ومعه زيتون لبناني أيضاً وخبز منوع وما يسميه السوريون واللبنانيون (اللبنة) وهو نوع من الرائب الغليظ الذي استبعد دهنه.

وقبل أن تتم الطائرة الساعة الرابعة من الطيران بدقائق خمس أو ثلاث كانت تحلق فوق بيروت، ولاحظت أن بيروت قد نمت، وغدا أكثرها أشبه بالغابة من الأبنية العالية، بعد أن كان الإنسان يرى من المطار مناطق ريفية جميلة وبخاصة ما حول شاطئ بيروت ذي الرمل الأحمر الجميل.

ولكن خلف بيروت من الجبل أو من أقدامه القريبة من المطا رمنازل جميلة حمر السقوف بين أشجار خضر في مناطق متدرجة الارتفاع من الجبل.

هبطت الطائرة في مطار بيروت في العاشرة والنصف بتوقيت (كانو) التي أقلعنا منها وهي الثانية عشرة والنصف ظهراً بتوقيت بيروت فبينهما ساعتان في التوقيت.

وقد أحسست بالفعل وأنا أدخل المطار وأرى من فيه من الأناسي والأثاث وما يحفل به مطارها من التجهيزات بأنني قد انتقلت بالفعل من عالم إفريقي متميز إلى عالم عربي متميز عنه أيضاً.

وفي بيروت سافرت بعد ٢٤ ساعة إلى جدة ولله الحمد.

تم الكتاب.

الموضوع: الشكر والتقدير والعرفان

صاحب المعالي فضيلة الشيخ محمد بن ناصر العبودي

الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي – مكة المكرمة حفظه الله

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته وبعد:

فنسأل الله لكم العون والحفظ والرعاية.

فإنه لمن دواعي سرورنا أن نرفع إلى معاليكم هذا الخطاب الذي يحمل في طياته أجل المعاني والشكر والتقدير لمعاليكم والوفد المرافق لكم على تلكم الزيارة التاريخية التي قمتم بها إلى مركز الرابطة في نيجيريا وهي أولى من نوعها على هذا المستوى منذ أربعة وعشرين عاماً مدة إشراف الرابطة على هذا المركز لقد تركت زيارتكم أثراً طيباً في نفوسنا ودفعاً قوياً للعمل الإسلامي في نيجيريا عامة والمركز خاصة فبارك الله لنا في حياتكم وفي كل خطوة خطيتموها إلى المركز.

إننا جميعاً يا صاحب المعالي كباراً وصغاراً ندعو لكم والوفد المرافق بالمزيد من التوفيق في أعمالكم العامة والخاصة المتجددة في سبيل خدمة الإسلام والمسلمين.

يا صاحب المعالي شرفتمونا بزيارتكم للمركز في وقت الذي أشيع بأن الرابطة قد تراجعت عن الإشراف على المركز وأخذ الأعداء يطيرون فرحاً ويرقصون طرباً، فإذا بزيارتكم ترفع رأسنا أمام أولئك أعداء الإسلام والمسلمين.

ندعو الله سبحانه وتالى أن يبقيكم ذخراً للإسلام والمسلمين والله لا يضيع أجركم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الداعية/ ماما عثمان ماندو

مدير مركز الرابطة بأتوفيا- نيجيريا

Muslim World League
Secretariat General
Islamic Center - Anovia
Nigeria

رابطة العالم الإسلامي
الأمانة العامة
المركز الإسلامي بأنوفيا
نيجيريا

الرقم : ..... التاريخ : ..... المرفقات : .....

الرقم / ٢٤/٢٧هـ

التاريخ/ غرة جمادى الآخرى ١٤٢٧هـ

الموضوع/ الشكر والتقدير والعرفان.

صاحب المعالي فضيلة الشيخ محمد بن ناصر العبودي

الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي — مكة المكرمة. حفظه الله

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته وبعد:

فنسأل الله لكم العون والحفظ والرعاية.

فإنه لمن دواعي سرورنا أن نرفع إلى معاليكم هذا الخطاب الذي يحمل في طياته أجمل المعاني والشكر والتقدير لمعاليكم والوفد المرافق لكم على تلكم الزيارة التاريخية التي قمتم بها إلى مركز الرابطة في نيجيريا وهي أولى من نوعها على هذا المستوى منذ أربعة وعشرون عاما مدة إشراف الرابطة على هذا المركز لقد تركت زيارتكم أثراً طيب في نفوسنا ودفعا قويا للعمل الإسلامي في نيجيريا عامة والمركز خاصة فبارك الله لنا في حياتكم وفي كل خطوة خطيتموها إلى المركز.

إننا جميعا يا صاحب المعالي كبارًا وصغارًا ندعو لكم والوفد المرافق بالمزيد من التوفيق في أعمالكم العامة والخاصة المتجددة في سبيل خدمة الإسلام والمسلمين.

يا صاحب المعالي شرفتمونا بزيارتكم للمركز في وقت الذي أشيع بأن الرابطة قد تراجعت عن الإشراف على المركز وأخذ الأعداء يطيرون فرحاويرقصون طربا، فإذا بزيارتكم ترفع رأسنا أمام أولئك أعداء الإسلام والمسلمين. ندعو الله سبحانه وتعالى أن يبقاكم ذخرا للإسلام والمسلمين والله لا يضيع أجركم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الداعية / ماما عثمان ماندو
مدير مركز الرابطة بأتوفيا — نيجيريا.
فاكس رقم: ٠٠٢٣٤٤٢٢٥٨٨٦٨
الجوال رقم: ٠٠٢٣٤٨٠٣٤٥٣٧٠٠٥
٠٠٢٣٤٨٠٤٢٢٢١٥٧٠

ISLAMIC CENTRE ANOFIA
رابطة العالم الإسلامي
المركز الإسلامي بأتوفيا نيجيريا
AFIKPO. EBONYI STATE. NIG.

مرفق طيه صور فوتوغرافية لزيارتكم للمركز.

٠٠٤١٤٤

الرقم: ١/٨/٣/١٠٣ التاريخ: ١٤٢٧/٤/٢٠هـ

صاحب المعالي فضيلة الشيخ محمد بن ناصر العبودي وفقه الله

مساعد الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد

فأسأل الله لمعاليكم دوام التوفيق والسداد

ويطيب لي أن أرفع لمعاليكم أصالة عن نفسي ونيابة عن زملائي واخواني منسوبي مكتب الملحق الديني أسمى آيات الشكر وخالص التقدير بمناسبة زيارتكم الميمونة للمكتب، وكما يسرني ويسعدني أن أنقل لمعاليكم مشاعرهم وسرورهم وفرحهم بهذه الزيارة، وتقديراً لمعاليكم فقد رأى الجميع بعد مغادرتكم أن يحمل هذا الجامع اسم معاليكم (جامع الشي/ محمد بن ناصر العبودي).

متمنين من الله العلي القدير أن يجعل ما قدمتموه في موازين حسناتكم وأعمالكم الصالحة وأن يجزيكم الله خير الجزاء، ونرجو من الله ثم من معاليكم أن تسهموا في مد يد العون والمساعدة في توسعته وإعادة بناءه على الطراز الحديث بعد أخذ موافقة صاحب الدار.

شاكرين ومقدرين لمعاليكم جهودكم ومساعيكم البناءه في خدمة الإسلام والمسلمين.

والله يحفظكم ويرعاكم برعايته...

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

نائب الملحق الديني المكلف

محمد بن عبدالله بن نفاء البيشي

الفهرس

كتب مطبوعة في الرحلات للمؤلف ٥
مؤلفاته المطبوعة في غير فن الرحلات ١٦
من جدة إلى كانو ٢٧
كيف كان الطريق إلى نيجيريا ٣٠
الوصول إلى مطار كانو ٣٢
الهبوط في مطار كانو ٣٤
الباعة والمتطفلون والشحاذون ٣٦
فندق الضيف الطاهر ٣٨
مأدبة سعودية ٣٩
صباح كانو ٤٢
رواتب الدعاة إلى الله ٤٣
العودة إلى مطار كانو ٤٣
حي سابو الجديد ٤٤
مطار أبوجا ٥٠
منطقة أبوجا كانت من بلاد المسلمين ٥٢
البوابة الرمزية ٥٣
مكتب رابطة العالم الإسلامي ٥٧
عشاء السفير ٥٩
مدرسة فؤاد اللبابيدي ٦١
أرض رابطة العالم الإسلامي ٦٣
مقابلة نائب رئيس الجمهورية ٦٥
بقي أشده ٦٧
إلى اختراق الأسوار أيضاً ٦٩

مكتب نائب رئيس الجمهورية ٧٠
وجاء نائب الرئيس ٧١
كلمتي ٧٣
الدعاة المشاركون ٧٦
الالتقاء برؤساء الجمعيات والمنظمات الإسلامية في أبوجا ٨١
كلمة الإمام الدكتور نورين دندي الترحيبية ٨٣
الجامع العظيم ٨٦
الجمعة الجامعة ٩٠
الموعظة بأربع لغات ٩١
مكتب الرابطة مرة أخرى ٩٥
السفر إلى بلاد البرنو ٩٧
من أبوجا إلى مادوغري ١٠٢
ليس هذا لكم ١٠٣
إلى مادوغري ١٠٤
الصلاة في المطار ١٠٥
الهبوط في مطار مادوغري ١٠٨
المزبلة المهملة ١١٠
صباح مادوغري ١١٣
تغيير الفندق ١١٥
جولة على المدارس ١١٩
أول مدرسة إسلامية ١٢٢
مادوغري القديمة ١٢٣
ثانوية الشيخ أبي الفتح للبنات ١٢٤
وثانوية الأبناء ١٢٧
العرب والجمال ١٢٨
مسجد الشيخ إبراهيم صالح ١٣٠

مسجد مدينة ١٣٣
غداء الخليفة ١٣٣
مقابلة سلطان البرنو ١٣٧
القسم القديم من المدينة ١٤٣
شيخ القرآن ١٤٥
سوق الاثنين التجاري ١٤٨
الشيخ أحمد البرناوي ١٤٩
الشيخ المسكين ١٥٢
لا خروج من (مادوغري) ١٥٣
جولة أخرى في مادوغري ١٥٤
مسجد العُقاب ١٥٥
في بيت المدير ١٥٩
إلى خارج مادوغري ١٦٤
عود إلى الجولة على المساجد والمؤسسات الإسلامية ١٦٧
التيجانية في مادوغري ١٦٧
الرسالة الأولى ١٨٦
من مادوغري إلى أبوجا ١٧٣
إلى أبوجا ١٧٥
مطار أبوجا ١٧٧
السفر إلى أينوقو ١٧٧
بلاد الإيبو ١٨٢
أصل السكان ١٨٣
مشكلة الموعد ١٨٥
إلى أنوفيا ١٨٨
حواجز من أجلي ١٩١
بلدة ايزيلو ١٩٣

بلدة أباكا ليكي ١٩٤
بلدة آبوميفي ١٩٥
مدينة أتيكو ١٩٥
مبنى الرابطة ١٩٥
هذه أنوفيا ١٩٦
جولة في المركز الإسلامي ٢٠٠
حفلة الأهالي ٢٠٢
العلاقة بين الجماعة والمركز الإسلامي ٢٠٥
شكر رابطة العالم الإسلامي (الرابطة) ٢٠٥
مطالب الجماعة ٢٠٥
مأدبة الغداء ٢٠٨
الإسراع بالعودة ٢٠٩
العودة إلى اينوقو ٢١١
مسجد تدريب ضباط السجون ٢١٢
مركز رابطة العالم الإسلامي ٢١٥
ملخص عملنا في الجنوب ٢١٨
زيارة ولايتي إينوقو وايبوني والمركز الإسلامي في أنوفيا ٢٢٠
العودة إلى أبوجا ٢٢٥
في مطار أبوجا ٢٢٦
الحاكم يزورنا في الفندق ٢٣٢
إلى ولاية النيجر ٢٣٣
من أبوجا إلى منى ٢٣٤
أرض السواد ٢٣٥
على الحدود ٢٣٦
قرية ديكوا ٢٣٨
بلدة ماجي ٢٣٨

أخلف الله ظنهم ٢٣٩
قرية لمبت ٢٤١
قرية غاو بنجيدا ٢٤٢
هذه منى ٢٤٣
مدينة الرؤساء ٢٤٤
استراحة الحاكم ٢٤٦
مجمع أبي تراب التعليمي ٢٥٠
مسجد أبي تراب ٢٥٢
قاعات المعامل ٢٥٣
إدارة الشريعة ٢٥٤
كلية الآفاق الجديدة ٢٥٦
توزيع المساعدات ٢٥٧
مسجد تونقا الجديد ٢٥٩
العودة إلى أبوجا ٢٦١
وزيارة رئيس القضاة ونائب رئيس الاتحاد الاسلامي في نيجيريا ٢٦٢
الإطلاع على المزيد من المساجد والمدارس ٢٦٥
مسجد الحي الحادي عشر ٢٦٧
مسجد شيخو شجاري ٢٧٠
في السفارة السعودية ٢٧١
عَوْدٌ إلى مسجد تشجاري ٢٧١
مكتب الملحق الديني ٢٧٢
مسجد سنترال ٢٧٤
كلمتي في المصلين ٢٧٦
مأدبة السفير ٢٧٨
مغادرة أبوجا ٢٧٩
من أبوجا إلى كانو ٢٨٠

الهبوط في مطار كانو ٢٨١
عود إلى الضيف الطاهر ٢٨٣
لا جولة في كانو ٢٨٣
كلمة في كانو ٢٨٤
الإسلام في كنو ٢٨٦
إلى مطار كانو ثانية ٢٨٧
من كانو إلى بيروت ٢٨٩
ذكريات من مطار كانو ٢٩٠
ليلة ليلاء ٢٩٦
في القنصرية السعودية ٢٩٧
العودة الثانية من المطار ٢٩٩
الرجوع ثالثة إلى مطاركانو ٣٠٠
من كانو إلى لندن ثم القاهرة ٣٠٢
العودة إلى الحديث عن الطائرة اللبنانية ٣٠٣
من كانو إلى بيروت ٣٠٣
الفهرس ٣٠٩

شركة مطبعة النرجس المحدودة
Narjis Printing Press Co. Ltd.
تلفون: ٤١٥٧٤١٢ - جوال: ٠٥٠٥٢٧٨٤٦١
E-mail: narjiscpp@yahoo.com

https://dawa.center

المستودع الدعوي الرقمي
Osoul Center For Studies

كتب مخطوطة في الرحلات للمؤلف

١- رحلات في البيت: رحلات داخل المملكة العربية السعودية.
٢- جولة في جزائر البحر الأبيض المتوسط.
٣- حديث المؤتمرات (الخارجية).
٤- جولة في جزائر المحيط الأطلسي.
٥- مؤتمرات إسلامية حضرتها.
٦- رحلة المسافات الطويلة.
٧- حول العالم في خط متعرج.
٨- الإشراف على أطراف من المشرق العربي.

الرحلات الإفريقية

٩- الإشراف على أطراف من المغرب العربي.
١٠- العودة إلى غرب إفريقية.
١١- العودة إلى المغرب الأقصى، بين الصحراء والأرض الخضراء.

رحلات في القارة الأوروبية

١٢- التعليق على السفر إلى أقطار البلطيق.
١٣- من كوبنهاجن إلى كييف مرورا بباريس.
١٤- رحلة الشمال.
١٥- خلال أوكرانيا بحثا عن المسلمين.
١٦- زيارة لإيطاليا وحديث في شؤون المسلمين.
١٧- تجوال في بلاد البرتغال.
١٨- رحلة الأندلس.
١٩- زيارات خاطفة لمدن أوروبية مختلفة.
٢٠ - العودة إلى داغستان.

الرحلات الهندية

٢١-على أعتاب الهملايا.
٢٢- بلاد الهند والسند : باكستان.
٢٣- في الشمال الغربي من الهند.
٢٤- في أقصى شرق الهند.
٢٥- وسط الهند.

الرحلات الآسيوية

٢٦- رحلات في بلاد الملايو.
٢٧- في مهد الترك : تركستان الشرقية.
٢٨- في أحناء إندونيسيا.
٢٩- في شمال شرق آسيا.
٣٠- جمهورية قازاغستان : ملخص تاريخي ومشاهدات ميدانية.
٣١- إلى تاجيكستان، ثانية.
٣٢- قازاغستان بعد اوزبكستان وتاجيكستان.

رحلات في القارة الامريكية الجنوبية

٣٣- الحل والرحيل في بلاد البرازيل.
٣٤- رؤية جديدة للجانب الأبعد من أمريكا الجنوبية.
٣٥- رحلة الجنوب.
٣٦- شمال البرازيل.
٣٧- وسط البرازيل.
٣٨- فنزويلا وترينداد.
٣٩- رحلات فنزويلية.

رحلات في أمريكا الشمالية

٤٠- وراء العمل

الرحلات الصينية

٤٢- في وسط الصين.

الرحلات الكاريبية

٤٣- المارتينيك وبربادوس.
٤٤- دومنيكا وقواديلوب وانتيقوا.
٤٥- بورتوريكو وجامايكا وربى الدومنيكان.

رحلات بلقانية

٤٦- كرواتيا وسلوفينيا.

أستراليا وجنوب المحيط الهادي.

٤٧- في شمال أستراليا.
٤٨- في جنوب أستراليا.
٤٩- في شرق أستراليا.
٥٠- في غرب استراليا.
٥١- غينيا الجديدة آخر الغينيات زيارة.
٥٢- الإلمام بالمحيط الهادئ من استراليا إلى جزيرة قوام.

رحلات في جمهورية الموز

٥٣- بلاد المكسيك وقواتيمالا.
٥٤- السفر والأوبة من كوبة.
٥٥- التشريق بعد التغريب ، في بحر الكاريب.

الرحلات الروسية

٥٦- جمهورية القبائل الروسية.
٥٧- إلى الشرق الأقصى الروسي.
٥٨- مقال في السفر إلى منطقة الأورال.

شركة مطبعة النرجس - ت : ٤١٥٧٤١٢

ردمك: ٢-٩٣٠٤-٠١-٦٠٣-٩٧٨